

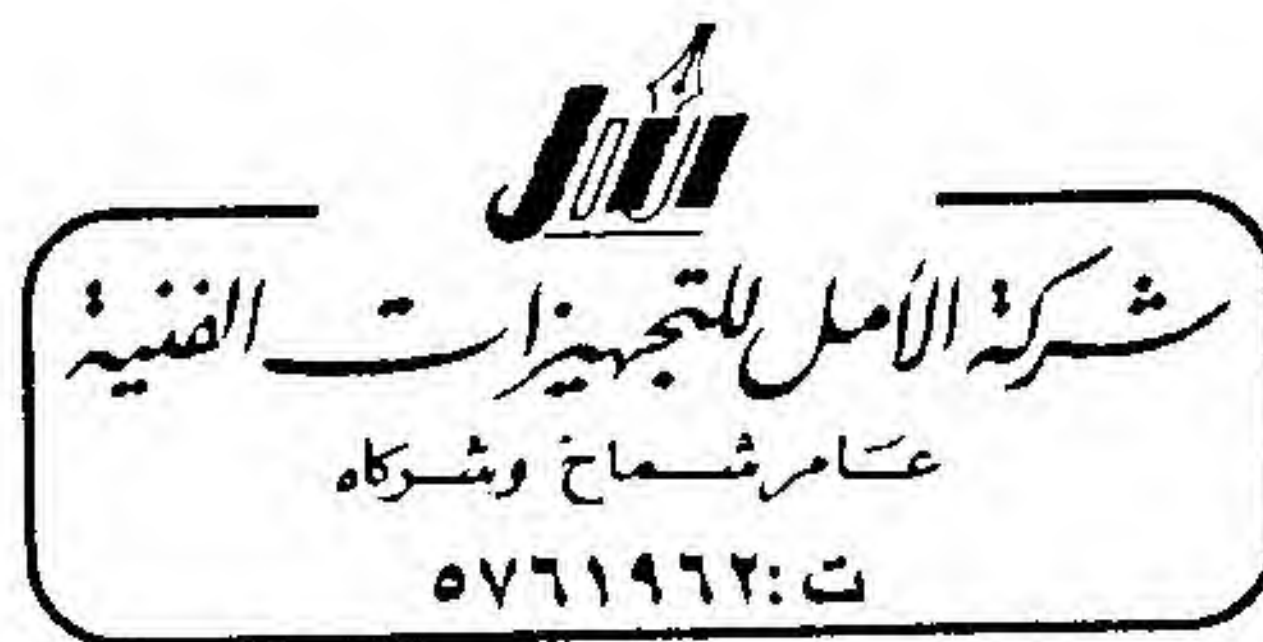
زينب الفزالي

أيام من حياتي

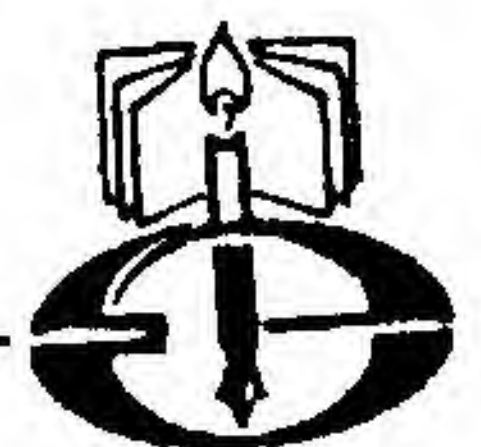
جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى للناسر

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م



دار التوزيع والنشر الإسلامية



٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١ - ٣٩٠٠٥٧٢ ص ب ١٦٣٦

إهداء

* إلى الأرواح الطاهرة الزكية التى صعدت إلى بارئها، فرحة بفضل الله عليها ورضوانه . .

* إلى النفوس النقية التى أزهقت فى سبيل ربها، وذهبت إليه تشكو ظلم البشرية وطغيانها . .

* إلى الدماء التى سالت لتكون موجاً هادراً يدفع الأجيال عبر التاريخ إلى طريق ربها . .

* إلى الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله وفى سبيل الإسلام فضحراً وفدوا فكانوا فى الأرض الأوفياء، وفى الآخرة الخالدين الفائزين . .

* إلى الذين قال لهم الناس: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

* إلى الذين عذبوا فى سبيل الله تعالى فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا . .

* إلى زوجى، إلى تلك النفس الطيبة التى شاركتنى أيام حياتى ببذلها وتضحيتها، ثم فاضت تلك الروح الندية، والمحنة قائمة . .

لكل هؤلاء وللمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أقدم هذا الكتاب .
وأسألك اللهم أن تتقبله وتنفع به . . ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

زينب الغزالي الجبيلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . . نازعتنى فكرة الكتابة عن «أيام من حياتى» وترددت كثيراً. غير أن الكثرة ممن أثق فى إيمانهم بالقضية الإسلامية وهم من أبنائى وإخوانى رواد الدعوة وبناء فكرها الذين عاشوا معى تلك الأيام، رأوا أنه من حق الإسلام علينا أن نسجل تلك الحقبة من الأيام التى عاشت فيها الدعوة الإسلامية مخاربة من قوى الإلحاد والباطل فى الشرق والغرب، التى قامت لتقتل كلمة الحق ورافعى لوائها، وكل دعائها الفاهمين الفاقهين المصارحين بشجاعة وصدق بأن كتاب الله وسنة رسوله معطلان ولا بد من تطبيقهما والحكم بهما، ولا بد من عودة الأمة الإسلامية بكل مقوماتها إلى أرض الإسلام لتحقيق الصورة العملية العملاقة بعودة مجتمع التوحيد والعلم والمعرفة والصلة الحقيقية بالله سبحانه وتعالى، فتنتوى مجتمعات الجاهلية التى أعمت البشرية عن طريقها السوى وشغلتها بغنائها عن طريق الله . . طريق الحق، فيعملون على تطهير الأرض من تأليه البشر، وعبادة طواغيت الأرض باتباع تشريعاتهم وتعطيل شريعة الله، وتعود الحياة بنبضات الوجود الحقيقى الذى كانت به الأمة - فى عصر النبى وصحبه المباركين رضوان الله عليهم جميعاً - خير أمة أخرجت للناس .

لا صلاح لأمة ولا لهذا العالم إلا بالدعوة إلى الإسلام. إن غياهب

نسجون ومنافصل التعذيب وشراسة حملة الشياطين لم تزد المخلصين من أبناء الدعوة وبناء فكرها إلا قوة وثباتاً وصبراً على دفع الباطل ونحن نترصد منابته .

كذلك كان عهد الذين سلكوا طريق الحق قبلنا فاعتقدوه . فليس بالسياسي يضع الطريق!! ولكن الحجة بالحجة والرأي بالرأي ، والكلمة تجابهها الكلمة . سهل أن تضع القوة الباطشة العمياء الشياطين في أيدي المجانين ، ولكن الصعب هو أن تصرف المخدوعين بالباطل والمقتنعين بحمل الشياطين والمتألهين في الأرض ، عن طريق غوايتهم وجهلهم فتهددهم إلى طريق مستقيم .

والطريق إلى الحق واحد وهو طريق الله وأنبيائه ورسوله وورثتهم . أما الباطل فطرقة وسبله متفرقة . وعلى كل سبيل من سبله شيطان يزين للمغمورين منهم في ظلمة الباطل غوايته ويقودهم إلى سبله .

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾

[الأنعام : ١٥٣] .

وليس أمام البشرية اليوم للخلاص من ذلك الضلال وهؤلاء الطغاة من البشر إلا أن ينتهجوا منهج الحق ، ومنهج الله ، المنهج الحمدي الموحى به «القرآن الكريم» والمملهم به من السنة الصحيحة .

وإني لأرى بوادر النصر وإرهاصاته - إن شاء الله - بقيام الأمة وعودة المجتمع الذي سيعلو بتوحيده فوق توليفات البشر مما يغزو بلادنا اليوم من تيارات الإلحاد ، نعم إنني لأحسها قريبة وأرى أعلامها ترمى بهذا الغناء من فكر البشرية الضال في ركاب الجاهلية . وإني لأكاد أشاهد أعلام الالتزام بما كلفت به خير أمة أخرجت للناس . . وأعلام الالتزام بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

نعم إننا لا نستعجل الزمن . فالسنون ، عشراتها ومئاتها ، ليست بذات قيمة
عمر الدعوات والأمم . ولكن العبرة أننا ثابتون على الطريق ، مؤمنون
سلامة الخطى ووضوح الرؤية .

إننا على يقين أننا على حق . وكل الذى يعيننا أن نضيف لبنات جديدة
بناء . المهم ألا نتقاعس ولا نتخاذل ولا نتقهقر عن عقيدتنا : عقيدة التوحيد ،
عقيدة العمل ، عقيدة البيان ؛ بيان الحق للناس جميعاً ، بيان عقيدتنا لكل البشر .

وإيماناً منا بأن فترة سجننا وتعذيبنا هى من حق التاريخ ، ومن حق الذين
لمى الطريق أن يعوها ويدرسوها حتى يبقوا على طريق الجهاد ، ولا تتحول
ضيتهم إلى سفسطة كلامية ، وحديث ترف وقصة تاريخ ، إيماناً بهذا كله نزلت
لمى رأى المخلصين من أبنائى وإخوانى ، واستعنت بالله سبحانه وتعالى فى
نمع ما احتوته ذاكرتى مما كان . وإن كان من الصعب أن يستعاد بوصفه
نمطه . .

ويكفى دلالة عليه أن أشير إلى أن حاملى الشياطين وخبراء التعذيب بألوانه
أشكاله ، قد سموه : جهنم !!

إن جهنم هذه كانت بوتقة لصهر معادن الرجال فنقتها ، وانجلت مهزلة
تعذيب عن رجال محصتهم الفتنة فقالوا بأعلى صوت : «يا أيها الناس :
إسلام ليس انتماء بل التزام واتباع» .

وأرجو الله أن يعيننى على استعادة الصورة أو بعضها ، وأن تكون
مخلصين مشعل حق ونور وهداية .

فلنشق لخطانا صراطاً مستقيماً ، وإنى لأعيدها وأصر عليها :

«إنها رسالة الرسل والأنبياء، هيمنت عليها وأكملتها رسالة محمد ﷺ،
فبشريعته أتم الحق تكاليفه لعباده ونسخ بها ما سبقها وأقامها حقيقة زكية
﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

إن الذين تجشموا وعورة الطريق وعرفوا بمشيئة الله مقاصد الكتاب والسنة،
لن يحدوا عن الحق والخير والدعوة إليه حتى تقوم الأمة وتستقر البشرية تحت
أعلام كتاب الله وسنة رسوله.

وإننا لعلى الطريق مثابرون محتسبون ما نلاقى عند الله. . ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ
وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ [التوبة: ١١١].

فالإرواح الشهداء الذين سبقونا: تحية حب وعرفان ووعداً بأننا على
الطريق. إلى كل من كان في قلبه مثقال ذرة من خير. . لعل الله أن ينفع به
ويهدى. . وما تشاءون إلا أن يشاء الله.

زينب الغزالي الجبيلي

الباب الأول

عبدالناصر يكرهنى شخصياً!

فى مساء يوم من أيام الشتاء، وفى أوائل شهر فبراير عام ١٩٦٤ م كنت عائدة إلى بيتى، حين انقلبت بى عربتى إثر اصطدامها بعربة أخرى، كانت الصدمة قاسية فذهبت فى شبه إغماءة، كانت الآلام الشديدة توقظنى منها. ولم أتبين من كل ما حدث حولى إلا صوت إنسان ينادى اسمى فى فرع، وغبت عن الوعي، وحين تنبهت وجدت نفسى فى مستشفى هليوبوليس وبجانبى زوجى وأشقائى وشقيقاتى وبعض زملائى فى الدعوة وزميلاتى. كان الكل فى فرع وألم شديدين تحكيهما تعبيرات الوجوه التى تصفحتها وأنا أفتح عيني لأول مرة وشفطائى تتمتان «الحمد لله.. الحمد لله» وكأنى بالتمتمة أسألهم عما حدث؛ إلا أننى ما لبثت أن غبت ثانية عن الوعي، ولم أتنبه إلا بدخول إحدى الحكيمات بالمستشفى مع ممرضين وممرضتين لحملنى إلى حجرة الأشعة. وتذكرت ما حدث وسمعت زوجى يقول: الحمد لله سلمها الله، احمدى الله يا حاجة. وسألت عن سائق عربتى فعلمت أنه -بحمد الله- بخير، وأنه يعالج فى المستشفى، وعلمت فيما بعد أنه أصيب بارتجاج فى المخ. وحُملت إلى غرفة الأشعة، ولما تبين وجود كسر فى عظمة الفخذ، وضع ساقى فى قفص حديدى وتقرر إجراء عملية جراحية. ونقلت إلى مستشفى مظهر

عاشور ليـجـريها لى جراح العظام الدكتور محمد عبد الله ، واستغرق إجراء العملية -تعداد بعد التحضير والتخدير- ثلاث ساعات ونصف الساعة . . عشت بعدها فترة، ونذر الخطر تحيط بى .

ثم زالت أيام الخطر وبدأت ألتقط ما يقال وما ينقل ، مما يوضح أن الحادث كان مدبراً من مخابرات جمال عبد الناصر لاغتيالى ، وتواترت الأخبار تؤكد ذلك . وكان لفيف من الشباب المسلم يزورنى يومياً للاطمئنان، وعلى رأسهم الأخ الشهيد عبدالفتاح عبده إسماعيل . فلما بلغتنى تلك الأخبار، طلبت منه أن يقلل الشباب من زيارتى . وكان رده أنه قد حاول هذا فعلاً، ولكنهم رفضوا وأصروا على زيارتى . .

وفى أحد الأيام التالية دخل السكرتير الإدارى لجماعة السيدات المسلمات وبيده ملف أوراق، يعرضها علىّ بصفتى رئيسة الجماعة، وكان فى الغرفة زوجى والسيدة حرم الأستاذ الهضيبى المرشد العام للإخوان المسلمين، ورأيت زوجى يسرع إلى السكرتير قبل أن تتاح له فرصة تقديم الملف لى فيأخذه منه ويخرج معه من الحجرة، وهو يحدثه حديثاً فهمت منه أنه نهاه مرة قبل ذلك عن تقديم هذه الأوراق لى، ودهشت لذلك وسألت زوجى عن السبب فتعلل بأننى محتاجة إلى موافقة الدكتور عبدالله المشرف على علاجى . وذهب زوجى إلى الدكتور الذى ما لبث أن جاء ليكشف على ساقى وليحرم علىّ القيام بأى عمل، ليؤكد لى أنه منع دخول الأوراق أو وصول الأخبار عن الجمعية إلىّ . ولما احتججت بأن الأمر بسيط لن يتعدى التوقيعات أصر على موقفه . ومضت أيام رجوت الطبيب بعدها السماح بمزاولة بعض أعمال الجماعة من فراشى فرفض، وازددت يقيناً بأن هناك شيئاً ما، يعتمد الجميع إخفاءه عنى : زوجى والسكرتير والزائرون، بل حتى سكرتيرة مجلس إدارة جماعة السيدات

المسلمات التى كانت تزورنى دائماً، وكنت أحس من إجابتها المقتضبة على أسئلتى عن الجماعة بأنها تخفى عنى شيئاً.

وجاءتنى السكرتيرة فى أمسية استجمعت فيها شجاعتها لتنقل إلى -وبوجود زوجى- ما أخفوه عنى. كان الأمر خطيراً على ما بدا من موقف زوجى المذكور بشجاعتى والمشجع على الصبر والاحتمال وقوة الإرادة. وأخذت الأوراق من السيدة فإذا هى قرار بـ: «حل المركز العام لجماعة السيدات المسلمات»، وأخذت السكرتيرة تتحدث إلى قائلة: «طبعاً يا حاجة الأمر شديد بالنسبة إليك». قلت: «الحمد لله، ولكن ليس من حق الحكومة أن تحل الجماعة، إنها جماعة إسلامية» أجابتنى: «لا أحد يقدر أن يقول للحكومة هذا، لقد بذلنا مجهوداً كبيراً جداً، ولكن عبدالناصر مصر على حل الجماعة، هو يكرهك شخصياً يا حاجة زينب!! لا يطيق أن يسمع اسمك على لسان أى إنسان. عندما يذكر اسمك يثور ويغضب وينهى المقابلة!

قلت: «الحمد لله الذى جعله يخافنى ويبغضنى، وأنا أبغضه لوجه الله، ولن يزيدنا طغيانه، نحن معاشر المجاهدين، إلا إصراراً على أن نرضى ضمائرنا ونعيش لدعوتنا، إنها دعوة التوحيد وسنتصر بإذن الله، وأرخص ما نبذله لها أن نستشهد فى سبيلها».

«ليس لعبد الناصر الحق فى أن يحل جماعة السيدات المسلمات. إن الله تبارك وتعالى هو الذى يعقد للمسلمين راياتهم، والذى يعقده الله لا يحله البشر».

قالت والدموع فى عينيها: «يا حاجة.. المسألة خطيرة، ونرجو الله أن لا تنتهى بحل الجماعة، ربما كانت كلماتك هذه تسجل، أو أنها قد سجلت فعلاً».

ربما كان هنا جهاز تسجيل». كانت تسر في أذني بهذه الكلمات وكأنها تخشى تسجيل كلماتها، واستمرت تسر إلى: «يا حاجة: أنا أطلب منك شيئاً صغيراً وهو التوقيع على هذه الورقة، فإذا وقعت عليها سيلغى قرار الحل». فسألتها أن تطلعني على الورقة فإذا هي استمارة انتساب للاتحاد الاشتراكي، فقلت لها: «لا والله، شئت يدي إذا وقعت يوماً على ما يدينني أمام الله بأنني اعترفت بحكم الطاغوت جمال عبدالناصر الذي قتل عبدالقادر عوده وزملاءه. إن الذين غمسوا أيديهم في دم الموحدين خصوم لله وللمؤمنين. الأشرف لنا أن يحل المركز العام للسيدات المسلمات». قبلت رأسي وهي تبكي وتقول:

- أثنين بأنني ابتك؟

قلت: نعم..

قالت: فتركي هذا الموضوع..

قلت: سنترك الأمر، ولن أوقع هذه الورقة. إن فيها ولاء للطاغية، وهذا أمر مستحيل إتيانه، والله يفعل ما يختاره لعباده. وممرت أيام المستشفى وتقرر خروجي مع استمرار العلاج.

أنا والاتحاد الاشتراكي

وفي البيت كانت السيدة السكرتيرة تزورني يوميا وأخبرتني بأن قرار الحل أوقف. ودهشت لذلك وسألت كيف ذلك فقالت: «لا أدري. ربما يكون فتح باب للاتصال بك». وأخذ السكرتير الإداري يحضر لي ما يحتاج للاطلاع والتوقيع، وأخذت أزاول نشاطي في تسيير أعمال المركز العام للسيدات المسلمات من بيتي. ولكنني عدت إلى المستشفى مرة أخرى لإجراء عملية

جراحية لرفع المسامير من الفخذ، وكان قد أفرج عن الشهيد الإمام سيد قطب وزارنى فى المستشفى وجمع من الإخوان. وذات يوم فوجئت بخطاب مسجل عن طريق البريد ببطاقة كتبت فيها هذه البيانات:

«الاتحاد الاشتراكى العربى»

حرية - اشتراكية - وحدة

الاسم والشهرة: زينب الغزالى الجبيلى، وشهرتها: زينب الغزالى.

الوظيفة أو المهنة: رئيسة المركز العام لجماعة السيدات المسلمات.

وحدة: البساتين - المأظة.

قسم: مصر الجديدة.

محافظة: القاهرة.

جاءتنى هذه البطاقة بالبريد ومعها ما يثبت سداد اشتراكى عن عام ١٩٦٤، فضحكت ضحكة مريرة بما صار إليه حال «مصر»، وتذكرت كيف كنا نعيش فى حرية لعنوها بعد انقلابهم العسكرى. وبعد استكمال العلاج بالمستشفى عدت إلى المنزل وأخذت دعوات الاتحاد الاشتراكى تتوالى بالبريد لحضور اجتماعات الاتحاد الاشتراكى، ولكننى قررت أن أتخذ موقفاً سلبياً، وبعد أيام صرح الدكتور بالخروج ومزاولة نشاطى تدريجياً فى المركز العام للسيدات المسلمات، وكنت لا أزال أستعين بالعكاز فى المشى.

وفى صبيحة أحد الأيام، وبينما أنا بالمركز العام للسيدات المسلمات، دق جرس الهاتف، وطلب منى السكرتير أن أرد على من يطلبنى من الاتحاد

الاشتراكي، أمسكت بالسماعة قائلة لمحدثي: «السلام عليكم» ورد السلام من الجهة الأخرى، ثم قلت: «نعم، ماذا تريد؟» فسألني إن كنت أنا زينب الغزالي، ولما أجبت بالإيجاب قال:

«نحن هنا الاتحاد الاشتراكي، إن شاء الله أعضاء مجلس إدارة السيدات المسلمات وحضرتك على رأسهم تشرفني وتنوري، تأخذون علم السيدات المسلمات وتذهبون لاستقبال عبدالناصر في المطار».

فأجبت: «إن شاء الله، يفعل الله ما يشاء ويختار».

قال: «عشمتنا كده، مجلس الإدارة وعدد كبير من أعضاء الجمعية العمومية، وإذا أمرت أرسلنا لك عربة تكون تحت تصرفكم».

قلت: «شكراً».

وانتهت المكالمة.

وبعد يومين أو ثلاثة جاءت مكالمة أخرى من الاتحاد الاشتراكي، كانت سيدة تسأل عن سبب عدم حضورنا لاستقبال الرئيس في المطار. قلت: «إن أعضاء مجلس إدارة السيدات المسلمات والجمعية العمومية ملتزمات بالسلوك الإسلامي، ولا يستطيعن يا ابنتي الحضور في مثل هذه الاستقبالات المزدحمة».

قالت: «إزاي الكلام ده ياست زينب؟ يبدو إنك مش عاوزة تتعاوني معنا، هل بلغت العضوات وهن رفضن؟».

قلت: «مادمت أنا غير مقتنعة بهذا العمل لأنه يخالف تعاليم الإسلام فكيف أبلغهن؟».

قالت: «إنت غير متعاونة معنا».

قلت: «نحن مرتبطات بتعاليم القرآن والسنة، عهدنا مع الله، وتعاوننا على البر والتقوى كما أمرنا الله، والهاتف لا يصلح لمثل هذه المناقشة».

قالت: «تفضلى، سنتظرك فى مركز الاتحاد الاشتراكى بميدان عابدين لتفاهم».

قلت: «أنا مريضة، حركتى قليلة بسبب علاج رجلى، فإذا شئتِ تفضلى وشرفينا فى المركز العام للسيدات المسلمات».

قالت: «وأنت نازلة من البيت مرى علينا، ألسنتِ عضوة فى الاتحاد الاشتراكى؟».

قلت: «أنا عضوة فى المركز العام لجماعة السيدات المسلمات، والسلام عليك يا ابنتى ورحمة الله».

وانتهيت المكالمة ولم أذهب إليها.

وبعد أسبوع من هذه المكالمات التليفونية عرض على سكرتير الجماعة خطاباً مسجلاً يحمل تاريخ ١٥/٩/١٩٦٤ بقرار وزارى رقم ١٣٢ بتاريخ ٦/٩/١٩٦٤ م. والقرار ينهى إلينا حل المركز العام للسيدات المسلمات مرة أخرى!!

«لا».. للطاغية

وعقد مجلس إدارة السيدات المسلمات اجتماعاً عاجلاً فى ٩ جمادى ١٣٨٤ الموافق ١٥/٩/١٩٦٤، وهو نفس اليوم الذى وصل فيه قرار الحل، وقرر المجلس رفض قرار الحل وتسليم الجماعة وأموالها وممتلكاتها لجماعة أخرى كانت قد انفصلت عنا بإيعاز من المباحث العامة قبل انقلاب عبدالناصر، ثم تحولت هذه الفئة المشقة بعد الانقلاب إلى جند لعبد الناصر، كما قرر المجلس

دعوة الجمعية العمومية لجلسة طارئة استثنائية فى مدة لا تتجاوز ٢٤ ساعة، واجتمعت الجمعية العمومية، وقررت رفض قرار الحل وعرض الأمر على القضاء.

ووكلنا الدكتور عبدالله رشوان المحامى ليمثلنا فى القضية، وأرسلت الجماعة خطابات مسجلة وبرقيات إلى رئاسة الجمهورية ووزارة الداخلية والشئون الاجتماعية والنائب العام وصوراً منها للصحف، نخطرها برفض قرار الحل، وبأن المركز العام للسيدات المسلمات تأسس ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٦ م لنشر الدعوة الإسلامية والعودة بالمسلمين إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم، وليس لوزارة الشئون أو الداخلية ولاية علينا، والولاية لله وحده، ولمن يقيم دينه، ويحكم بشرعه.

وعند ذلك تعجل عبدالناصر قرار الحل والإدماج كما سبق أن أصدر من قبل -وللانتقام الشخصى من زينب الغزالى؛ لتعطيل دعوة الله ولوجه الشيطان- أمراً عسكرياً بوقف صدور مجلة (السيدات المسلمات) لأجل غير مسمى، وكنت صاحبة امتيازها ورئيسة تحريرها.

واقترح زبانية الطاغوت دار المركز العام لجماعة السيدات المسلمات واستولوا على محتوياته، وشرّدوا مائة وعشرين فتاة وطفلة يتيمات كانت جماعة السيدات المسلمات تؤويهن وتكفل جميع احتياجاتهن من إيواء وتعليم، بكل مراحل من الروضة إلى الجامعة.

وأحب أن أسجل هنا بكل فخر أن زبانية الطاغوت لم يجدوا سيدة واحدة فى انتظارهم من أعضاء المركز العام للسيدات المسلمات، سواء من مجلس الإدارة أو الجمعية العمومية أو هيئة الواعظات، وكانوا قد طلبوا منى الحضور لتسليمهم الدار فرفضت، وكذلك كان موقف جميع عضوات الدار فاستلموا من السكرتير الإدارى، وهو موظف وليس له هذا الحق..

ويشرفنى أن أسجل هنا بعض العبارات التى سجلتها الجمعية العمومية فى جلستها، وأرسلتها ترد بها على قرار الحل إلى رئيس الجمهورية ووزير الشؤون والنائب العام ووزير الداخلية والصحف:

«إن جماعة السيدات المسلمات أسست ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٦ م لنشر دعوة الله والعمل على إيجاد الأمة المسلمة التى تعيد للإسلام عزته ودولته، وكانت لله وستظل لله، وليس لأى حاكم علمانى حق الولاية على المسلمين».

«فجماعة السيدات المسلمات، رسالتها الدعوة إلى الإسلام وتجنيد الرجال والنساء شباباً وشيباً لاعتقاد رسالته وإقامة دولته الحاكمة بما أنزل الله».

«ونحن -السيدات المسلمات- نرفض قرار الحل، وليس لرئيس الجمهورية -وهو ينادى بعلمانية الدولة- حق الولاء علينا، ولا لوزارة الشؤون الاجتماعية كذلك. وليست الدعوة أموالاً أو حطاماً تصادره حكومة العلمانيين المحاربين لله ولرسوله وللأمة المسلمة».

«فلتصادر الحكومة الأموال والحطام ولكنها لا تستطيع أن تصدر عقيدتنا. إن رسالتنا رسالة دعوة ودعاة، إننا نقف تحت مظلة لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وهذا الاعتقاد بأنه لا إله إلا الله يلزمنا بالجهاد المستمر المتواصل غير المنقطع، حتى تقوم دولة الإسلام بأمة الإسلام الواعية لدينها الحاكمة بشرعه، المجاهدة فى سبيل نشره».

ماذا نفعل بعد ذلك؟

أخذت سيدات الجماعة يتوافدن إلى بيتى بعد ذلك متسائلات: ماذا نفعل؟.

كان هذا الموقف الشامخ من السيدات المسلمات سنة ١٩٦٤ فى قمة عنفوان السلطة الناصرية، فى الوقت الذى كان فيه الكثيرون يقفون موقف التقية،

ويقرون الطاغوت على فعله بل يصدرون الفتاوى المؤيدة لأفعاله . . . ويصبغون عليه صبغة ترفعه إلى مكان الألوهية!

وما كانت التقية كذلك يوماً ما في الإسلام لضياح العقيدة والتمويه على المسلمين، ولقد رأينا بعض المجلات الإسلامية تتسابق في إرضاء الطاغوت. حتى مجلة الأزهر نفسه العزيزة علينا معزته، تخلط بعض سطورها بنبضات هامة لكتاب منافقين يتسابقون في إرضاء الباطل وأهله . . .

وأخذت الفتاوى تتوالى في تجريح المجاهدين الذين أخذوا بالعزيمة ولم يأخذوا بالضلال، الذي سماه من أخذ به رخصة، جرحوا المجاهدين الذين قالوا بالتزام الإسلام لا بالانتماء إليه، والالتزام هو الإسلام، أما الانتماء بغير التزام فشيء آخر.

وقد أبت جماعة السيدات المسلمات أن تأخذ بما سموه رخصة، أو أن تكتفى بالانتماء، فرفعت لواء الحق وقالت كلمة الصدق في وقت تخلّى فيه كثير من الناس عن الحق والصدق خوفاً على مناصبهم وضياح دنياهم، ولم تقف موقف المتفرج كما فعل كثير من الناس، ولكنها قالت رأيها بصراحة - في الأوضاع التي كانت سائدة يومئذ - لا تبتغى إلا وجه الله وإن غضب الناس جميعاً. وكانت عضوات الجماعة لا يصبرن على عدم لقائي فأخذن يتوافدن على بيتي يواسينني في الأمر. فقد كانت جماعة السيدات المسلمات حياتي ووجودي، عاهدت الله يوم تأسيسها أن لا أعيش لغيره سبحانه. وأخذت أعداد السيدات المسلمات الكبيرة المتوافدة على داري يعاهدن الله من جديد ألا يعشن إلا لكلمة الحق وتبليغها، واتفقن معي على عقد اجتماعات بمنزلهن تتولى الواعظات فيها إرشاد السيدات إلى مبادئ الإسلام، ولكن حكومة الطاغية التي كانت تتعقب الدعاة إلى الله في كل مكان بهذه الاجتماعات، أرسلت إلى

السيدات اللائى يتم الوعظ فى منازلهن وقامت بتهديدهن وأخذ التعهد عليهن
ألا يعقدن اجتماعاً للوعظ فى بيوتهن . واقتصر النشاط بعد ذلك على الاتصال
الفردى .

المساومة ثم المخادعة

أخذ رجال المباحث والمخابرات الناصرية يطلبون مقابلتى ويعرضون علىّ
عروضاً لإعادة المركز العام للسيدات المسلمات . وكانت هذه العروض تكلفنى
أن أشتري الدنيا بالآخرة . وعلى سبيل المثال عرضوا علىّ إعادة إصدار مجلة
السيدات المسلمات باسمى كرئيسة للتحريير وصاحبة الامتياز مقابل ٣٠٠ جنيه
شهرياً، على أن لا يكون لى شأن بما يكتب فى المجلة . وكان جوابى : مستحيل
أن تصدر مجلة السيدات المسلمات من مكاتب المخابرات لتنشر علمانية العهد .
لم أعتد إلا أن أكون مسئولة مسئولة فعلية . كذلك عرضوا علىّ إعادة المركز
العام وصرف إعانة قدرها عشرون ألف جنيه سنوياً، على أن يكون إحدى
مؤسسات الاتحاد الاشتراكى . .

وكانت أجابتى : إن شاء الله ، لن يكون عملنا إلا للإسلام ولن نموه ولن
نضل . إن الذين يتكسبون بالإسلام لا يستطيعون خدمته ، وكان هذا الرفض
يغضبهم . ولكنهم يحاولون إغرائى المرة بعد المرة . وكنت أتعجب من هذه
الطريقة ومن إصرارهم على هذه المحاولات الفاشلة ، ولكننى اكتشفت الحقيقة
بعد ذلك وعرفت لماذا هم حريصون على مخادعتى .

خفافيش الليل

ففى إحدى الأمسيات ، وأنا فى منزلى ، استأذن ثلاثة رجال لمقابلتى ، وبعد
دخولهم إلى حجرة الصالون ذهبت إليهم فوجدتهم يلبسون (غترًا) عربية ، ولما

سلمت عليهم قدموا لى أنفسهم على أنهم من سوريا، قادمون من السعودية للفسحة فى القاهرة لمدة عشرة أيام وأنهم قابلوا فى السعودية الأستاذ سعيد رمضان والشيخ مصطفى العالم وكامل الشريف ومحمد العشماوى وفتحى الخولى (هؤلاء من الإخوان الذين فروا من الطاغوت وظلمه)، وهم يسلمون على الإخوان فى مصر ويريدون أن يطمئنوا عليهم وعلى تنظيمهم، وقد أمرونا بالانضمام إلى هذا التنظيم ونحن مستعدون لتنفيذ الأوامر والبقاء فى مصر لمعاونة التنظيم.

ثم أخذوا يتحدثون عن الإخوان وعن عبدالناصر وكيف أنه يضطهد الإخوان المسلمين ثم تكلموا عن أحداث سنة ١٩٥٤ وعن حل جماعة الإخوان المسلمين واستشهاد عبدالقادر عودة وزملائه، وكيف أنهم مستعدون للأخذ بالثأر وقتل عبدالناصر، وأن هذا هو رأى كامل الشريف والعشماوى ورمضان والخولى والعالم.

ولما كنت أسمع لهم فقط، طلبوا منى الإجابة، فقلت: «أنا أستمع إلى أشياء جديدة على ومصطلحات لا أدرى عنها شيئاً». قالوا: «سنرجع لك يا أخت زينب مرة أخرى لنعرف رأى المرشد ورأى التنظيم فى هذا...».

فأجبتهم باقتضاب:

«أولاً: أنا لا أعرف شيئاً يسمى التنظيم فى الإخوان. وأسمع أن الإخوان كجماعة قد حلت كما تقول الحكومة.

ثانياً: أنا لا أحدث المرشد فى مثل هذه الأمور، فصداقتى به وصلتى: إخوة إسلامية ومحبة عائلية.

ثالثاً: إن قتل عبدالناصر شىء غير وارد عند المسلمين كما أتصور، وأنا

أنصحكم بالعودة إلى بلدكم والاشتغال بتربية أنفسكم إسلامياً .

وبعد أن كانوا يستمعون إلىَّ وهم وقوف جلسوا وقال أحدهم : «الظاهر أن الأخت زينب غير مقتنعة . من الذى خرب بلاد المسلمين غير عبدالناصر؟» .

قلت : ليس من رسالة الإخوان المسلمين قتل عبدالناصر على ما أعتقد . وسألتهم أن يعطوني أسماءهم فأعطوني أسماء تلعثموا كثيراً وهم ينطقونها . وكانت : عبدالشافى عبدالحق ، عبدالجليل عيسى ، عبدالرحمن خليل .

ضحكت لمصادفة وجود كلمة «عبد» فى الأسماء الثلاثة ، وكان واحد منهم فقط هو الذى ذكر أسماء الثلاثة .

وقلت لهم : خير لكم أن ترجعوا إلى بلدكم قبل أن تمسك بكم مباحث عبدالناصر إن كنتم لا تعرفونها ، وليس لكم بها صلة فعلاً وأنا أعتقد ذلك . وأجاب أحدهم : على كل حال لك الحق فى أن تشكى يا حاجة فينا ، سنزورك مرة أخرى وستعرفين من نحن .

وانصرفوا .

وزارنى الأخ عبد الفتاح إسماعيل فذكرت له قصة الزوار السوريين المزعومين . . .

كلهم أحمد راسخ !

لم يمض أسبوعان على الزيارة الأولى حتى فوجئت بزيارة رجل يدعى أحمد راسخ قدم لى نفسه على أنه من المباحث العامة . وأخذ يسألنى عما دار بينى وبين السوريين الذين زارونى . . .

فوضحت له أننى مدركة تماماً أنهم جواسيس وليسوا إخواناً سوريين ، وأنهم

فى المباحث قد أرسلوهم؁ وأن هذه أعمال صبيانىة سخيقة؁ فقد فعلوا كل ما يريدون؁ صادروا المجلة والمركز العام فما الذى يريدونه بعد ذلك؟!

وكان أغرب ما سألنى عنه ما أعنيه فى أحاديثى عن جمالوف وجمالفة . فقلت له : إن هؤلاء ملاحدة يفخرون بالانتماء إلى الباطل وأهله . وغير الحديث قائلاً : «إننا مسلمون يا حاجة» قلت : «إن المسلمين غير ذلك ؛ ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴾ [فصلت : ٥] قال : «لو تفاهمت معنا لأصبحت من الغد وزيرة للشئون الاجتماعية» . فضحكت ساخرة وقلت : «المسلمون لا تغريهم المناصب؁ ولا يشتركون فى حكومات علمانية إلحادية . ومركز المرأة المسلمة يوم تقوم حكومة الإسلام ستقرره الحكومة الإسلامية . ماذا تريدون منى؟» قال : «نريد أن نتفاهم معاً» قلت : «هذا مستحيل؁ أناس يدعون للكفر ويرفعون شعارات الضلال . . . وأناس يدعون لتوحيد الله والإيمان به . . . فكيف يتفق هذا؟» .

ثم أردفت قائلة : «توبوا إلى الله واستغفروه وارجعوا إليه . . . أرجو إنهاء المقابلة» . وكان قد فرغ من القهوة التى قدمت له فقام منصرفاً وهو يقول : «والله نحن نريد أن نتفاهم معك . ويوم نتفاهم معك؁ ستكونين أنت التى ستصدرين قراراً بإعادة جماعة السيدات المسلمات وكذلك المجلة»؁ قلت له : شكراً . . الإسلام فى غنى عن الهيئات والجماعات التى ترضى بالعمالة لأعداء الإسلام؁ ربنا يهديكم ويتوب عليكم» .

وبعد يومين من هذه الزيارة وقفت عربة حكومية على باب منزلى ونزل منها شاب يرتدى ملابس كحلية اللون وكنت أجلس فى شرفة المنزل فدخل وقال : «السلام عليكم يا حاجة زينب» . فرددت السلام ودعوته لدخول المنزل؁ ودخل حجرة الضيوف وقدم لى نفسه . . أحمد راسخ ضابط من المباحث العامة؁

ونظرت إليه بتدقيق وكأني أبحث طوله وعرضه، فقد دعيت مرة إلى وزارة الداخلية لمقابلة شخص يسمى أحمد راسخ! . . . وذهبت إلى هناك وكان فوق مكتبه لوحة مكتوبا عليها أحمد راسخ، ثم حدث أن زارني قبل يومين الشخص الذي يسمى نفسه: أحمد راسخ، وها هو شخص ثالث يدعى أحمد راسخ يزورني!!

اسم واحد لثلاث شخصيات مختلفة . . .

أخذت أنظر إليه وأنا لا أصدق ما أرى . . فمن غير المعقول أن يكون كل رجال المباحث العامة أحمد راسخ! . . .

وشعر بنظرتي الفاحصة فسألني: «ممتعجين يا حاجة زينب؟ من زيارتي؟».

عجبت من هذا الأمر، وأجبت ساخرة:

«لا. إن هذا البيت يستقبل ضيوفه دائماً -سواء كانوا على موعد أو على غير موعد- بترحيب وتكريم. ولكني سأحكي حكاية قرأتها في جريدة الأهرام على ما أذكر.

«كانت ملكة هولندا وزوجها في ضيافة ملك إنجلترا منذ مائتي عام تقريباً ولفت نظر ملك إنجلترا اهتمام ملكة هولندا بكلب كان يجرى في مكان الاستقبال، هرولت إليه في لهفة وكأنها فقدت الوعي، وحملته إلى صدرها وأخذت تقبله بشغف وحنان، ثم أعطته لزوجها وهي تسر له ببعض الكلمات وتشير إلى عيني الكلب ووجهه فأخذ الملك الكلب وأخذ يقبله كذلك . . .

تعجبت ملكة إنجلترا وزوجها مما رأيا وبخاصة بعد أن عادت ملكة هولندا وأخذت الكلب من زوجها وهما يجففان الدموع المنهمرة من أعينهما، أخذته

وضمته إلى صدرها كطفل عزيز عليهما. ولما دُعيا إلى مائدة الطعام الملكية أخذت ملكة هولندا الكلب معها وأخذت تطعمه وتدله. وقالت ملكة إنجلترا: إن الكلب لا بنتها الأميرة. أما الملك فقد سأل ضيوفه عن سر هذا التعلق بالكلب وقال وكأنه يعتذر: «لولا أن الأميرة متعلقة بهذا الكلب لأهديته لكم». فقالت ملكة هولندا التي كانت تؤمن بتناسخ الأرواح، إن لها ابناً مات وقد انتقلت روحه إلى هذا الكلب وأخذت تحاول إقناع ملكي إنجلترا بأن عيني الكلب هما عينا ابنها تماماً. . . .

وأقنع ملك إنجلترا ابنته بإهداء الكلب لملكة هولندا فأهدته لها فقد كانت تسمع القصة مع والديها».

ثم قلت له: «يا أستاذ راسخ، إن الذين يقولون بتناسخ الأرواح يدعون بعض الشبه بين الشخص المتوفى وبين الذي حلت فيه الروح بعد ذلك. ولكنني التقيت بثلاثة من المباحث كلهم يدعى أنه أحمد راسخ، ومع ذلك فهم مختلفون في الطول والعرض واللون ولا يوجد تشابه بينهم. . . . فهل قرر رئيس جمهوريتكم اعتناق مذهب جديد في تناسخ الأرواح وأمركم باعتناقه؟!» فارتسمت على وجهه دهشة شديدة وحيرة بالغة. وقال: «نحن ناس طيبون يا حاجة ونريد أن نتفاهم معك، أنا صحيح أحمد راسخ». قلت: «وهذا الأمر ليس له من الأهمية نصيب».

وسألت: «ماذا تريد؟».

قال: «إن الحكومة ترغب رغبة شديدة في التفاهم معك، ونحن نعلم أن الإخوان المسلمين خدعوك وأقنعوك بمبادئهم، والذي حدث لجماعة السيدات المسلمات وحل مركزها العام كان سببه الإخوان. هؤلاء ناس مشاغبون. ونحن

نريد أن تتفاهمى معنا . وما نريده بسيط جداً هو أن نعرف الأفراد القائمين بنشاط من الإخوان المسلمين ، والله يا حاجة الرئيس سيحفظ لك هذه الخدمة ، وفى أيام قليلة ستلمسين نتيجة تعاونك معنا . وأنت سيدة طيبة طول عمرك ولا شأن لك بشغب الإخوان المسلمين وكفى ما سببوه لك مع الحكومة» .

وأخذ يدعى أن الأستاذ الإمام الهضيبى والإمام سيد قطب . . يعملان بكل جهدهما ليتفاهما مع الرئيس ، ولكن الرئيس يرفض التعاون معهما لأنه لا يأمن لهما .

وأضاف : ولو كنت تعرفين ما يقوله الإخوان عنك لتفاهمت معنا وتركت هؤلاء الذين تسببوا لك فى كل ما حدث من اضطهاد الحكومة لك وللسيّدات المسلمات .

وضحكت . . .

ثم قلت : «سأتكلم معك على أنك رجل من رجال المباحث لا يهمنى اسمه ولا رسمه :

أولاً : إننى أعتقد أن المسلمين الذين لا يعلمون من الإسلام إلا ظواهره يعرفون ويعتقدون أنكم بعيدون عن الإسلام ومحاربون له . أتريدون أن تتفقوا مع الحق وأنتم على الباطل؟! تستوردون عقائدكم من الشرق والغرب معاً . ترفعون شعارات الإلحاد الشيوعى ، وتارة تسمسحون بآلهة الرأسمالية وأنتم ضائعون بين الشعارين . . ومن هذا الضياع تستمدون تشريعاتكم وأحكامكم ، أظننى صريحة معك وكلامى واضح لا يحتاج إلى تأويل . الإسلام شىء آخر غير ما تريدون» .

قال : «والله يا حاجة أنا أصلى الجمعة» .

قلت : «وبقية الفرائض؟» .

قال: «تعودت أن أصلى الجمعة لأن والدى كان يفعل ذلك وكان يأخذنى معه إلى المسجد يوم الجمعة...».

قلت له: «ألم تسأل والدك لماذا يصلى الجمعة فقط؟».

قال: «قلوبنا مسلمة يا حاجة مادمنا نقول: لا إله إلا الله. كفاية ذلك».

قلت: «إن كلمة (لا إله إلا الله) بغير التزامكم بها ستكون حجة عليكم عند الله، لا حجة لكم».

قال: «الناس على دين ملوكهم».

قلت: «إن شاء الله تحشرون على دين ملوككم».

قال: «عشى أن نتفاهم».

قلت: «إن رسالات الأنبياء على مدى التاريخ لم تلتق أبداً بالباطل وأهله إلا لتدعوهم ليسلموا وجوههم لله سبحانه ﴿إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المتحنة: ٤ - ٥].

فانصرف وهو يقول فى لهجة غاضبة: «طبعاً.. أنا لن أجيء لك ثانية وإذا أردت الاتصال بى فيها هو رقم تليفونى».

قلت له: «متشكرة، لا أريده».

وفى أواخر شهر يولييه ١٩٦٥ علمت أن هناك عمليات اعتقال فى صفوف الإخوان المسلمين وكان لى بهذه الجماعة صلة وثيقة قديمة...

الباب الثانى

وكانت بيعة

لم تكن صلتى بجماعة الإخوان المسلمين حديثة كما توهمها العابثون إذ كانت تعود بتاريخها إلى سنة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٧ م.

فى ذلك اليوم البعيد المبارك من عام ١٣٥٨ هـ تقريباً وبعد ما يقرب من ستة أشهر على تأسيس جماعة السيدات المسلمات كان أول لقاء لى مع الإمام الشهيد حسن البنا. كان ذلك عقب محاضرة ألقيتها على الأخوات المسلمات فى دار الإخوان المسلمين وكانت يومئذ فى العتبة.

كان الإمام المرشد فى سبيله لتكوين قسم للأخوات المسلمات، وبعد مقدمة عن ضرورة وحدة صفوف المسلمين واتفاق كلمتهم دعانى إلى رئاسة قسم الأخوات المسلمات. وكان هذا يعنى دمج الوليد الجديد الذى اعتر به «جماعة السيدات المسلمات» واعتباره جزءاً من حركة الإخوان المسلمين، ولم أعد بأكثر من مناقشات الأمر مع الجمعية العمومية للسيدات المسلمات، التى رفضت الاقتراح وإن حبذت وجود تعاون وثيق بين الهيئتين.

وتكررت اللقاءات مع تمسك كل منا برأيه، وتأسست الأخوات المسلمات ولم يغير ذلك من علاقتنا الإسلامية شيئاً. وحاولت فى آخر لقاء لنا فى دار السيدات المسلمات أن أخفف من غضبه بعهد آخذه على نفسه أن تكون

السيدات المسلمات لبنة من لبنات الإخوان المسلمين على أن تظل باسمها واستقلالها بما يعود على الدعوة بفائدة أكبر، على أن هذا أيضاً لم يرضه عن الاندماج بديلاً، ودارت الأحداث بسرعة ووقعت حوادث سنة ١٩٤٨، وصدر قرار حل جماعة الإخوان ومصادرة أملاكها وإغلاق شعبها، وزج بالآلاف في المعتقلات وقامت الأخوات المسلمات بنشاط يشكرن عليه، وكانت إحداهن السيدة تحية الجبيلي زوجة أخى وابنة عمى ومنها عرفت الكثير من التفاصيل، ولأول مرة وجدت نفسى مشتاقة إلى مراجعة كل آراء الأستاذ البنا وإصراره على الاندماج الكلى. وفى صبيحة اليوم التالى لحل جماعة الإخوان كنت بمكتبى فى دار السيدات المسلمات وفى نفس الحجرة التى كان بها آخر اجتماع لى بالمرشد الإمام، ووجدت نفسى أجلس إلى مكتبى وأضع رأسى بين يدى وأبكى بكاءً شديداً، فقد أحسست أن حسن البنا كان على حق فهو الإمام الذى يجب أن يبايع من المسلمين جميعاً على الجهاد لعودة المسلمين إلى مقعد مسئوليتهم، وإلى وجودهم الحقيقى الذى يجب أن يكونوا فيه، وهو مكان الذروة فى العالم، يقودونه إلى حيث أراد الله ويحكمونه بما أنزل الله. وأحسست أن حسن البنا كان أقوى منى وأكثر صراحة فى نشر الحقيقة وإعلانها.

وإن هذه الشجاعة والجرأة هى الرداء الذى يجب أن يرتديه كل مسلم، وقد ارتداه البنا ودعا إليه.

ثم وجدت نفسى أهتف بالسكرتير ليوصلنى بالأخ عبد الحفيظ الصيفى الذى كلفته بنقل رسالة شفوية للإمام البنا يذكره فيها بعهدى فى آخر لقاء لنا. . .
وحين عاد لى بتحيته ودعائه استدعيت أخى محمد الغزالى الجبيلى وكلفته بإيصال وريقة صغيرة بواسطة زوجته إلى الإمام المرشد، وكان فى

الوريقة :

«سيدى الإمام حسن البنا . .

زينب الغزالى الجبلى تتقدم إليك اليوم وهى أمة عارية من كل شىء إلا من عبوديتها لله وتعبيد نفسها لخدمة دعوة الله ، وأنت اليوم الإنسان الوحيد الذى يستطيع أن يبيع هذه الأمة بالثمن الذى يرضيه لدعوة الله تعالى .

فى انتظار أوامرك وتعليماتك سيدى الإمام» .

وعاد شقيقى ليحدد لى لقاءً سريعاً فى دار الشبان المسلمين ، كان المفروض أن يحدث وكأنه مصادفة . ولم أكن أعدم مبرراً لتواجدى هنا ، فقد كنت ذاهبة إلى صالة دار الشبان لإلقاء محاضرة ، والتقيت بالأستاذ البنا فقلت له ونحن نصعد الدرج : «اللهم إنى أبايعك على العمل لقيام دولة الإسلام وأرخص ما أقدم فى سبيلها دمي ، والسيدات المسلمات بشهرتها» . فقال : «وأنا قبلت البيعة وتظل السيدات المسلمات الآن على ما هى عليه» . وافترقنا على أن يكون اتصالنا بواسطة منزل أخى ، وكانت أول رسالة من الإمام تكليفاً بالوساطة بين النحاس والإخوان ، وكان رفعة مصطفى باشا النحاس خارج الحكم حينذاك وحدد النحاس المرحوم أمين خليل للقيام بإزالة سوء التفاهم ، ورضى به الإمام الشهيد وكنت أنا حلقة الاتصال . وفى ليلة من ليالى فبراير سنة ١٩٤٩ جاءنى أمين خليل يقول لى : «يجب اتخاذ إجراءات سريعة ليسافر البنا من القاهرة فالمجرمون يأتمرون به ليقتلوه» . ولم أجد وسيلة للاتصال به مباشرة فقد اعتقل أخى ، فحاولت الاتصال بالإمام الشهيد شخصياً ، وأنا فى طريقى للاتصال بلغنى خبر الاغتيال ونقله إلى المستشفى ثم تواترت الأخبار بسرعة بسوء حالته ، وذهب شهيداً إلى ربه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

وجاءت حكومة اتحاد الأحزاب وأصدرت أمراً بحل جماعة السيدات المسلمات، واعترضت أمام القضاء الذى حكم لنا فى عهد حكومة حسين سرى باشا سنة ١٩٥٠ بالعودة للنشاط. وكان المحامى فى القضية الأستاذ عبد الفتاح حسن «باشا»، وجاءت حكومة الوفد وعاد الإخوان إلى نشاطهم وهم على بيعتهم للإمام المرشد حسن الهضيبى، وأحييت فى اليوم الأول لافتتاح المركز العام للإخوان المسلمين أن أعلن ولائى للدعوة بطريق غير مباشر إلى أن يقضى الله فى الأمر بما يريد، فتبرعت بأعلى شىء كنت أعتز به فى أثاث منزلى وهو طقم صالون أرابيسك مطعم بالصدف ليؤثث به مكتب المرشد العام.

وسارت الأمور هادئة، وزارنى الشهيد عبد القادر عودة وشكرنى على التبرع وقال: «يسعدنا إذا أصبحت زينب الغزالى الجبيلى من الإخوان المسلمين».

قلت: «أرجو أن أكونها بإذن الله». فقال: «قد كانت والحمد لله». وصارت الأمور فى هدوء ومودة بينى وبين كثرة من أعضاء الجماعة، حتى جاءت حكومة الانقلاب العسكرى بقيادة اللواء محمد نجيب الذى كان قد زارنى قبل الانقلاب بأيام بصحبة الأمير عبد الله الفيصل ويس سراج الدين والشيخ الباقورى وشقيقى على الغزالى بمناسبة وجود الأمير عبد الله الفيصل فى مصر، وقد تعاطف الإخوان مع الانقلاب -وكذلك السيدات المسلمات- لفترة، أحسست بعدها أن الأمور لا تسير كما كنا نأمل، وأنها ليست الثورة المنتظرة تتويجاً لجهود سبقت على أيدى العاملين لإنقاذ هذا البلد. . . وأخذت أنقل رأى لمن ألقاه من الإخوان. وحين عرضت مناصب وزارية على بعض الإخوان وضحت رأى فى مجلة السيدات المسلمات، فما كان لأحد من الإخوان أن يقسم يمين الولاء للحكومة لا تحكم بما أنزل الله. . . ومن يفعل منهم ذلك يجب فصله من الإخوان، وواجب الإخوان أن يحددوا موقفهم بعد أن اتضحت نوايا

الحكومة .

وزارنى الشهيد عبد القادر عودة طالباً منى تأجيل الكتابة فى هذا الموضوع ،
وأمسكت عديدين ، ثم عدت إلى الكتابة إلى أن زارنى الشهيد عبد القادر عودة
للمرة الثانية حاملاً فى هذه المرة أمراً من المرشد بعدم الكتابة فى هذا الموضوع ،
وتذكرت بيعتى للبنا - رحمه الله - واعتقدت أن الولاء قائم بها للهضيبى ،
وامثلت للأمر .

ومنذ ذلك الوقت والبيعة تحكم تصرفاتى حتى ما يبدو منها خاصاً كرحلة
مؤتمر السلام فى فيينا التى لم أقم بها إلا بعد أن حصلت على إذن الإمام
المرشد الهضيبى .

.. وسقط القناع

ومرت الأيام وجاءت أحداث ١٩٥٤ ونكباتها ومخازيها التى أسقطت القناع
عن وجه جمال عبد الناصر لتظهر عداؤه للإسلام ومحاربتة له فى شخوص
دعائه وقيادات نهضته ، وصدرت أحكام الإعدام البشعة على قمم القيادات
الإسلامية : الشهيد المستشار عبد القادر عودة ، وصاحب الفضيلة العالم الأزهرى
الورع الذى رصدت القيادة البريطانية فى القنال عام ١٩٥١ عشرة آلاف جنيه
لمن يأتى به حياً أو ميتاً : الشيخ محمد فرغلى الذى أهدى للاستعمار ميتاً دون
أن تخسر الخزينة البريطانية مبلغ المكافأة ، وباقى الشهداء الكرام .

حتى المجاهد الكبير حسن الهضيبى حكموا عليه بالإعدام ، ولم ينفذ ، فقد
أصيب فجأة بذبحة شديدة بالقلب نقل على إثرها للمنزل ، وقرر الأطباء أنه لن
يعيش إلا ساعات ، وهنا ظهر عبد الناصر فأصدر عنه عفواً ، متوقعاً أن يقرأ
نعيه فى الصحف صباح اليوم التالى ، ولكن قدرة الله أحبطت كيده ، وعاش

الإمام. فلكل أجل كتاب، نعم عاش، ليؤدى بعد ذلك خدمات للمسلمين ويقود الدعوة الإسلامية فى أحلك أيام شهدتها الدعوة، وقد أظهر قوة الصلابة فى الحق وهو المريض بعدة أمراض مما أذهل الجلادين وجعلهم يقودونه إلى السجن الحربى مرة أخرى، ويعذبونه بأبشع أنواع التعذيب، ولكنه ظل متمسكاً بالحق سائراً على طريق أصحاب الدعوات إلى أن شهد هو نهاية عبد الناصر وزبانيته وهو صامد، رافع أعلام الحق والتوحيد الذى اعتقده، متلبس بكل حبات وجوده، وأخذ بالعزيمة ولم يتسرب إلى نفسه ضعف أو وهن فى دين الله ورفض أن يأخذ بالرخص فقيم فى بيته وينكر بقلبه كما يفتى ويأخذ بذلك بعض العلماء.

بل إنى لأذكر له هذا الموقف الكريم الشجاع حينما أراد بعض من طالت عليهم المدة واعتراهم بعض الضعف أن يأخذوا بالرخصة ويكتبوا للطاغية مؤيدين وملتمسين العفو منه، وسألوا الإمام حسن الهضيبى أن يأذن لهم فى ذلك فقال قولته المشهورة:

«أنا لا أكره أحداً على الأخذ بالعزيمة والوقوف معنا، ولكنى أقول لكم: إن الدعوات لم تقم يوماً بالذين يأخذون بالرخص».

قال ذلك وهو الشيخ الكبير ذو الثمانين عاماً، وظل بسجن مزرعة طرة إلى آخر الأفواج التى أفرج عنها بعد موت عبد الناصر.

ولنا عودة أخرى إلى تفاصيل أحداث ١٩٦٥.

صرخات تنادى للواجب

وفى عام ١٩٥٥ رأيت نفسى مجندة لخدمة الدعوة الإسلامية بغير دعوة من أحد. فقد كانت صرخات اليتامى الذين فقدوا آباءهم بالتعذيب، ودموع النساء

اللاتى ترملن وأزواجهن خلف قضبان السجون، والآباء والأمهات من الشيوخ الذين فقدوا فلذات أكبادهم، كانت هذه الصرخات والدموع تنفذ إلى أعماقى، ووجدت نفسى وكأنى من المسؤولين عن ضياع الجياع وجراح المعذيين، وأخذت أقدم القليل.

ولكن أعداد الجياع تزداد يوماً بعد يوم، وأعداد العرايا كذلك، وأخبار الشهداء الذين يقضى عليهم تحت سياط الفجرة المارقين القساة الجاحدين. والمدارس والجامعات تتطلب مصاريف وأدوات وملابس. وأصحاب المنازل يطالبون بإيجار منازلهم. وزادت المشكلة تعقيداً، وثقل الحمل على حامله. واتسع الخرق على الراقع وبخاصة بعد عام ونصف، وبالتحديد فى منتصف سنة ١٩٥٦ حينما خرج بعض أعداد من المعتقلين الذين لم يحكم عليهم. كان البعض منهم فى أشد الحاجة لمن يزوده بالمال والطعام والملابس والمأوى. كل هذا والمسلمون فى هذا البلد الطيب فى مصر التى نكبت بمن قاد الانقلاب ليس فيهم من يعى واجبه، بل على العكس من ذلك وجدنا كثيراً من علماء وشيوخ الدين يتبرأون من المجاهدين..

كان الجميع من المتفرجين على ما يحدث، حتى الذين يكون للمأساة ويتألمون، كانوا يكتمون آلامهم ويخفون دموعهم خشية أن يتهمهم الطاغية بأنهم مسلمون! ولما اشتد بى الألم على ما وصلت إليه الأمور، ولما لم أجد لنفسى مخرجاً، ذهبت إلى زيارة أستاذى الجليل صاحب الفضيلة الشيخ محمد الأودن، وهو من القلة القليلة التقية النقية من رجال الأزهر. وكنت أستشيريه فى كل ما يعرض لى من أمور الدعوة وعلوم الإسلام، وكان يعتقد معى أن عدم اندماج السيدات المسلمات ربما يخدم الإخوان فى فترة مقبلة.

وقد كان يعلم بيعتى للبنا وبياركها ويؤيدها، كما كان يعلم ولائى للدعوة

بعد استشهاد البناء، وقبله.

وجلست إليه أحدثه عن مأساة الأسر، كان يستمع إلىّ فى ألم شديد، وأنهيت حديثى بعرض ما فكرت فى عمله فى حدود إمكانياتى. وكنت أرى أنه لا يكفى أن نتألم وجراح الجوع وجراح السياط وجراح العرايا وتشرد النساء والأطفال يجرى بقسوة وشدة فى دوائر حياة الدعاة والمليين والمجاهدين لتكون كلمة الله هى العليا.

وأرى أننى أستطيع كرئيسة للسيدات المسلمات أن أقدم العون إن شاء الله لأسر الإخوان بما يمكننى الله فيه.

فقبل فضيلته رأسى وهو يبكى قائلاً لى: لا تردد فى أى عون، والله هو المبارك للخطى. وعدت لأوضح له موقفى فى الجماعة والثقة المطلقة فى شخصى من السيدات المسلمات عضوات الجماعة فقال لى فضيلته: قد أصبح فرضاً حتمياً عليك أن لا تبخلى بجهد فى هذا الطريق، وما تقومين به اجعليه بينك وبين الله تبارك وتعالى، ثم أضاف: إن المنقذ الوحيد بأمر الله للإسلام هم هؤلاء المعذبون «الإخوان المسلمون». لا أمل لنا إلا فى الله ثم فى إخلاصهم وما يبذلون فى سبيل الدعوة. اعملى يا زينب كل ما تستطيعين عمله. وعملت فعلاً كل ما أستطيع، وبذلت جهدى فى أن أقدم شيئاً، ولم يشعر أحد أنى أفعل شيئاً، فقد كان فرد أو فردان هما اللذان أسلمهما ما أستطيع على أنها أشياء مرسلة لى وأنا مكلفة بنقلها إليهم فقط.

ثم علمت أن الوالدة الفاضلة المجاهدة الكبيرة حرم الأستاذ الهضيبى تبذل هى أيضاً مجهوداً كبيراً مع بعض الفضليات الكريمات من الأخوات المسلمات مثل: المجاهدة آمال العشماوى حرم الأستاذ المستشار منير الدلة، وكانت هى

بنفسها على رأس الأخوات المسلمات، ومثل خالدة حسن الهضيبي وأمينة قطب وحميدة قطب وفتحية بكر والمجاهدة أمينة الجوهرى وعليه الهضيبي وفتحية سليمان الجبيلي.

واتسعت اتصالاتي رويداً رويداً فاتصلت بخالدة الهضيبي في سرية شديدة، ثم بحميدة قطب وأمينة قطب، وكل ذلك من أجل المعزين والأطفال واليتامى.

على الطريق مع عبد الفتاح إسماعيل

كان أول لقاء لى به فى عام ١٩٥٧ وفى موسم الحج.

كنت فى ميناء السويس على رأس بعثة الحج لجماعة السيدات المسلمات، وكان معى فى المودعين شقيقى محمد الغزالى الجبيلى فوجدته مقبلاً علىّ فى صحبة إنسان يكسو وجهه نور ومهابة يغض بصره، قدمه لى أخى قائلاً: الأخ عبد الفتاح إسماعيل، كان من أحب شباب الإخوان إلى الإمام الشهيد حسن البنا، كان فضيلة المرشد يحبه ويؤثره، وله فيه ثقة مطلقة، وقد طلب منى أن أقدمه لك بهذه الصورة حتى تعرفيه، وحيانى الأخ وهو يقول: سأكون إن شاء الله معكم فى الباخرة، فرحبت به وانصرف، وصعدنا إلى الباخرة وتحركت بعيداً عن الشاطئء وانشغلت بمطالب البعثة، بعثة حج السيدات المسلمات. وعندما ذهبت إلى حجرتى لأستريح بعد تناول الغداء، سمعت طرقات على الباب، أذنت بالدخول فتكرر الطرق ثانية، ولكن الطارق كان يذهب بعيداً عن فتحة الباب، ولما سمع صوتى يأذن بالدخول للمرة الثالثة. دخل فوجدته الأخ الذى قدمه لى شقيقى على رصيف الميناء.. قال فى إخبات وهو يطرق إلى الأرض بعد أن ألقى على السلام: أنا أعلم بحمد الله أن بينك وبين الإمام

الشهيد بيعة بعد طول خلاف، ولما سألته عن مصدر معلوماته أجاب: الإمام
الشهيد نفسه طيب الله ثراه. . فسألته عما يريد، أجاب: أن نلتقى فى مكة
لوجه الله نتحدث فيما كان البنا يريده منك إن شاء الله .

كانت كلمات سهلة العبارات طيبة النوايا لينة، لكنها مع بساطتها قوية
صادقة ثقيلة التكاليف تحمل معنى الأمر ولا تترك مجالاً للتفكير.

قلت: إن شاء الله فى دار بعثة السيدات المسلمات بمكة أو بجدة، ولما سأل
عن العناوين حدثته عن أخوين فى جدة قال إنه يعرفهما، وهما الشيخ العشماوى
ومصطفى العالم، وكلاهما يستطيع أن يرشده إلى مكان إقامتى بمكة وجدة.

حيانى الأخ وانصرف.

وفى ليلة من لىالى ذى الحجة كنت على موعد بعد صلاة العشاء مع فضيلة
المرحوم الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم المفتى الأكبر للمملكة العربية السعودية
حينذاك. . وكنا نبحث معاً مذكرة قدمتها لجلالة الملك أشرح له فيها ضرورة
تعليم البنات فى المملكة، وأطلب منه الإسراع فى تنفيذ هذا المشروع، مبينة
مصلحة المملكة فى ذلك، وحولت المذكرة على فضيلة المفتى وطلب مقابلتى.

وقضيت ساعتين أبحث المشروع معه، وعند انصرافى من مجلسه، أخذت
طريقى إلى باب السلام، وكان فى نيتى أن أطوف حين أوقفنى صوت ينادىنى
باسمى محيياً بتحية الإسلام، والتفت فإذا به عبد الفتاح إسماعيل وسألنى عن
وجهتى، ولما عرف أنها الطواف ثم دار البعثة صحبنى إلى المسجد وطفنا بالبيت
معاً وبعد صلاة سنة الطواف جلسنا تجاه الملتزم وأخذ يتحدث فيما يريد.

سألنى عن رأى فى قرار حل الإخوان.

أجبت أنه قرار باطل شرعاً.

قال : هذا الأمر الذى أريد بحثه معك . . ولما سألته أن يزورنى فى دار البعثة استبعدها كمكان لمثل هذه الأمور خوفاً من أجهزة التجسس الناصرية، واتفقنا على أن نجتمع فى مكتب عمارة الحرم المكى . . فى مكتب معالى الرجل الصالح الشيخ صالح القزاز، واجتمعنا هناك، ولكنه أسر إلى أن الأفضل أن نلتقى فى الحرم وانصرف هو على أن نلتقى خلف مقام إبراهيم.

وبعد ركعتى الطواف جلسنا خلف مبنى زمزم بالقرب من مقام إبراهيم، وأخذ يتحدث عن بطلان قرار حل جماعة الإخوان المسلمين ووجوب تنظيم صفوف الجماعة وإعادة نشاطها، واتفقنا على أن نتصل بعد العودة من الأرض المقدسة بالإمام حسن الهضيبى المرشد العام لنستأذنه فى العمل . .

وقال عندما هممنا بالانصراف : يجب أن نرتبط هنا ببيعة مع الله على أن نجاهد فى سبيله، لا نتقاعس حتى نجتمع صفوف الإخوان، ونفاصل بيننا وبين الذين لا يرغبون فى العمل أيّاً كان وضعهم ومقامهم، وبايعنا الله على الجهاد والموت فى سبيل دعوته.

وعدت إلى مصر . .

الإذن بالعمل

ومع أوائل ١٩٥٨ كانت لقاءتى قد تعددت بعبد الفتاح إسماعيل فى منزلى وفى دار المركز العام للسيدات المسلمات .

كنا نبحث فى أمور المسلمين محاولين بكل جهدنا أن نفعل شيئاً للإسلام يعيد لهذه الأمة مجدها وعقيدتها، مبتدئين بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام والسلف الصالح ومن بعدهم، جاعلين منهجنا مستمداً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وكانت خطة العمل تستهدف تجميع كل من يريد العمل للإسلام لينضم إلينا. . كان ذلك كله مجرد بحوث ووضع خطط حتى نعرف طريقنا، فلما أردنا أن نبدأ العمل كان لابد من استئذان الأستاذ الهضيبي باعتباره مرشداً عاماً لجماعة الإخوان، لأن دراساتنا الفقهية حول قرار الحل انتهت إلى أنه باطل لأن عبد الناصر ليس له أى ولاء ولا تجب له طاعة على المسلمين حيث إنه يحارب الإسلام ولا يحكم بكتاب الله تعالى. .

والتقيت بالأستاذ الهضيبي لأستأذنه فى العمل باسمى وباسم عبد الفتاح إسماعيل، وأذن لنا فى العمل بعد لقاءات عديدة شرحت له فيها الغاية وتفاصيل الدراسات التى قمت بها وعبد الفتاح.

وكان أول قرار لبدء العمل هو أن يقوم الأخ عبد الفتاح عبده إسماعيل بعملية استكشاف على امتداد مصر كلها، على مستوى المحافظة والمركز والقرية، والمقصود من هذا أن نتبين من يرغب فى العمل من المسلمين ومن يصلح للعمل معنا. مبتدئين بالإخوان المسلمين لجعلهم هم النواة الأولى لهذا التجمع. .

وبدأ الأخ عبد الفتاح إسماعيل جولته بادئاً بالذين خرجوا من السجون من الإخوان، والذين لم يدخلوا لتختبر معادتهم وهل أثرت المحنة فى عزيمتهم، وهل دخول من دخل السجن جعلهم يبتعدون عما يعرضهم للسجن مرة أخرى، أم أنهم لا يزالون على ولائهم للدعوة مستعدين للتضحية بكل غال ورخيص فى سبيل الله ونصرة دينه. .

كانت عملية استكشاف لابد منها، حتى نبدأ العمل على أرض صلبة، وحتى نعرف من يصلح فعلاً، وكنا ندرس معاً التقارير التى يقدمها عبد الفتاح

إسماعيل عن كل منطقة، وكنت أزور المرشد وأبلغه مجمل ما اتفقنا عليه وما وصلنا إليه. . . وكنا إذا عرضنا عليه صوراً من الصعوبات التي نلاقها، قال: استمروا في سيركم ولا تلتفتوا إلى الوراء، لا تغتروا بعناوين الرجال وشهرتهم. أنتم تبنون بناء جديداً من أساسه.

وكان تارة يقر ما يعرض عليه، وتارة يعطى بعض التوجيهات. ومن هذه التوجيهات أنه أوصانا بأن نضم إلى مراجع بحوثنا «المحلى لابن حزم».

وفى سنة ١٩٥٩ انتهت بحوثنا إلى وضع برنامج للتربية الإسلامية، وأشهد الله على أنه لم يكن فى برنامجنا غير تربية الفرد المسلم الذى يعرف واجبه تجاه ربه، وتكوين المجتمع المسلم الذى سيجد نفسه بالضرورة مفاصلاً للمجتمع الجاهلى.

ولما كانت جماعة الإخوان المسلمين معطلاً نشاطها بسبب قرار الحل الجاهلى عام ١٩٥٤ كان ضرورياً أن يكون النشاط سرياً.

وقفة مع زوجى

لم يكن عملى فى هذا النشاط يعطلنى عن تأدية رسالتى فى المركز العام لجماعة السيدات المسلمات، ولا يجعلنى أقصر فى واجبى الأسرى، غير أن زوجى الفاضل المرحوم محمد سالم سالم لاحظ تردد الأخ عبد الفتاح إسماعيل وبعض لبنات طاهرة زكية من الشباب المسلم على منزلنا. فسألنى زوجى: هل هناك نشاط للإخوان المسلمين؟ أجبت: نعم. . .

فسألنى عن مدى النشاط ونوعيته. . . قلت: إعادة تنظيم جماعة الإخوان. ولما أخذ يبحث الأمر معى قلت له: هل تذكر يا زوجى العزيز عندما اتفقنا

على الزواج . . ماذا قلت لك؟ قال: نعم اشترطت شروطًا، ولكنى أخاف عليك اليوم من تعرضك للجبايرة.

ثم صمت وأطرق برأسه فقلت له: أنا أذكر جيدًا ما قلت لك، لقد قلت لك يومها:

إن هناك شيئًا فى حياتى يجب أن تعلمه أنت لأنك ستصبح زوجى، وما دمت قد وافقت على الزواج فيجب أن أطلعك عليه على ألا تسألنى عنه بعد ذلك، وشروطى بخصوص هذا الأمر لا أتنازل عنها . . أنا رئيسة المركز العام لجماعة السيدات المسلمات . . وهذا حق، ولكن الناس فى أغلبهم يعتقدون أنى أدين بمبادئ الوفد السياسية، وهذا غير صحيح . .

الأمر الذى أؤمن به وأعتقد أنه رسالة الإخوان المسلمين . . ما يربطنى بمصطفى النحاس هو الصداقة الشخصية، لكنى على بيعة مع حسن البنا على الموت فى سبيل الله، غير أنى لم أخط خطوة واحدة توقفتى داخل دائرة هذا الشرف الربانى، ولكنى أعتقد أنى سأخطو هذه الخطوة يومًا ما بل وأحلم بها وأرجوها، ويومها إذا تعارضت مصلحتك الشخصية وعملك الاقتصادى مع عملى الإسلامى، ووجدت أن حياتى الزوجية ستكون عقبة فى طريق الدعوة وقيام دولة الإسلام فسنكون على مفرق طريق، ويومها أطرقت إلى الأرض ثم رفعت رأسك والدموع محبوسة فى عينيك لتقول: أنا أسألك ماذا يرضيك من المطالب المادية فلا تسألين ولا تطلبين أى شىء من مهر أو مطالب زواج، وتشرطين علىّ ألا أمنعك عن طريق الله . . أنا لا أعلم أن لك صلة بالأستاذ البنا، والذى أعلمه أنك اختلفت معه بشأن طلبه انضمام جماعة السيدات المسلمات إلى الإخوان المسلمين .

قلت: الحمد لله، اتفقنا أثناء محنة الإخوان سنة ١٩٤٨ قبل استشهاد البنات وكنت قررت أن ألغى أمر الزواج من حياتي، وانقطع للدعوة انقطاعاً كلياً. وأنا لا أستطيع أن أطلب منك اليوم أن تشاركني هذا الجهاد، ولكن من حنى أن أشرط عليك ألا تمنعني من جهادى فى سبيل الله، ويوم تضعنى المسئولية فى صفوف المجاهدين، فلا تسألنى ماذا أفعل ولتكن الثقة بيننا تامة، بين رجل يريد الزواج من امرأة وهبت نفسها للجهاد فى سبيل الله وقيام الدولة الإسلامية وهى فى سن الثامنة عشرة، وإذا تعارض صالح الزواج والدعوة إلى الله، فسينتهى الزواج وتبقى الدعوة فى كل كيانى..

ثم توقفت عن الكلام برهة ونظرت إليه قائلة: هل تذكرت؟ قال: نعم.
قلت: اليوم أطلب منك أن تفى بوعدك.. لا تسألنى بمن ألتقى. ودعوا الله أن يجعل أجر جهادى قسمة بيننا فضلاً منه سبحانه إذا تقبل عملى.

أنا أعلم أن من حقه أن تأمرنى ومن واجبى أن أطيعك، ولكن الله أكبر فى نفوسنا من أنفسنا، ودعوته أغلى من ذواتنا. ونحن فى مرحلة خطيرة فى مراحل الدعوة.

قال: سامحني، اعملى على بركة الله. يا ليتنى أعيش وأرى غاية الإخوان قد تحققت، وقامت دولة الإسلام.. يا ليتنى فى شبابى فأعمل معكم..

وكثر العمل والنشاط، وتدفق الشباب على بيتى ليلاً ونهاراً، وكان الزوج المؤمن يسمع طرقات الباب فى جوف الليل فيقوم من نومه ويفتح للطارقين ويدخلهم إلى حجرة المكتب، ويذهب إلى حجرة السيدة التى تدير أعمال البيت فيوقظها، ويطلب منها أن تعد للزائرين بعض الطعام والشاي، ثم يأتى إلى فيوقظنى فى إشفاق وهو يقول: بعض أولادك فى المكتب وعليهم علامات جهد

أو سفر، وأرتدى ملابسى وأذهب إليهم ويأخذ هو طريقه إلى مكان نومه وهو يقول لى: إذا صليتم الفجر جماعة فأيقظينى لأصلى معكم إن كان ذلك لا يضر، فأجيب: إن شاء الله.

فإن صلينا الفجر أيقظته ليصلى معنا ثم ينصرف، وهو يحيى الموجودين تحية أبوية مملوءة بالشفقة والحب والحنان.

الاتصال بالشهيد سيد قطب

فى عام ١٩٦٢ التقيت بشقيقات الإمام الفقيه والمجاهد الكبير الشهيد سيد قطب بالاتفاق مع الأخ عبد الفتاح عبده إسماعيل وبإذن من الأستاذ حسن الهضيبى، المرشد العام للإخوان المسلمين، للاتصال بالأستاذ سيد قطب فى السجن لأخذ رأيه فى بعض بحوثنا والاسترشاد بتوجيهاته.

طلبت من حميدة قطب أن تبلغ الأخ سيد قطب تحياتنا ورغبة الجماعة المجتمعة لدراسة منهج إسلامى فى الاسترشاد بآرائه. . . وأعطيها قائمة بالمراجع التى ندرسها وكان فيها تفسير ابن كثير، والمحلى لابن حزم، والأم للشافعى وكتب فى التوحيد لابن عبد الوهاب، وفى ظلال القرآن لسيد قطب، وبعد فترة رجعت إلى حميدة وأوصت بدراسة مقدمة سورة الأنعام. . . الطبعة الثانية وأعطينى ملزمة من كتاب قالت: إن سيد يعده للطبع واسمه معالم فى الطريق. . . وكان سيد قطب قد ألفه فى السجن وقالت لى شقيقته: إذا فرغتم من قراءة هذه الصفحات سأتيكم بغيرها.

وعلمت أن المرشد اطلع على ملازم هذا الكتاب وصرح للشهيد سيد قطب بطبعه. . . وحين سأله. . . قال لى: على بركة الله. . . إن هذا الكتاب حصر أملى كله فى سيد، ربنا يحفظه، لقد قرأته وأعدت قراءته، إن سيد قطب هو الأمل المرتجى للدعوة الآن، إن شاء الله. وأعطانى المرشد ملازم الكتاب فقرأتها فقد كانت عنده لأخذ الإذن بطبعها، وقد حبست نفسى فى حجرة بيت المرشد حتى فرغت من قراءة «معالم فى الطريق».

وأخذنا نعيد الدراسة والبحث من جديد فى صورة نشرات قصيرة توزع على الشباب ليدرسوها، ثم تدرس بتوسع فى حلقات، وكانت الأفكار متفقة والغايات غير مختلفة، فانسجمت خطة الدراسة مع الوصايا والصفحات التى كانت تأتىنا من الشهيد سيد قطب رحمه الله، وهو داخل السجن، وكانت ليالى طيبة وأياماً خالدة ولحظات قدس مع الله، يجتمع عشرة أو خمسة من الشباب ويقرأون عشر آيات تراجع أحكامها وأوامر السلوك فيها وكل غاياتها ومقاصدها فى حياة العبد المسلم. وبعد تفهمها واستيعابها يتقرر الانتقال إلى عشر آيات أخرى اقتداء بأصحاب النبى ﷺ.

ومرت أيام حلوة طيبة، ونعمة من الله تحتوينا، ونحن ندرس وندرس ونربى أنفسنا، ونهينى للدعوة رجالها بشباب اقتنع بضرورة الإعداد لقيام دعوة الحق العادل. . . وقرر وجوب حتمية إعداد أجيال فى شخوص هذا الشباب الذى نرجوه أساتذة فى التوجيه والإعداد للأجيال المقبلة.

قررنا فيما قررنا - بتعليمات من سيد قطب وبإذن الهضيبى - أن تستمر مدة التربية والتكوين والإعداد والغرس لعقيدة التوحيد فى النفوس، والقناعة بأنه لا إسلام إلا بعودة الشريعة الإسلامية، وبالحكم بكتاب الله وسنة رسوله لتصبح شريعة القرآن مهيمنة على كل حياة المسلمين، قررنا أن يستغرق برنامجنا التربوى ثلاثة عشر عاماً، عمر الدعوة فى مكة، على أن قاعدة الأمة الإسلامية الآن هم الإخوان الملتزمون بشريعة الله وأحكامه، فنحن ملزمون بإقامة كل الأوامر والنواهي الواردة فى الكتاب والسنة فى داخل دائرنا الإسلامية. . . والطاعة واجبة علينا لإمامنا المبايع، على أن إقامة الحدود مؤجلة - مع اعتقادها والذود عنها - حتى تقوم الدولة. . . وكنا على قناعة كذلك بأن الأرض اليوم خالية من القاعدة التى تتوافر فيها صفات الأمة الإسلامية الملتزمة التزاماً كاملاً. . . كما كان الأمر فى عهد النبوة والخلافات الراشدة، ولذلك

وجب الجهاد على الجماعة المسلمة التي تريد حكم الله والتمكين لدينه في الأرض، حتى يعود جميع المسلمين للإسلام، فيقوم الدين القيم، لا شعارات ولكن حقيقة عملية واقعة.

ودرسنا كذلك وضع العالم الإسلامي كله بحثًا عن أمثلة لما كان قائمًا من قبل بخلافة الراشدين والتي نريدها نحن في جماعة الله الآن، فقررنا بعد دراسة واسعة للواقع القائم المؤلم، أن ليس هناك دولة واحدة ينطبق عليها ذلك، واستثنينا المملكة العربية السعودية مع تحفظات وملاحظات يجب أن تستدركها المملكة وتصحيحها، وكانت الدراسات كلها تؤكد أن أمة الإسلام ليست قائمة، وإن كانت الدولة ترفع الشعارات بأنها تقيم شريعة الله! . . .

وكان فيما قررناه بعد تلك الدراسة الواسعة، أنه بعد مضي ثلاثة عشر عامًا من التربية الإسلامية للشباب والشيوخ والنساء والفتيات، نقوم بمسح شامل في الدولة فإذا وجدنا أن الحصاد من أتباع الدعوة الإسلامية المعتقدين بأن الإسلام دين ودولة، والمقتنعين بقيام الحكم الإسلامي قد بلغ ٧٥٪ من أفراد الأمة رجالاً ونساءً، نادينا بقيام الدولة الإسلامية، وطالبنا الدولة بقيام حكم إسلامي، فإذا وجدنا الحصاد ٢٥٪ جددنا التربية والدراسة ثلاثة عشر عامًا أخرى وهلم جرا، حتى نجد أن الأمة قد نضجت لتقبل الحكم بالإسلام.

وما علينا أن تنتهى أجيال وتأتى أجيال، المهم أن الإعداد مستمر، المهم أن نظل نعمل حتى تنتهى آجالنا ثم نسلم الراية مرفوعة بـ «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» إلى الأبناء الكرام الذين يأتون من بعدنا.

وكنا على اتصال بالأستاذ محمد قطب، وبإذن من المرشد العام الأستاذ الهضيبي، كان يزورنا في بيتي بمصر الجديدة ليوضح للشباب ما غمض عليهم فهمه، وكان الشباب يستوضحونه ويسألونه أسئلة يجيب عنها.

الباب الثالث

المؤامرة

وخرج الأستاذ الشهيد سيد قطب من السجن ، وسبق خروجه بشهور عملية محاولة اغتيال التي لم تنجح ، والتي تحدثنا عنها فى أول هذه المذكرات ، وانتقلت إلينا أخبار بأن إخراج الشهيد سيد قطب من السجن تخطيط من المخابرات ليسهل اغتياله ، وأن فى خطة الاغتيالات القضاء على عبد الفتاح عبده إسماعيل . . وعشنا متوكلين على الله نعمل وخلف ظهورنا ما يدبر الفجار ، غير أننا أخذنا ندرس ما وصلنا من أخبار عن رعب الفجار الحاكمين ، فقد أصبحوا يتوهمون أن هناك حركة فكرية يقودها سيد قطب من داخل السجن ، وتقودها وتعمل على تنفيذها جماعة من الإخوان المسلمين ، على رأسها الشهيد عبد الفتاح إسماعيل وزينب الغزالى الجبيلى خارج السجن . .

وقد تأكدت لدينا الأخبار بأن المخابرات الأمريكية والمخابرات الروسية ووليتهم الصهيونية العالمية قد قدموا تقارير مشفوعة بتعليمات لعبد الناصر بأخذ الأمر بمنتهى الجد للقضاء على هذه الحركة الإسلامية ، وإلا فسينتهى كل ما حققه عبد الناصر فى المنطقة من تحويل عن الفكر الإسلامى وبث اليأس فى النفوس من إمكان أى إصلاح أو بعث عن طريق الإسلام . . وخلاصة المخاوف : أن هذه الحركة الإسلامية ستقضى على كل فكر مغاير للإسلام .

هذا ما وصلنا إجمالاً عما تحويه تقارير المخابرات الأمريكية والروسية لعبد الناصر، ومن ناحية أخرى فإن عبد الناصر اعتبر أن البعث الإسلامى بمثابة قضاء تام على حكمه الدكتاتورى الغاشم . .

وفى أوائل أغسطس ١٩٦٥ وصلتني أخبار عن إعداد قائمة من المطلوب اعتقالهم من رجيل رسالة التربية الجديدة والفكر الذى أقام من الشباب جواهر نورانية تتحرك بالإسلام. كما كان يتحرك به رجال من الصدر الأول فى فجر الرسالة إلى دار ابن أبى الأرقم، ويتصدر القائمة الأستاذ الشهيد سيد قطب، زينب الغزالي الجبيلي، عبد الفتاح عبده إسماعيل، محمد يوسف هواش.

وفى الخامس من أغسطس وصلتني أخبار اعتقال الشهيد سيد قطب. كنت مجتمعة مع بعض الأخوات حين جاءتنى مكالمة هاتفية قيل لى فيها: إن منزل سيد قطب قد فتش وبحث فيه عنه. وكان شقيقه الأستاذ محمد قطب قد اعتقل فى مرسى مطروح قبل أيام، فطلبت زوجى فى رأس البر ورجوته أن يطمأننى على سيد قطب وجاءت مكالمة زوجى بعد ساعة تؤكد اعتقاله.

وقررنا تأجيل الاجتماع بالأخوات حتى نرى ماذا بعد الاعتقالات، وكان اعتقال سيد قطب كالصاعقة بالنسبة لجميع الشباب، فضلاً عنا نحن، فقد كان الهضيبى قد أوكل كل المسئوليات لسيد قطب، وكانت اتصالاتنا كلها به حسب أمر الهضيبى، وكان علينا بعد اعتقاله أن نرجع إلى المرشد العام، نستأذنه فيمن يتولى المسئولية بدلا من سيد.

كنت أنا وعبد الفتاح، نفكر فيما حدث قبل أن يحدث بخمسة أيام، فلما حدث، زارنى عبد الفتاح وكلفنى بالسفر لرؤية المرشد فى الإسكندرية وقدم لى أحد أبنائنا من الشباب على أنه سيكون حلقة الاتصال بيننا إذا اعتقل هو . .

ولكن بعد ساعات أرسل إلى يطلب منى أن ألزم بيتى، وألغى سفرى للإسكندرية - غير أنى كنت قد اتصلت بالمرشد، وجاءت السيدة حرمه من الإسكندرية - ورتب الأمر على أن نكون على اتصال دائم بالهضيبى، وفى هذه المرة قدم لى أخا كريما ليكون حلقة الاتصال بيننا. . مرسى مصطفى مرسى .

واتصلت بالمرشد العام وأخبرته بواقع الأمر، وأقرنا على ما اتفقنا عليه وتأثر تأثرا عميقا لأخبار الاعتقالات وبخاصة اعتقال سيد قطب .

وأخذت الأخبار تتوالى بالقبض على العشرات والمئات، وارتفع الرقم إلى الآلاف، وقد أقسم لى شمس بدران بعد اعتقالى برأس عبد الناصر أنهم اعتقلوا مائة ألف من الإخوان فى عشرين يوما، ملأوا بهم السجون الحربى وسجن القلعة وسجن أبى زعبل وسجن الفيوم والإسكندرية وطنطا وسجوننا أخرى .

وفى يوم الخميس ١٩ أغسطس، علمت أن سيدة فاضلة تناهز الخامسة والثمانين تدعى أم أحمد من شبرا قد قبضوا عليها، وهى من المعاصرات للدعوة من يومها الأول، وسارت فى الطريق مع الإمام الشهيد حسن البنا خطوة خطوة، وكان لها جهد كبير مبارك فى مساعدة الأسر التى فقدت العائل بالسجن والمعتقلات الناصرية. . وكانت على اتصال دائم بنا. .

كان خبر اعتقالها مفزعا ومؤثرا بالنسبة لى، ولكنى قلت لابن أختها بعد دقائق صمت أغرقتنى بالألم: «إنه شىء جميل. . ما دام فى الأرض التى ضاعت معالمها امرأة مؤمنة تعتقل فى سبيل الله، وفى سبيل دولة القرآن، وهى فى الخامسة والثمانين، فمرحى مرحى يا جنود الله» . . !

وأرسلت لابتى فى الإسلام غادة عمار وقلت لها: «اليوم اعتقلت مجاهدة جليلة فاضلة تدعى الست أم أحمد، وتقطن بناحية شبرا ولدى أموال لحساب أسر المسجونين وشئون الدعوة فيها هى إليك يا غادة، فإذا اعتقلت فسلميها للمرشد أو لآل قطب، وسلمتها مظروفا فيه أموال الجماعة التى كانت أمانة عندى، وهى اشتراكات من الإخوان المسلمين. وعلمت بعد ذلك وأنا فى السجن أن هذا المبلغ أودعته غادة عند ابنتى فى الإسلام فاطمة عيسى وعندما قبض عليها الطغاة استولوا على هذا المال الذى كان ثمن الطعام وأجر المساكن ومصاريف التعليم والعلاج لأبناء المسجونين وأسرهم، تلك الأسر التى لا ذنب لها ولا جريمة، وما قررت دولة الانقلاب العسكرى لتبيدهم إلا لأنهم من القاعدة الخالدة على التاريخ لتجديد أمر الأمة الإسلامية.

علمت بذلك عندما جىء بغادة عمار وعليه الهضيبى إلى زنزانتى فى السجن الحربى فقلت: «حسبنا الله ونعم الوكيل، الدنيا ساعة، أما الآخرة فهى دارنا والحساب هناك».

ومرت ساعات رهيبية تحمل لى أخبار اعتقالات جديدة، ومرة أخرى جاءنى رسول طلب منى أن أسافر إلى الإسكندرية لمقابلة المرشد. كان ذلك فى مساء الخميس ١٩ أغسطس، وبينما كنت أستعد للسفر جاء آخر وطلب منى تأجيل السفر لحين صدور أوامر أخرى.

وجاء دورى

وفى فجر الجمعة ٢٠ أغسطس اقتحم رجال الطاغوت منزلى، ولما طلبت منهم إذنا بالتفتيش، قالوا: إذن! أى إذن يا مجانين؟ نحن فى عهد عبد الناصر، نفعل ما نشاء معكم يا كلاب...!

وأخذوا يقهقهون فى صورة هستيرية وهم يقولون: الإخوان المسلمون مجانين، قال إيه، يريدون إذن تفتيش فى حكم عبد الناصر! ودخلوا البيت وأتلفوا ما فيه بالتمزيق تارة وبالتكسير تارة أخرى حتى لم يتركوا شيئاً سليماً. وكنت أنظر إليهم باحتقار وهم يمزقون فراش المنزل. وأخيراً قبضوا على ابن أخى الطالب فى كلية المعلمين محمد محمد الغزالى، وكان يقيم معى كابنى وقالوا لى: لا تغادرى البيت. قلت: أفهم من ذلك أن إقامتى محددة. قالوا: إلى حين صدور أوامر أخرى، واعلمى أن البيت تحت الحراسة فإذا تحركت فسيقبض عليك.

وظننت أن الأمر سيقف عند تحديد الإقامة، وجاء لزيارتى شقيقتى وأولادها وزوجها، وكنت أعد حقيبتى استعداداً للقبض على. ورجوت زوج شقيقتى مغادرة المنزل حتى لا يقبضوا عليه إن عادوا ووجدوه كما فعلوا مع ابن أخى. ولكنه أصر على البقاء رغم محاولتى المتكررة فى إفهامه أن الوقت ليس وقت مجاملة أو نحوه.

وبينما كنا نتناول الغداء اقتحم المنزل زبانية الطاغوت وأتوا على البقية الباقية واستولوا على ما فى الخزانة. واستولوا على ما يزيد على نصف مكتبتى، ولم تفلح محاولتى فى إنقاذ بعض المؤلفات القديمة فى التفسير والحديث والفقه والتاريخ مما يعود تاريخ طبعه إلى أكثر من مائة عام، كما لم تفلح محاولتى فى الاحتفاظ بمجموعات ثلاث من مجلة السيدات المسلمات التى أوقفت بأمر عسكرى سنة ١٩٥٨، فقد صادروا كل ما أرادوا وللخزانة وقتها قصة عجيبة. فقد كانت الخزانة لزوجى إلا أن بها أشياء تخصنى أيضاً. فلما طلبوا المفتاح قلت لهم: إنه مع زوجى وهو مسافر فى مصيفه، فإذا بهم يهتفون برجل منهم يأمرونه بفتح الخزانة، وتقدم هذا الرجل وفتح الخزانة بآلات ومفاتيح كانت

معه، كأي لص متمرس!!

ولما طلبت منهم إيصالاً بما أخذوه قالوا فى سخرية:

«أنت مجنونة. إنت فاكرة نفسك شاطرة، إخرسى بلاش دوشة».

وقبضوا علىّ وأدخلونى عربية وجدت فيها ابن أخى الذى قبضوا عليه فى الفجر، وشاباً من شباب الدعوة، سألت ابن أخى: إيه يا محمد؟ فلم يجبنى ففهمت أن التعليمات إليه أن لا يتكلم، وكانوا قد أتوا به ليرشداهم إلى المنزل لأن هؤلاء كانوا غير زوار الفجر..

وأخذت العربية تنهب بنا الطريق حتى وصلت إلى السجن الحربى، عرفت ذلك من اللوحة الموجودة على بوابته، واقتحمت السيارة البوابة المرعبة، وبعدما ابتلعت البوابة السيارة ومن فيها. أنزلت منها واتجه بى وغد غليظ إلى حجرة استجوبنى فيها وغد آخر، وأدخلت منها إلى حجرة أخرى. ووقفت أمام رجل ضخمة الجثة مظلم الوجه قبيح اللفظ، فسأل الذى يمسك ذراعى عنى فأجابنى بسباب غلف فيه اسمى، ومع ذلك التفت هو إلىّ فى غلظة وسألنى من أنت!. قلت: «زينب الغزالى الجبلى».

فانطلق يسب ويلعن بما لا يعقل ولا يتصور. وصرخ الذى يمسك بذراعى قائلاً: «دا رئيس النيابة يا بنت ال... ردى على سعادته»، وكان الآخر قد صمت.

قلت: لقد اعتقلونى أنا وكتبى وكل ما فى الخزانة، فأرجو حصر هذه الأشياء وتسجيلها فمن حقى أن تعاد إلىّ. أجاب رئيس النيابة المزعوم الذى وضح فيما بعد أنه شمس بدران، أجاب فى فجور وجاهلية متغطسة: «يا بنت ال... نحن سنقتلك بعد ساعة، كتب إيه؟ وخزنة إيه؟ ومصاغ إيه؟ أنت

ستعدمين بعد قليل، كتب إيه وحاجات إيه اللي بتسألني عليها يا بنت ال...
نحن سندفنك كما دفنا عشرات منكم يا كلاب هنا في السجن الحربى» لم
أستطع أن أجيب، لأن الكلمات كانت بذئنة الألفاظ سافلة، والسباب والشتائم
منحطة إلى الحد الذى لا يستطيع فيه الإنسان أن يسمعها فضلا عن أن يجيب
عنها.

وقال هذا المتغطرس للذى يمسك ذراعى: خذها...

قال: إلى أين؟

أجاب: هم عارفون. وجذبنى الفاجر فى وحشية وهو يقول: يا بنت ال...
وعند الباب نادى صاحب الجثة الغليظة المظلمة على الشيطان الممسك
بذراعى فالتفت إليه، فكأننى أرى ظلمة من دخان غليظ أسود تغرقه، قلت فى
سرى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم تضرعت إلى الله قائلة: اللهم أنزل
على سكينتك وثبت قدمى فى دوائر أهل الحق، واربط على قلبى بذكرك
وارزقنى الرضا بما يرضيك.

وقال الممسك بذراعى للشيطان: نعم يا معالى الباشا.

قال له: تروح رقم ٢٤ وبعد ذلك تأتونى.

وانصرف بى الشيطان الشقى الممسك بذراعى وأدخلنى حجرة، فرأيت
رجلين يجلسان إلى مكتب فى يد أحدهما مفكرة كنت أعرفها، وهى خاصة
بالأخ الشهيد عبد الفتاح إسماعيل، كان يخرجها فى حلقات القرآن ونحن
نتدارس ويدون بها بعض ملاحظاته، فعرفت أنه اعتقل وبعض الإخوان إذ كان
عنده اجتماع بهم فى ذلك الوقت، وأحدث ذلك رعدة فى نفسى خشيت أن
يلاحظها بعض الشياطين، وكان أذان العصر يخترق سمعى، وترك الشيطان

رقتى ولكن ظللت فى مكانى فصرفه الله عنى، وما أن انتهيت من الصلاة حتى انكب الشيطان علىّ فى وحشية، قيل له: اذهب بها إلى ٢٤.

الطريق إلى الحجرة ٢٤

خرج بى الشيطان وهو ممسك بذراعى، وسار معنا اثنان من الشياطين سود الوجوه ممسكان بالكرايج، ساروا بى فى أنحاء متعددة من السجن الحربى.. ورأيت الإخوان المسلمين معلقين على الأعواد والسياط تلهب أجسادهم العارية، وبعضهم سلطت عليه الكلاب الضالة لتمزق جسده بعد السياط. وبعضهم يقف ووجهه إلى الحائط فى انتظار دوره من التعذيب والتنكيل. كنت أعرف عددا كبيرا من هؤلاء الشباب المؤمنين الأتقياء الأنقياء، أبنائى وأحبائى فى الله، أصحاب مجالس التفسير والحديث والحياة الندية الذكية فى دارى، فى دارهم، فى دار ابن أبى الأرقم، فى هدأة السحر، فى أنوار الفجر.

عرفت منهم الكثير، رأيت العجب، هذه الأنماط البشرية الفريدة فى إنسانيتها، المترفعة بإسلامها، الموصولة بالسماء المرموقة بعين القدرة المنزهة المتمتعة بحضرة الله سبحانه وتعالى، شباب الإسلام، شيوخ الإسلام، هذا مصلوب على خشبة، هذا منكفىء على وجهه للحائط، والسياط تنزل عليه تأكل من ظهره، هذا ينزف من جبينه الذى لم ينحن إلا لله والنور يغمر وجهه المناسب من رأسه المرتفع المعتر بالله، وذاك ظهره للحائط، كل الوجوه يجرى فيها نور التوحيد.. ولكن نزيف الدم من الوجوه والظهور شىء مخيف.

وصرخ شاب مصلوب على خشبة: أماه! ثبتك الله!

قلت: والنور قد غطى المكان فلمع لون الدم فيه: أبنائى، إنها بيعة، صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة.

ورفع الشيطان يده وهو يهوى بها على صدغى وأذنى، فأخذت عيني تدور وأذنى كذلك كأن ماسا كهريبا قد مسها، وانكشف النور عن أجسام ممزقة وأشلاء متناثرة تملأ المكان، فقلت: فى سبيل الله، وسمعت صوتا كأنه يأتى من الجنة:

اللهم ثبت الأقدام، اللهم احفظهم من الفجرة.

لولاك ربى ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا. . فثبت الأقدام إن لاقينا. وارتفعت أصوات الشياطين وتزاحمت، ولكن صوت الإيمان أقوى وأوضح، وكانت برهة، وخرج صوت آخر كأنه مقبل من السماء يقول:

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

وقلت ثانية: «صبرا يا أبنائى إنها بيعة، صبرا إن موعدكم الجنة».

وأخذت يد الفاجر ظهري بضربة موجعة أليمة ساخنة، فقلت:

«الله أكبر والله الحمد، اللهم صبرا ورضا، اللهم شكراً وحمداً على ما أنعمت به علينا من الإسلام والإيمان والجهاد فى سبيلك».

وفُتح باب حجرة مظلمة فدخلتها ثم أغلقوا بابها.

فى الحجرة ٢٤

ابتلعتنى الحجرة فقلت: باسم الله السلام عليكم.

وأغلق الباب وأضيئت الكهرباء قوية! إنها للتعذيب!

الحجرة مليئة بالكلاب! لا أدري كم!!

أغمضت عيني ووضعت يدي على صدري من شدة الفزع، وسمعت باب

الحجرة يغلق بالسلاسل والأقفال وتعلقت الكلاب بكل جسمى، رأسى ويدى،
صدرى وظهري، كل موضع فى جسمى، أحسست أن أنياب الكلاب تغوص
فيه .

فتحت عينى من شدة الفزع وبسرعة أغمضتهما لهول ما أرى ووضعت يدى
تحت إبطى وأخذت أتلو أسماء الله الحسنى مبتدئة بـ «يا الله، يا الله» وأخذت
أنتقل من اسم إلى اسم، فالكلاب تتسلق جسدى كله، أحس أنيابها فى فروة
رأسى، فى كتفى، فى ظهري، أحسها فى صدرى، فى كل جسدى، أخذت
أنادى ربى هاتفة: «اللهم اشغلنى بك عمن سواك، اشغلنى بك أنت يا إلهى يا
واحد يا أحد يا فرد يا صمد، خذنى من عالم الصورة، اشغلنى عن هذه
الأغيار كلها، اشغلنى بك، أوقفنى فى حضرتك، اصبغنى بسكيتك، البسنى
أردية محبتك، ارزقنى الشهادة فىك والحب فىك والرضا بك والمودة لك وثبت
الأقدام يا الله، أقدام الموحدين» .

كل هذا كنت أقوله بسرى، فالكلاب ناشبة أنيابها فى جسدى .

مرت ساعات ثم فتح الباب وأخرجت من الحجرة .

كنت أتصور أن ثيابى البيضاء مغموسة فى الدماء، كذلك كنت أحس
وأتصور أن الكلاب قد فعلت . لكن يا لدهشتى، الثياب كأن لم يكن بها
شئ، كأن ناباً واحداً لم ينشب فى جسدى .

سبحانك يارب، إنه معى، يا الله هل أستحق فضلك وكرمك، يا الله يا
إلهى لك الحمد . كل هذا أقوله أيضاً فى سرى، فالشيطان ممسك بذراعى
يسألنى: كيف لم تمزقك الكلاب؟ والسوط فى يده وخلفى شيطان ثان بيده
سوط أيضاً .

كان الشفق الأحمر يكسو السماء ينبىء بأن الشمس قد غربت، وأننا أوشكنا على العشاء إذن فقد تركت مع الكلاب أكثر من ثلاث ساعات .
لك الحمد يا إلهى على كل حال .

اخترقوا بى طريقاً توهمته طويلاً، فتح باب، ابتلعتنى الساحة المخيفة خلفه .
ثم ابتلعتنى ممر طويل مخيف على جانبيه أبواب مغلقة . أحد الأبواب منفرج بعض الشيء يطل منه وجه منير، خرج منه بعض النور فبدد بعض ظلام الممر، عرفت فيما بعد أنه باب الزنزانة رقم ٢ التى تسبق زنزانتى رقم ٣ ويسكنها الضابط الكبير محمد رشاد مهنا الذى كان يوماً وصياً على عرش مصر الذى توهم الفجرة أن الإخوان سينصبونه رئيساً للجمهورية فاعتقلوه . وفتح باب الزنزانة رقم ٣ . فابتلعتنى .

الزنزانة رقم ٣

وفتح باب الزنزانة ٣ . فابتلعتنى واختطفتنى ظلمتها وأغلق الباب خلفى فى اللحظة التى أشعل فيها مصباح معلق فى سقف الزنزانة، كان الضوء مخيفاً مرعباً لشدة لا تستطيع أن تفتح عينك فيه . فعرفت للتو أنه للتعذيب أو الإرهاق .

وبعد فترة طرقت الباب، وجاء مارد أسود فى غلظته سألنى عما أريد، فاستأذنت فى الذهاب إلى دورة المياه للوضوء، فأجاب فى وحشية ممنوع طرق الباب - ممنوع دورة المياه - ممنوع الوضوء - ممنوع الشرب .

إذا طرقت الباب سأجلدك خمسين جلدة، وفرقع بالسوط فى الهواء ليرينى أنه على استعداد لتنفيذ تهديده .

لم يكن فى الزنزانه شىء، وكنت قد تعبت من الوقفة الطويله بين الكلاب فى «الحجره ٢٤» فخلعت معطفى وفرشته على أرضها وتيممت وصليت المغرب والعشاء، وجلست القرفصاء، ولكن ساقى المكسوره لم ترحنى فوضعت حذائى تحت رأسى وتمددت على أسفلت الحجره.

لكن الطغاة لم يمهلونى. كان بأعلى الزنزانه نافذة تطل على فناء السجن، جاءوا بصليب من الخشب على ارتفاع النافذة ثم جاءوا بشباب من المؤمنين يصلبونهم الواحد تلو الآخر على هذا الصليب، ويأخذون فى جلد المصلوب بالسياط، والشاب يذكر اسم الله ويستنجد به، وبعد نصف ساعة من الجلد المستمر المتواصل يقولون لهذا الشاب الذى قد يكون مهندساً أو مستشاراً أو طبيباً: «يا ابن الكلب متى جئت هنا؟».

فيقول: «اليوم أو البارحة»، فيعودون إلى السؤال:

«متى ذهبت إلى منزل زينب الغزالى آخر مرة؟».

فإن قال لا أذكر، عادوا إلى الجلد وطلبوا منه أن يسب زينب الغزالى بأبشع ما يتصور الإنسان من الألفاظ الفاحشة والكلمات البذيئة، وطبعاً يرفض هذا الشاب المؤمن ويعودون لجلده مرة أخرى، وربما قال أحد الشباب: إننا لا نرى فيها إلا الصدق والفضيلة فيزيدونه ضرباً وجلداً حتى يفقد الوعي، فيأتوا بآخر طالين منه نفس الشىء ظنا منهم أن ذلك يضعف من عزيمتى.

وهكذا، شاب يعقب أخاه، وقلبى يتمزق على هذا الشباب المؤمن. أخذت أناجى الله وأتضرع إليه طويلاً.

سألته أن يجعلنى فداء لهذا الشباب فألقى التعذيب بدلاً منهم، فقد تصورت أن هذا أهون علىّ، فأخذت أدعو الله أن يجعلنى مكانهم أو يصرف

عنى وعنهم هذا الجلال.

تمنيت أن يقولوا ما يريد هؤلاء الفجرة عن زينب الغزالي حتى ترفع عنهم
السياط، ولكنهم لم يقولوا، والسياط تتضاعف وتتعالى صيحاتهم والألم
يمزقنى.

وأنا أناجى ربى فأقول:

«اللهم اشغلنى بك عنهم واشغلهم بك عنى. اللهم ألهمهم الخير الذى
يرضيك، اللهم احجب عنى أصوات تعذيبهم، اللهم إنك تعلم ما فى نفسى
ولا أعلم ما فى نفسك، إنك أنت علام الغيوب، تعلم خائنة الأعين وما تخفى
الصدور، فرحمتك اللهم بعبادك».

الرؤيا

ولا أدرى كيف أخذنى النوم وأنا أذكر الله، وكان فى هذا النوم خير وفضل
وعطاء، كان فيه رؤيا مباركة هى إحدى رؤاى الأربع لحضرة النبى عليه الصلاة
والسلام فى محنتى:

«رأيت بحمد الله صحراء مترامية وإبلاً عليها هودج كأنها صنعت من
النور، وفى كل هودج أربعة من الرجال كأنهم أيضاً وجوه نورانية، رأيتنى
خلف هذا السيل من الإبل فى هذه الصحراء المترامية التى لا يحدها البصر،
أقف خلف رجل عظيم مهيب وهو يأخذ بخطام امتد فى أعناق هذا السيل
الجارف من الإبل التى لا يحصى عددها. أخذت أردد فى سرى: أياكون حضرة
النبى محمد ﷺ. فإذا به يجيبنى: «أنت يا زينب على قدم محمد عبد الله
ورسوله».

سألت: «أنا يا سيدى يا رسول الله على قدم محمد عبد الله ورسوله؟».

قال عليه الصلاة والسلام: «أنتم يا زينب على الحق، أنتم يا زينب على الحق، أنتم يا زينب على الحق، أنتم يا زينب على قدم محمد عبد الله ورسوله».

وقمت من النوم وكأني ملكة الوجود بهذه الرؤيا، وأدهشني - بعد ما نسيت ما أنا فيه وأين أنا - أني لا أجد ألم الشيطان ولا الصلبان القريبة من النافذة، فقد نقلت إلى مكان بعيد وأصبحت الأصوات تأتيني عن بعد.

وثاني ما أدهشني أن اسمي في شهادة الميلاد زينب غزالي واسم الشهرة المعروف لدى الناس «زينب الغزالي» والرسول عليه الصلاة والسلام يناديني باسمي في شهادة الميلاد وفعلاً نقلتني الرؤيا عن الزمان والمكان فتممت، وأخذت أصلي ركعات شكراً لله على هذا العطاء.

وفي إحدى سجدي وجدتي أقول:

«ربي بم أشكر؟ إني لا أجد ما أشكر به إلا أن أجدد بيعتي لك.

اللهم إني أبايعك على الشهادة في سبيلك. اللهم أنا أبايعك على ألا يعذب أحد بسببي. اللهم ثبتني على الحق الذي يرضيك وأوقفني في دائرة الحق الذي يرضيك!» وانتهيت من صلاتي، وأخذت أكرر ما دعوت به في سجودي وكأني أعيش في عالم غير الذي أنا فيه وأحسست براحة وسكينة واطمئنان قلب..

وسمعت ضجة شديدة في الخارج وأصوات عربات كثيرة تتزاحم إلى الداخل وأخرى خارجة من الجحيم، عرفت فيما بعد أن هذا الوقت انتهاء وردية من الزبانية وبدء وردية أخرى للتعذيب..

وسمعت المؤذن يؤذن لصلاة الفجر فرددت الأذان ثم تيممت وصليت..

أمضيت على هذه الحال ستة أيام على التوالي من مساء الجمعة ٢٠ أغسطس إلى الخميس ٢٦ أغسطس لا يفتح باب الزنزانة فلا أكل ولا شرب ولا دورة مياه ولا صلة بالخارج، غير تلصص هذا الشيطان الذى يضع عينه على فتحة باب الزنزانة الصغيرة بين الحين والحين. ولك أن تتصور أيها القارئ العزيز كيف تستطيع أن تعيش هكذا، وإذا استطعت أن تعيش بلا طعام ولا ماء فكيف يستغنى الإنسان عن قضاء حاجته الضرورية؟ كيف يعيش الإنسان بغير أن يذهب إلى دورة المياه ولو مرة واحدة فى اليوم؟.

ولا تنس أننا كنا فى شهر أغسطس! فهل تجيز اليهودية أو الوثنية ذلك! فما بالك بالذين يدعون أنهم مسلمون.. وهل يفعل ذلك أى كائن ينتمى للجنس البشرى؟!!

يا الله! لكم جنى الطغاة المستبدون على كرامة الإنسان، وتحللوا من كل دين وخلق، ولكن اليقين بالله واعتقاد الحق، وأن يرى الإنسان ربه ويعايش أمره كل ذلك قد يصنع شيئاً كبيراً فوق طاقة البشر.

فلا تدهش أيها القارئ: لأئننى استطعت أن أعيش هذه الأيام بغير ماء، أو طعام، أو قضاء ضرورة، أو صلة بإنسان. اللهم إلا هذه الطرقات من الشيطان الأسود الذى ربما فتح الباب يسأل فى غلظة ووحشية: يا بنت ال.. انت لسه عايشة؟!...

نعم أيها القارئ لقد عشت هذه الأيام بأمرين ..

الأول : هو فضل الله علينا بالإيمان به . إنه الإسلام الذى يمنح صاحبه قوة يغالب بها الصعاب والمشقات أيا كانت هذه الصعاب . إنه فضل الله . فالإيمان يعطى قوة وطاقة احتمال هائلة، تعلو قوة الطواغيت الفجرة الذين ظنوا أنهم

فعلا يحكمون . والحق أن المؤمن يعيش متصلاً بالله سبحانه . مستغنياً عن الصورة والأغيار .

والأمر الثانى : هو تلك الرؤيا المباركة التى كانت بمثابة تخفيف وزاد ودفعة حياة من الله تعالى ، عشت بها مشغولة به عن الأغيار المحيطة بى ، وجعلتنى أحتمل فى رضا وسكينة جحيم هؤلاء الطواغيت . . وفى صبيحة اليوم السابع فتح باب الزنزانه ودخل الشيطان الأسود وبيده ربع رغيف ملوث بقذارة من فضلات الإنسان وقطعة من الجبن الأصفر كذلك . ورمى بهما إلى الأرض وقال يا بنت الـ . . ده أكلك مادمت عايشة . لم أمس الخبز ولا الجبن وأخذت الماء وأغمضت عينى لشدة قذارة إنائه وسددت أنفى ، ورفعت الماء إلى فمى وأنا أقول : «بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم» .

«اللهم اجعله غداء ورياً ، وجهاداً وعلماً ، ومعرفة وصبراً ورضاً» .

وشربت من الكوز وأغلقت الزنزانه . ومكثت على حالى إلى ما قبل غروب الشمس . حين فتحت الزنزانه ودخل الشيطان الأسود . وقال وهو يضرب بالسوط الذى فى يده على الحائط وعلى أرض الزنزانه :

قومى يا بنت الـ . . روحى المراحىض .

وعندما خرجت كدت أسقط على الأرض لشدة إعيائى ، فأمسك بذراعى ومشى بى حتى أدخلنى المرحاض ، ولما أردت إغلاق باب المرحاض قال : ممنوع إغلاقه ، فخرجت من المرحاض وقلت له : أرجعنى إلى الزنزانه لا أريد شيئاً .

قال فى وحشية والجاهلية تغطى عليه وعلى المكان :

ادخلى يا بنت ال . . آمال احنا حنحرسكم إزاي يا اولاد

أريد من القارئ أن يتصور معى هذا الموقف؟!

أى جاهلية وأى إلحاد يبيح ذلك؟ .

عدت إلى الزنزانة وأنا أتمنى الموت إن كان الموت خيراً لى . حتى لا أضطر مرة أخرى إلى الذهاب الى دورة المياه مع هذا الشيطان، أغلقت الزنزانة فتممت وصليت المغرب. وما أن انتهيت حتى فتح باب الزنزانة ودخل الوحش الذى أدخلنى من قبل حجرة الكلاب ويدعى صفوت الروبى، ومعه شخصان .

ثم قال اتفضل يا دكتور .

تولى أحدهم الكشف على وأنا على أسفلة الزنزانة .

قال واحد من الواقفين للذى يكشف على: إيه يا شعراوى؟

أجاب: لا شئ قلبها سليم . ذلك القلب الذى أصيب بجلطة من التعذيب .

وخرجوا وأغلقت الزنزانة .

وبعد دقائق فتحت الزنزانة وأخذونى إلى حوش مرعب مظلم مخيف وتركونى ساعتين تقريبا . وجهى للحائط بعد أن أمرونى بعدم التحرك . وقالوا لى وهم يغلقون على باب الحوش: أجلك انتهى النهاردة! يا بنت ال . .

أخذت أفكر فعلا فيما يقولون وأطلب من الله السكينة والأمن وأن ألقاه على الإسلام، وأخذت أتلو فاتحة الكتاب وسورة البقرة وأنا أحس وكأنى أقرأها للمرة الأولى .

شغلت بالتلاوة حتى أيقظتنى من استغراقى صفعة من يد غليظة قاسية وأضيئت الكهرباء، وأخذ هذا الوحش يضربنى بقسوة بالسوط على جسدى

حيثما وقع ، ثم أعطاني ثلاث ورقات بيضاء وقال : والظلمة تتساقط من وجهه
كأنما في عينيه شيطان :

اكتبى هذه الأوراق !

ودخل ثلاثة رجال يأمرونه أن يعيد ضربى ويعلقون : « حتى لا تنسى أن
تكتبى ما نريد يا بنت ال »

ثم أمروه بعد فترة بإيقاف الضرب وأمسك بى أحدهم فى غلظة ورمى بى
إلى الحائط . عرفت فيما بعد أنه حمزة البسيونى . وتلقفنى آخر ، ويدعى سعد
خليل فأخذ يهزنى هزاً عنيفاً حتى أسقطنى على الأرض وأمر العسكرى أن
يركلنى بقدمه .

ثم جاءوا بمقعد أجلسونى عليه وأعطونى الأوراق وأنا لا أستطيع أن أمسكها
لشدة ما بى ، وقاومت وأمسكتها والألم يعتصرنى . وصاح بى أحد هؤلاء
الأقزام : اكتبى أسماء كل من تعرفين فى السعودية . فى السودان . فى لبنان ،
فى الأردن . فى أى مكان فى العالم . اكتبى كل معارفك على وجه الأرض ،
إذا لم تكتبى فسنضربك بالرصاص فى هذا المكان الذى تقفين فيه .

اكتبى كل معارفك من الإخوان المسلمين وكل شئ عن صلتك بهم .

وقدموا لى قلما ثم أغلقوا الباب وخرجوا .

وجلست إلى الأوراق وكتبت فيها : إن لى فى كثير من البلاد أصدقاء
عرفونى عن طريق الدعوة الإسلامية . فحركتنا فى الأرض هى لله سبحانه ،
والله يسوق إلينا من يختار وجهته وطريقه . الطريق الذى سلكه من قبلنا
أصحاب محمد ﷺ والسلف الصالح . . .

إن غايتنا أن ننشر دعوة الله وندعو للحكم بشرعه . وإنى باسم الله أدعوكم أن تتخلوا عن جاهلييتكم وتجددوا إسلامكم . وتنطقوا بالشهادتين وتسلموا لله وجوهكم ، وتتوبوا إلى الله من هذه الظلمة التى رانت على قلوبكم فأغلقتها فى وجه كل خير ، لعل الله يخرجكم من ظلمة الجاهلية إلى نور الاسلام . وبلغوا ذلك لرئيس جمهوريتكم لعله يتوب ويستغفر ويعود للإسلام ، ويخلع عن نفسه أطمار الجاهلية . فإن أبى فأنتم مسئولون عن أنفسكم وعن الطريق الذى اخترتموه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله .

اللهم اشهد أنى قد بلغت دعوتك ، فإن تابوا فتب عليهم . اللهم وتب علينا . وإن جهلوا فإنك أنت العزيز الحكيم . وثبت أقدامنا على الطريق وامنعنا الشهادة فى سبيلك عطاء منك وفضلا . .

كتبت ذلك مستعينة بالله واثقة أنى أديت رسالة الله .

وعدت إلى تلاوتى ، وجاء المدعو صفوت الروبى فأخذ الأوراق وتركنى فى هذا المكان المرعب بعد أن أطفأ النور .

ولم تمض فترة حتى فتح باب الحوش وأوقدت الكهرباء ودخل أربعة جنود ومعهم صفوت يصيح بكل ما فى قاموسه البشع من ألفاظ السباب والشتائم . يا بنت الـ . . . و . . . و . . . احنا بنهزر؟ إيه الكلام الفارغ اللى أنت كاتباه ده؟ .

ثم صاح قائلاً : انتباه !! حمزة باشا البسيونى ، مدير عام السجون الحربية .

ودخل مدير عام السجون الحربية تسبقه كلمات يقذف بها ، لا تساويها فى سفالتها وانحطاطها أى كلمة أو لفظة سمعتها من قبل ، على قذارة ما سمعت . أخذت أنظر إليه باحتقار شديد وازدراء . وكانت فى أيديهم أوراق قالوا كذبا

إنها الأوراق التي كتبتها ومزقتها أحدهم وهم يعيدون ما قاله صفوت من أنهم لا يهزلون وأنهم يستنكرون الكلام الفارغ الذي كتبه.

وقال البسيوني : خذوها. دي مافيش فايذة فيها. ثم خرج، إلا أنه لم يلبث أن عاد صفوت ومعه جند طرحوني أرضاً بقسوة ووحشية ولا أدري كيف وضعوا يدي ورجلي في قيد وعلقوني على خشبة كما يعلق الجزار ذبيحته وجلدت وحشيا من أناس تمرنوا وتمرسوا في الجريمة. كنت أردد اسم الله تعالى حتى أغمى عليّ.

أفقت فوجدت نفسي على نقالة مثل نقالة المستشفيات. كنت عاجزة عن الحركة والكلام. غير أنني كنت أحس بما يقع. وذهبوا بي إلى الزنزانة. ولما أفقت من إغمائي وجدت نفسي مصابة بنزيف شديد. طرقت الباب أستغيث بأن يسعفوني بشئ أجفف به الدماء المتدفقة. وطلبت الطبيب فجاء الجواب سبابا ولعنات.

وعدت إلى ربي أسأله - وهو الذي بيده كل شئ - أن يرفع عني ما بي. وتذكرت حديث رسول الله ﷺ : « اتق دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب » ودعوت الله أن يوقف الدم. واستجاب الله دعائي كرما وفضلا. غير أنني ظللت أقاسى من آلام شديدة بجسدى كله. ناهيك عن قدمي كأن بهما نارا موقدة. ولجأت الى ذكر الله والصلاة له، أروض نفسي بالانصراف إليه على احتمال ما بي.

ومرت ليال قاسية وأنا على هذه الحال: آلام مبرحة ولا طبيب ولا علاج إلا هذا الشيطان الأسود الذي يفتح الباب مرة كل يوم ليرمي بقطعة من الخبز وأخرى من الجبن. وكما يضع هذا الشئ يأخذه فقد كنت لا أطيق رائحة ما يقدمونه من طعام.

ولكن الله ألف بينهم ...

وفى يوم أحسست بشئ يجذبني إلى باب الزنزانة . كان صوت أقدام ، أحسست أن قلبي ينجذب إليها . وأمسكت بباب الزنزانة ووضعت عيني على الثقب الذى يرقبوننى منه بين الحين والحين . ورأيت صاحب هذه الخطى . لقد كان الإمام حسن الهضبي المرشد العام . وأدركت أنهم قبضوا عليه . ووضعت فمى على الثقب وقرأت قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴿ [آل عمران : ١٣٩ - ١٤٠] .

وصرت أترقب هذه الخطى الغالية . وكان الله يرزقنى رؤيته كل يوم . فكنت أقف وأردد الآية ويجيب بإيماء خفيفة لا يلحظها الشيطان الذى يرافقه .

كان هذا اللقاء يؤنسنى كثيرا ويشغلنى عن جل آلامى . وهذا أمر لا يحس بجلاله غير المؤمنين المتأخين فى الله . فالإسلام يربط بين قيادته وجنده برباط يعلو بالنفوس حتى تؤثر مرضاة الله على نفسها . وعشت يغمرنى الاطمئنان بذلك .

عودة إلى دوامة التعذيب والمساومة

لم يطل بى الاطمئنان . فذات مساء فتحت الزنزانة وفاجأنى الشيطان صفوت بالسوط يضرب به كل شئ ويضرب به الحائط . ثم أخذنى بوحشية من ذراعى وأخرجنى من الزنزانة إلى حوش السجن . فإلى مكتب يواجه السجن رقم (٢) ، وأجلسنى على مقعد تجاه مكتب وتركنى وخرج ، وما لبث أن جاء شيطان آخر سألنى عما إذا كنت زينب الغزالى ولما أجبت بالإيجاب خرج كما

دخل . وبعد فترة دخل ثلاثة جنود كأنهم خارجون لتوهم من جهنم . طول أجسامهم مربع وعرض أجسامهم كذلك . وجوههم تعكس غلظة قلوبهم . وبعدهم بقليل دخل رجل فسألهم عما إذا كانوا قد عرفوني ورأوني ، وأجابوا بنفس واحد بالإيجاب ، وقالوا بأن موعد موتى قد حل . ثم خرجوا ليعودوا بالأخ فاروق المنشاوى فيجلدوه بعد أن قيدوه وصلبوه على عود من الخشب . وبين الجلدة والجلدة كانوا يسألونه عن عدد المرات التى زارنى فيها . ويطلبون منه أن يسبنى فيرفض فيزيدونه جلدا ، وأنا أتمزق مما أرى وأسمع حتى طرحوه أرضا واعتقدت أنه يحتضر . ولكن إرادة الله شاءت له أن يعيش ويحاكم ليحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة . يدعو فى السجن للإسلام وللحق الذى آمن به حتى امتدت إليه يد آئمة وبتعليمات من عبد الناصر لتقتله فى سجن ليमान طره فيفوز بالشهادة .

ولم يكتف الأثمون بجلد الأخ فاروق ، بل أتوا بأخ آخر علقوه على أعوادهم وأعادوا عليه ما سألوا فاروق عنه ورفض الأخ كما رفض أخوه من قبل . واشتد العذاب وتعب الشاب وظنوا أنه يموت . فأنزلوه أرضا ورفعوه على نقالة وانصرفوا به لا يدرى أحد إلى أين . . . ويبدو أنهم اعتقدوا أن ما رأيت وما سمعت . . سيدفعنى إلى بعض ما يريدون فأرسلوا لى رجلا يتصنع أنه من أهل النصيحة والخير . حيانى وقدم لى نفسه على أنه عمر عيسى وكيل النيابة (وعرفت فيما بعد أنه أحد شياطينهم) .

ثم بدأ نصيحته قائلا : أنا يا حاجة زينب أريد أن أتفاهم معك لأنقذك من بين أنياب وبرائن هذه البلاوى .

كيف ترمين بنفسك فى هذا «القرف» وأنت زينب الغزالى . المحترمة المصونة . شوفى الإخوان المسلمين ، كلهم بمن فيهم الهضيبى اعترفوا بكل شئ .

وقالوا عنك كلاما يحكم عليك بالإعدام . حموا أنفسهم ورموك أنت .

أنا رأى يا حاجة أن تدركى نفسك قبل فوات الأوان وتقولى الحقيقة وتقولى لنا : ماذا كان هؤلاء ينوون فعله ، وتوضحى موقفك وأنا متأكد إن موقفك سليم .

وصمت ولم أجبه . قال : «جاوبى يا ست زينب فى هدوء وروية . نحن نريد أن نصل إلى الحقيقة» .

فأجبت : أعتقد أن الإخوان المسلمين وأنا معهم ومنهم لم نفعل شيئا يغضب البشر سوى المدرك للحقيقة . ماذا فعلنا؟ كنا نعلم الناس الإسلام فهل فى هذا جريمة؟ .

وصمت فقال : « لكن أقوالهم تثبت أنهم كانوا يتآمرون على حاجات كثيرة منها قتل جمال عبد الناصر وتخريب البلد ، وأنت أنت اللى كنت تحرضينهم على ذلك . وأنا وكيل نيابة ليس لى مصلحة إلا الوصول للحقيقة . فما رأيك بعد هذا؟» .

قلت : ليس من أهداف الإخوان المسلمين قتل عبد الناصر أو غيره أو تخريب البلد ، الذى خرب البلد فعلا هو جمال عبدالناصر . إن غايتنا أكبر من ذلك . إنها الحقيقة الكبرى ؛ قضية التوحيد فى الأرض ، توحيد الله ، عبادة الله وحده ، إقامة القرآن والسنة . إنها قضية ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام : ٥٧] وعندما نحقق غايتنا إن شاء الله ستهدم هياكلهم وتنتهى أسطورتهم . إن أهدافنا الإصلاح لا التخريب . البناء لا الهدم» .

فابتسم ابتسامة باهتة وقال : «يعنى فعلا أنتم تتآمرون على عبد الناصر وحكمه . هذا ثابت من أقوالك يا ست زينب» .

قلت : «الإسلام لا يعرف لغة التآمر ، ولكن يجابه الباطل بالحق ويوضح للناس الطريقين : طريق الله تعالى وطريق الشيطان» .

الذين يسلكون طريق الشيطان مرضى بؤساء نقدم لهم الدواء فى إشفاق وعطف والدواء فى أيدينا : دعوة الله ، دين الله ، شريعة الله .

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾
[الإسراء : ٨٢] .

وانقلبت وجه الشيطان الذى كان يدعى أنه وكيل النيابة ، والحق أنه كان سعد عبد الكريم . وخرج وهو يقول : أنا أردت أن أخدمك . ولكن يظهر أنك مازلت مخدوعة بما صورته لك الإخوان المسلمون . .

وجاء صفوت الروبى فأوقفنى ووضع وجهى إلى الحائط وتركنى ساعات أتمزق بما أسمع من تعذيب الإخوان ، وجلدهم واحدا بعد الآخر ، يحضرنى من أسمائهم : مرسى مصطفى . فاروق الصاوى . طاهر عبد العزيز سالم . وعاد وكيل النيابة المزعوم ومعه حمزة البسيونى وصفوت الروبى . وقال حمزة : لماذا لا تريدان أن تتفاهمى مع وكيل النيابة؟ نحن نريد أن نخلصك من الورطة التى أنت فيها . أنا أعرف زوجك . هو رجل طيب وانت حاتوديه فى داهية!!

حسن الهضيبي قال كل حاجة . والإخوان قالوا كل حاجة . وأنت لم لا تخلصين نفسك مثلهم؟ .

قلت : صحيح! الإخوان قالوا كل حاجة ولذا تجلدونهم وتصلبونهم على الخشب . أنا لا أكذب على الإخوان ولا على نفسى . .

نحن مسلمون ونعمل للإسلام وهذا هو عملنا !!

كان يقف خلفهم أربعة من زبانيتهم يضربون بسياطهم الأرض التي كانوا يجلدون عليها الإخوان .

نظرت إلى وكيل النيابة المزعوم وقلت : وهذه السياط يا وكيل النيابة؟ هل هى من مواد القانون فى كلية الحقوق؟

وضربنى حمزة البسيونى على وجهى وهو يقول:

هو انت يابنت الـ حاجنيننا! أنا اقدر أدفك زى ما بادفن عشرة كل يوم منكم!

فنظرت ثانية لوكيل النيابة المزعوم وقلت له :

لماذا لا تكتب هذا الكلام فى محضرك؟ إذا كان معك محضر !!

فنظر إلى حمزة البسيونى وقال : خلاص تصرفوا أنتم، أنا كنت أريد أن أخدمها لكن هى لا تريد .

وكانت هذه الكلمة بمثابة أمر لصفوت وزبانيته الذين يضربون الأرض والحائط بالسياط، وتحولت السياط إلى جسدى فأغمضت عيني خوفا من أن يصيبها السوط، وظلت السياط نازلة على جسدى بوحشية، وأنا أشكو إلى الله وكنت كلما اشتد الألم رفعت صوتى قائلة: يارب ! يا الله !

وتركونى بعد أن ألصق صفوت جسدى بالحائط ورفع يدي إلى أعلى وأنا أردد يا لطيف! يا الله . أنزل بى عونك! ألبسنى سكينتك !!

بعد ساعات جاء صفوت ومعه شيطان أسود يدعى سامبو . ضربونى على وجهى عدة ضربات واخذونى إلى الزنزانة وأغلقوها .

بعد دقائق من إغلاق الزنزانة سمعت آذان الفجر فصليت ودعوت الله : «إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع لى . أعوذ بنور

وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك»!!

مندوب رئيس الجمهورية

تركونى فى الزنزانة ثلثة أيام، أخذونى بعدها لنفس المكتب حيث كان يجلس رجل أبيض طويل القامة . .

قال : اجلسى ياست زينب، نحن عرفنا أن الجماعة هنا أتعبوك . أنا أعرفك بنفسى : أنا من مكتب السيد رئيس الجمهورية، ونريد أن نتفاهم معك يا ست زينب !! البلد كلها تحبك ونحن أيضا نحبك . لكن انت متباعدة عنا ومخاصمانا ولا تريدن أن تتفاهمى معنا .

لكن والله لو تتفاهمى معنا يا ست زينب سنخرجك اليوم من السجن الحربى، كلنا نقول : هذا الوضع ليس لك أنت .

أنا لا أعدك أن تخرجى من السجن فقط . بل أعدك أيضا أن تكونى وزيرة للشئون الاجتماعية بدل حكمت أبو زيد . . .

قلت له : هل جلدتم حكمت أبو زيد قبل أن تصبح وزيرة وأطلقتكم عليها الكلاب ؟ .

قال : ما هذا الكلام ؟ هودا حصل ؟ . نحن متألمون لمجرد وجودك هنا . قلت : وماذا تريدون منى ؟ .

قال : الإخوان المسلمون لبسوك كل التهمة . والهضيبى لبخ فى الموضوع وعبد الفتاح إسماعيل قال كل حاجة، وسيد قطب قال كل حاجة . لكن نحن أحسننا أنهم يحاولون تخليص أنفسهم وتحميلك أنت المسئولية كلها . ولذا

جئت النهاردة بنفسى بأمر من الرئيس عبد الناصر حتى نتفاهم وتخرجى معنا .
وسأوصلك إلى بيتك بعرييتى ، وأحب أعرفك أن من أقوال الإخوان أصبح
معروفا ومعلوما لدينا أنهم كانوا يريدون الاستيلاء على الحكم ، وإنك انت التى
رسمت الخطة للاستيلاء على السلطة وقتل عبد الناصر وأربعة وزراء معه .
ونحن نريد منك توضيح موقفك ودور سيد قطب والهضيبى فى الموضوع .
ومن هم الوزراء الأربعة المطلوب قتلهم : تفضلى تكلمى ! وشرحى لنا الموقف
بالتفصيل .

قلت : أولا الإخوان المسلمون لم يدبروا خطة للاستيلاء على الحكم ولا
لقتل عبد الناصر والوزراء الأربعة المزعومين ولا لقتل واحد . الموضوع هو
دراسة للإسلام ولمعرفة أسباب تأخر المسلمين والحالة التى وصلوا إليها . .

عند ذلك قاطعنى قائلا : يا ست زينب أنا قلت لك : هم قالوا كل
حاجة . قلت : جايز جدا . وقطعا قالوا ما أراداه الجلادون منهم . فترخصوا
لأنفسهم وقالوا شيئا لم يحدث . . .

القضية كلها أننا كنا ندرس الإسلام ونعمل على أن نربى له جيلا يعيه
 ويفهمه . فإن كانت هذه جريمة فأمرنا الله .

فأقسم بالله العظيم أنه يريد خدمتى وأنه حضر خصيصا لخدمتى .

قلت له : شكرا أنا لم أفكر يوما أن أكون موظفة حتى ولا وزيرة ، أنا
قضيت عمري فى خدمة الإسلام وموضوع وزارة الشؤون لا يعنينى فى قليل أو
كثير لأننى لا أصلح للوظيفة ، فعملى كله التطوع لخدمة الإسلام .

وقام الرجل وتركنى فى الحجرة بعد أن قال : أنت حرة ، نحن عرضنا
خدماتنا وأنت ترفضين . . .

وبعد خروجه بساعة دخل الحجرة رياض ومعه صفوت وكان رياض قد هددنى أكثر من مرة بأنه سيقتلنى إذا لم أقل له ما يريد، وتكررت عملية الضرب السابقة التى لم يمر عليها أكثر من ثلاثة أيام وبعد الضرب المؤلم أعادونى إلى الزنزانة.

كان ذلك أيضا مع طلوع الفجر . .

وجوه غالية تدخل زنزانتى

فى عصر اليوم التالى سمعت أصواتاً أعرفها وأحبها، قمت بصعوبة إلى الباب ونظرت من الفتحة الضيقة، فرأيت الشيطان حمزة البسيونى وتابعه صفوت يسدان على الفتحة، إلا أنى سمعت أصواتا أعرفها، وما لبث الشيطان وتابعه أن تحركا فرأيت بعض الوجوه الغالية :

عليه حسن الهضيبى، وغادة عمار.

وجلست حتى لا يرانى أحد من الطغاة وأنا أنظر من فتحة الباب، غير أن الألم أخذ بى فغطى كل مشاعرى وأحاسيسى، وأخذت أدعو الله سبحانه وتعالى وأسأله أن يدفع عن بناتى وإخوانى شرور الطغاة.

كنت مستغرفة فى آلامى أفكر : عليه حامل فى شهورها الأخيرة ؟ كيف اعتقلها الطغاة؟ وغادة؟ ماذا فعلوا برضيعتها الصغيرة؟ كيف تركتها؟ إنها لقسوة وفجور ووحشية!!

يا للبشر من حكامهم عندما يرتدون أردية الجاهلية، فتغطى كل مشاعرهم وتضيع ضمائرهم فيصبحون جلادين لرعاياهم !

ويلك يا عبد الناصر! أيها الطاغوت كم خدعت قومك !!

وينفتح الباب ويرمى الشيطان الأسود ببطانية ووسادة ، وكان قد مر على ثمانية عشر يوما وأنا أفتersh الأسفلت ، ويعود بعد لحظات ببطانيتين ووسادتين يرمى بهما على الأرض وأنا فى دهشة مما يحدث . ولم تلبث دهشتى أن زالت حين فتح الباب ثالثة ليدخل صفوت وحمزة البسيونى مصطحبين على الهضيبى وغادة عمار يدخلانهما ويخرجان ويغلق باب الزنزانة .

وتقبل على علىة تأخذنى بين ذراعيها تقبلنى وأنا منصرفة عن نفسى وعن الدنيا وتتساءل فى ألم : أنت الحاجة؟ والتفت إلى غادة فأرى عينها ممتلئتين بالدموع تغرقان وجهها . وأسأل علىة فى ألم . . تعرفينى ؟ فتجيب : لا لا لا يا حاجة لقد تغيرت كثيرا ، نقص وزنك إلى حد مخيف ، وأصبح وجهك كأنه وجه شقيقك سعد الدين .

قلت : هذا أمر طبيعى ، أنت لا تعرفين الهول الذى أعيش فيه . وفوق ذلك فأنا لا أتناول من الطعام إلا ملعقة من السلاطة فى اليوم والليلة يرمى بها أحد الجنود وهو مرعوب يخشى أن يضبط متلبسا بجريمته .

وتحاول أن ترتب المكان بما أصبح فيه من بطاطين ووسادات . وتجلس وتسألنى عن مصحف ، مسكينة علىة لقد حسبت أننا نتعامل مع «آدميين» أو نسيت علىة أننا هنا مع أعداء المصحف؟ أنتظر منهم أن يسمحوا لى به؟ وتعرض على غادة مصحفا صغيرا كان معها وكذلك تفعل علىة .

ونجلس ولما مددت رجلى المكسورة التماسا للراحة ظهرت آثار التعذيب وضرب الشياطين ، وتسألنى علىة عما ترى فأتلو عليها الآية الكريمة ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾

[البروج: ٤ - ٨]. وتبكي عادة في صمت وتتساءل عليه في عجب : أيمن أن يحدث هذا مع النساء . عليه طيبة القلب لم تستطع أن تصل بخيالها إلى المدى الذي يمكن أن يبلغه حكم عبد الناصر من عداوة لله ثم للدعاة .

وفاة رفعة مصطفى النحاس

وأرادت عليه أن تغير الموضوع وأن تخرج بي خارج الأسوار ، ونقلت لى نبأ وفاة مصطفى النحاس باشا . وخنقتنى عبرات الوفاء وأنا أدعو ربى : «اللهم إنك غنى عن عقابه وهو فقير إلى رحمتك ، اللهم فارحمه» .

وعرفت منها أنه مات بعد دخول السجن بيومين أو ثلاثة . وحدثتني عن جنازته . عن الألوف المؤلفة التى كانت تسد جميع الطرقات . عن المظاهرات . عن خطف النعش حتى مسجد الحسين . عن الهتافات بألا زعيم بعد النحاس . عن بعض شعارات الإخوان وسط مسيرة الجنازة . عن محاولات أجهزة الدولة الوقوف أمام هذا الطوفان . عن تعليق الإعلام الخارجى على ما حدث . . . وكان حديثا طويلا مطمئنا صريحا .

لقد انتهزت جماهير الشعب فرصة وفاة النحاس . . لتبدى رأيها صريحا واعتقادها سليما فهتفت معلنه مدوية تشق بهتافها سماء مصر : « لا زعيم بعدك يا نحاس» .

فكأنها بتلك الصرخات المدوية تعبر عن حرمان مكبوت فى النفوس والقلوب والمشاعر . والوجدان فكأنها تقول :

«أيتها الزعامات الباطلة اسقطى» .

«أيتها الأقنعة الزائفة انكشف الغطاء ووضح خداعك وغشك» .

«أيها المنقذ أغرقك السراب والوهم».

«يا حبيب الملايين أمرت الفجار فزيفوها فصدقتهم وما أنت إلا وليد إعلام
مأجور وكاتب مأمور».

«أيتها الخشب المسندة ستحرقك النار . . نار الحق فتصبحوا رمادا تذروه
الرياح، يا سرابا وأهل الحق ظمأى».

وسألت عليّة: وماذا بعد ذلك؟ قالت: يتهامس الناس على اعتقال عشرين
ألفاً من المشيعين.

نعم لقد كانت جنازة النحاس أذان حق وإعلان صدق عن سريرة مصر
والمشاعر الحبيسة في نفوس أبنائها والحرية المكبوتة.

وشدني الحديث إلى ذكريات كثيرة عن مصطفى النحاس. ذلك الرجل الذي
لم يحقد يوماً على أعدائه. وكان لا يعز عليه أن يعترف بالخطأ إذا أخطأ. لقد
كان زعيماً وطنياً. وسألت محدثي هل اعتقل أخى « سيف الغزالي » الوفدى
فلم تؤكد عليّة ولم تنف. وساد الصمت فظنت بى خوفاً على أخى فربتت
على كتفى قائلة: يا حاجة كل شئ عنده بمقدار.

لم يكن بى خوف ولكن كان انشغالى بهذه الصورة الرائعة للجنازة. فقد
كانت صورة التشيع - كما نقلتها لى عليّة - تعطى إشارة صريحة وقوية إلى
أن نبض هذه الأمة لم يتوقف - رغم كل إحياءات أجهزة الإعلام التى خدعت
الناس - وبخاصة خارج مصر فظنوا الطاغوت إنساناً أو كما علقت عليه - ظنوه
المنقذ - ما حدث كان يعنى أنه - بإذن الله - سيأتى اليوم الذى تكشف فيه
الحقائق ليعلم الناس حقيقة حكاهم وما يبيعون وما يشترون. يبيعون شعوبهم
وضمائرهم ويشترون مقاعد للحكم مقابل سحق الإسلام والمسلمين . إنه

لتخطيط رهيب! وانصرفت إلى عادة أسألها عن زوجها وأولادها ووالديها.

ومن بين دموعها عرفت أن الزوج هرب لاجئاً إلى السودان، وأن الأم مريضة تائهة بين سمية المريضة وهالة الرضيعة. وأنها ما كانت لتهتم بشئ لولا الطفلتين.

هدأتها ودعوت للجميع ثم سألتها عن ضياء الطوبجى وهل تم زفافه؟ وكان الجواب أنهم قبضوا عليه ويده فى يد عروسته والمأذون، وقبضوا على عروسته وهى فى ملابس الزفاف وعلى أخته منى وأخيه الدكتور.

وهزنى نبأ القبض على الفتيات وتساءلت: إذن كان القصد هو القبض على كل من له اتصال بالإخوان. وتدخلت عليه لتقول: بل على كل من يرى مؤدياً للصلاة. وبدأت عادة تحدثنى عن الاعتقالات والوحشية فى تفتيش المنازل ليلاً ونهاراً، ولم أكن بحاجة إلى هذا الحديث فقد حدث هذا معى وأكثر.

قلت: أعتقد أن التتار حين حاربوا الإسلام لم يفعلوا ما فعله عبد الناصر وزبانيته، ولا الرومان حين كانوا فى مصر قبل الفتح الإسلامى. لقد أنسانا الحكم الناصرى فجور المجرمين فى التاريخ الإنسانى كله.

إنه مارد أصم عن سماع الحق أعمى عن رؤية النور. فلا عجب أن يجلد النساء ويسجنهن ويقتل الرجال ويستم الأطفال ويرمل النساء!!

والحديث بممارته وما فيه من شجون وأسى كان الواقع يحكى ذلك كله ويعكسه. والتفتت إلى تحديق بى وتغوص بعينيها فى قدمى المنتفختين وساقى المتورمة وقالت: أظن أن دورنا فى التعذيب قد جاء يا حاجة، ربنا يعيننا ويصبرنا. وسأتيك بفضوطة من حقيبتى أعطى بها رجلىك، أليس معك حقيبة ملابس يا حاجة؟

قلت : ثمانية عشر يوماً وأنا فى هذه الملابس الملوثة بدماء النزيف كما ترين يا ابتى . وأخذت عادة تبكى وهى تنظر إلى ملابسى المجمدة بالدم والصدید فوق جسمى . واقتربت علىّ أن تغير ملابسى بما معها هى ولما رفعت الملابس الممزقة عن جسدی فوجئنا بآثار السياط تمزقه وكانت صيحة استنكار وألم عمیق ، فهذا مما لا يمكن أن يحدث مع النساء فى نظرهما . .

وحاولت أن أخفف عنهما ما رأتا فحمدت الله على أن كان هذا فى سبيله سبحانه وتعالى ، لا فى سبيل أى دعوة دنيوية أو إلحادية ، حمدته على أن أكرمنا بالإسلام وحمدته على أن شرفنا بمظلة : «أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبد الله ورسوله» .

وحاولت عليه بدورها أن تخفف عني ، فنقلت لى أحاديثهم عنى حديث أختها السيدة خالدة الهضيبي عن أن السجن لن يضرها بشرط أن يدعوها فيه معى فى زنازة واحدة . لقد هزنى هذا الحديث كثيراً . ولكن لو رأت خالدة جسمى لغيرت رأيها وطلبت من الله أن يعافىها . .

ودعوته سبحانه أن يعفى جميع الأخوات وجميع المسلمين والمسلمات من جور وظلم أهل الباطل .

الطعام عبادة

وفتح باب الزنازة فجأة فانقطع ما بيننا من حديث ودخل الشيطان الأسود ويبيده ثلاثة أرغفة من الخبز و«قروانة» صفيح بها فاصوليا مسلوقة . أخذتها منه عليه . وأغلق الباب .

كنت لا أطيق رائحة هذا الطعام . وكانت عليـة حاملا ويبدو عليها الإجهاد .
وكانها أحست بما فى نفسى فقربت الطعام منى وهى تقول : الأكل حلو يا
حاجة !

وناولتنى رغيفا، وناولت عادة رغيفا آخر وابتدأت تأكل وتبعثها عادة . قالت
عليـة : يجب أن آكل من أجل الضيف الذى هنا !! وأشارت إلى حملها ولما
رأتنى متوقفة توقفت وكذلك فعلت عادة .

قالت عليـة : نحن نأكل ونقول مع كل لقمة بسم الله الرحمن الرحيم .
ولم أستطع أن أبتلع الطعام . فقالت عليـة :

يا حاجة أنا معتقدة أنك أصبحت فى نصف وزنك طبعاً من عدم الأكل،
وقد أصبح الأكل فى هذا الوقت عبادة . فالجلادون سيسعدهم أن تموت زينب
الغزالى . والامتناع عن الأكل حرام .

حاولت دون جدوى أن أناقشها بأنى آكل ما يمسك على الحياة، وإرادة الله
قد أعطتنى الصبر عن العظام والقدرة على الاكتفاء بملعقة سلاطة . ومازالت
بى تلح حتى أكلت . ويعلم الله أنه كان عذاباً لا طعاماً .

وفى صبيحة اليوم الثانى لحضور عليـة وعادة، استطعت أن أشركهما معى
فى لقائى اليومى بالمرشد العام عن طريق ثقب الباب، وحدثتهما عما بعثه فى
نفسى من طمأنينة وراحة . واستطاعت عليـة أن ترى أباه فى ذهابه إلى دورة
المياه وإيابه وكذلك عادة .

وجلسنا باقى النهار تحكى لنا فيه عادة كيف قبضوا عليها وكيف التقت
بحميدة قطب بعد القبض على، وأبلغتنى أنهم قبضوا على آل قطب جميعاً .
ومرت ساعات اليوم ثقيلة بطيئة تقطع وحشتها ركعات الصلاة الجماعية .

وجاء ليل .. ليل المساومة والعذاب

وعقب صلاة العشاء فتح باب الزنزانة ودخل الشرير صفوت الروبى ومعه جندى آخر وأخذانى إلى المكتب الذى سبق أن دخلته مرتين من قبل ذلك .

وجدت رجلا يجلس على المكتب ، ألقيت عليه السلام فلم يرد . وأخذت نظراته الوحشية تتفرسنى وهو يقول : أنت زينب الغزالى؟

قلت : نعم .

أشار إلى مقعد أمامه لأجلس عليه ثم قال : إذن أنت زينب الغزالى!! لماذا أسأت إلى نفسك إلى هذا الحد؟ أكل هذا لأجل الإخوان المسلمين؟ كل واحد منهم يحاول تخليص نفسه . وهم جميعا يرمونك أنت فى البئر وحدك . أنت صعبانة علينا . أنا أليت على نفسى أن أنتشلك من البئر . وسأتفاهم معك على بعض الأمور . تذهبين بعدها إلى البيت . ليس هذا فقط . أنا أقول لك باسم جمال عبد الناصر : إن تم التفاهم وعقلت فسيصدر الرئيس قراراً بإعادة المركز العام للسيدات المسلمات وسيرجع لك مجلتك ، وسيعطيك إعانة للمجلة ألفى جنيه شهريا وسيصرف لك مبلغا كبيرا للجمعية ويعيدها أحسن مما كانت . إن تفاهمت معى سأرسل فى إحضار ملابسك وبعد ساعة سنقابل جمال عبد الناصر . .

أنت صعبانة علينا والإخوان الذين أوقعوك فى داهية . ربنا يسامحهم .
الرئيس قلبه كبير ! . .

كان يتكلم وأنا صامته لا أجيب . .

فقال : ما تردى يا ست زينب؟ والله الرئيس ناوى يقيل حكمت أبو زيد

ويعينك مكانها . نحن نريد أن تتعاونى معنا . افتحى قلبك وقولى كل شئ وستعرفين أننى أخوك وأحب لك الخير . وناس طيبون كثيرون فى الخارج أيضا يحبونك ويتوسطون من أجلك . وقد قلبوا الدنيا لأجلك .

قلت : أنا لا أريد أن أكون وزيرة ، ولم يجلب بخاطرى هذا الأمر فى يوم من الأيام ، أما جماعة السيدات والمجلة كذلك . . فقد فوضت أمرى فيهما لله ، وليس من الضرورى للمسلمين أن يعملوا تحت راية مجلة أو جماعة فهم يعملون تحت راية لا إله إلا الله .

قالت : إذن فلم كنتم ترتبون لإعادة الإخوان المسلمين؟ يا ست زينب؟

قلت : نحن مختلفون فى فهم كل شئ .

أنا مثلا أعتقد أن جماعة السيدات التى أسستها عام ١٣٥٦هـ - ١٩٣٦م لم تحل . وعبد الناصر يتوهم أنه حلها باستيلائه على أموالها ودورها وممتلكاتها . فالمسلمون تعقد راياتهم بيد الله ، وما يعقده الله لا يحله البشر .

وجماعة الإخوان مثل جماعة السيدات المسلمات لم تحل أيضا . ودعوة الله ماضية فى طريقها وكلمة الحق قائمة . وسيفنى عبد الناصر ودولته وتبقى كلمة الله . وعندما تنقضى آجالنا ونلقى الله ، سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

إن دين الله قائم ، ولا تزال طائفة من أمة الإسلام قائمة على الحق مدافعة عن دين الله ، مجاهدة فى سبيل الله ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك .

وأدعو الله تبارك وتعالى أن نكون من الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، مبينين للأمة طريقها إلى الله تعالى . . هؤلاء الأمر بالمعروف والناهون عن المنكر خلفاء رسول الله ﷺ وهم المجددون لأمر الإسلام .

إن تأسيس جماعة الإخوان المسلمين لم يكن خبط عشواء من حسن البناء، ولكنه كان تنفيذاً لأمر أَراده الله لتجديد هذا الدين بإقامة دولته وتنفيذ شريعته. ولذا فليس من حق جمال عبد الناصر حل جماعة الإخوان.

قلت هذا وسكت. فقال لى :

والله إنك خطيبة فعلا. لكنى لم آتِك لآخذ منك درسا فى الإخوان ولتجتذبينى لأكون واحداً منهم. أنا آتِيكَ لأصل معك إلى حل ينقذك من المصيبة التى أوقعت نفسك فيها ..

لقد رمى الإخوان كلهم المسئولية عليك ..

عبد الفتاح إسماعيل يقول : إنك انت التى جندته ..

الهضيبى خلص نفسه ورمى المسئولية عليك فقال : أنت أسست التنظيم .. سيد قطب تخلص وشبكك أنت ..

أنت إما طيبة جدا أو مجنونة ..

عبد الناصر يريد أن يخلصك مما أنت فيه، عبد الناصر (اللى البلد فى خنصره) يريد أن يسامحك عما مضى ويفتح صفحة جديدة. هو عارف أنك خطيبة، لك تأثير على الناس والناس تحبك وجماهيرك كثيرة ..

أنت يا زينب خسارة وأنت ورقة رابحة ..

أهناك أحد يريد عبد الناصر أن يقربه ويرفض؟

أنت مجنونة صحيح! لا مؤاخذه. أنا أقول هذا لأننى أريد مصلحتك وأنت طول عمرك تربين اليتامى وتعملين الخير. اعقلى يا حاجة وشوفى مصلحتك واسمعى كلامى ...

قلت : ألا يكفيك ما قلت؟

قال : أمر بسيط جدا سترين الخير بعده : أن تذكرى لى جميع أسماء الإخوان الذين كانوا يحضرون إليك فى المنزل ، والطريقة التى كانوا سيقتلون بها عبد الناصر ، ومتى أخذتم الأمر من الهضيبى بقتل الرئيس . كما نريد أن نعرف موقف سيد قطب ، وكيف أعدت الخطة وما هى تفاصيلها ، وأنا أحلف لك برأس عبد الناصر أنك ستخرجين هذه الليلة من السجن ولتسلمى وزارة الشؤون الاجتماعية . دى فرصة لا تضيعيها ، أنا حلفت لك بشرفى وشرف الرئيس . اعقلى وفكرى جيداً فى مصلحتك ، كل الإخوان الآن لا يفكرون إلا فى أنفسهم ..

وهنا دخل الحجرة رجل غليظ الجثة لا تقع عينى عليه إلا ورأيت شيطانا فى وجهه . قال : يا سيادة العقيد لقد أحضرنا كل التسجيلات التى كنا نضعها فى منزلها بالزيتون ومصر الجديدة منذ ١٩٥٨ . إذا أمرت نحضرها حتى تسمعها لها .

قال محدثى : اذهب أنت الآن يا رياض ! ثم عاد يكلمنى قال :

شوفى يا زينب ، أنا عارف أن زوجك رجل طيب وأريد أن أخدمك من أجلك وأجله . وإخوتك منهم أصدقاء لى أعزاء على . أنا أريد أن أخدمك والرئيس حريص على أن تتفاهمى معنا وهو يريد خدمتك ، وأنا أعدك بشرفى وشرف الرئيس عبد الناصر أن أحرق الأشرطة أمامك إذا تفاهمنا ، نحن نريد أن نخلصك من الورطة التى أوقعك فيها الإخوان ، والله العظيم نحن مسلمون أحسن منهم . ماهو الإسلام؟ الإسلام أن لا يضر الإنسان أخاه!!

قلت وكلى سخرية : والذى تشهده هنا ، أليس إضرارا بأخيك وبالناس

جميعا. قال فى بلاهة : نحن طيبون جدا والنبي بس تفاهى معنا وستدركين طيبتنا . .

قلت : أدعو الله أن يتوب عليكم وتكونوا مسلمين .

وهنا أخرج ورقا من درج مكتبه وأمسك بالقلم وقال : ياست زينب قولى لى من الذى كان يأتى عندك؟ .

قلت : لا أتذكر لأنى لا أحفظ الأسماء ولا أسأل أحدا عن اسمه .

قال : طيب ! نترك هذا الموضوع لنعود إليه بعد قليل . نتكلم فى موضوع حسن الهضيبى وسيد قطب .

قلت : أى موضوع هذا؟

قال : موضوع قتل عبد الناصر والاستيلاء على الحكم!

قلت : يا أستاذ ! القضية أكبر من قتل عبدالناصر والاستيلاء على الحكم ، قتل عبد الناصر أمر تافه لا يشغل المسلمين ، القضية قضية الإسلام ، الإسلام غير قائم ونحن نعمل لقيام الإسلام ونعمل على تربية نشء للإسلام . وإذا كان عبد الناصر يحارب الإسلام فى أشخاص المسلمين وينكر الحكم بشريعة الإسلام مدعيا أن هذا رجعية وتعصب وتأخر فأمر لا يشغلنا .

قال : أنت مجنونة ! هذا الكلام خطير . ألا تعلمين أنك لو قتلت هنا الآن ودفنت ما علم بك أحد .

الظاهر أنك تستحقين ما أنت فيه . لو تركتك الآن فستقتلين بعد ساعة .

قلت : يفعل الله ما يشاء ويختار .

ولم أكد أقول هذا حتى انقلب كالوحش الذى أخذه الصرع ، وأخذ يهذى

فى هـىستىرىا بالسب واللعن والشتىم . ثم نادى أأء الجنوء وأعطاه إشارة آاء على إثرها رىاض إبراىم .

قال له : ءع التسلجىلات للسأأمة . هءه مأنونة . اعرف شألك معها وهات لها سعد وانصرف ذلك الذى كان يساومنى . وأضر العسكرى سعد وهو ىقول نعم ىا باشا . قال له : سوىها ىا سعد . وسأله سعد : كم آلءة ىا باشا؟

قال : أمسائة آلءة . وأنا راعع بعء قلىل .

وأأء سعد ىضربنى بالسوط على ىءى ورألى وظهرى وكل مكان فى آسءى . ثم ىتركنى واقفة ووجهى للأائط وىغىب مقدار ساعة ىعود بعءها لضربنى بالسوط مرة أخرى . ثم آاءوا بآماعة من شباب الإأوان وأأءوا ىآلءونهم وىلقنونهم أفاظا قبىأة وسبابا مشىنة لىوجهوها لى . وكان الشبان ىرفضون ذلك فىزىءونهم آلءاً .

وكان منهم الطىار ضىاء الطوبأى الذى قبض علىه ىوم زفافه .

وآاء ءور أمة فى لىل المساومة !

بعء آلء شباب الإأوان وآلءى أأءونى إلى أوش السأن الذى فىه زنزانتى . وأوقفنى المءعو سعد ووجهى للأائط ما ىقرب من ساعة . كان البرء قارسا وآلام الركل والسىاط شءىءة .

وآاء أمة البسىونى ، كنت قد بءأت أأفظ بعض الأسماء . وكان معه رىاض الذى قال : ىا بنت اعقلى وفأرى فى مصلأتك . نحن لا نرىء إلا نفءك . انصأها ىا أمة باشا !

حاتعقلى وتعترفى كما اعترف كل الرجال أم لا ؟!

قلت : ليس لدى ما أعترف به . الخير الذى كنا نجتمع من أجله هو بعث عقيدة التوحيد فى نفوس الشباب .

التفت حمزة لصفوت وكان يقف خلفه . فقال صفوت : أوامرك يا باشا .
قال حمزة : هات لى كرسيًا ولها كرسيًا .

زوجها صاحبى . ولذا سأتعب نفسى معها .

جاء الكرسي فأمرنى بالجلوس ليعرف كيف يكلمنى موضحاً أنه يفعل ذلك من أجل زوجى .

حاولت أن أجلس فلم أستطع . كانت السباط قد أخذت من جسدى ما أعجزنى عن الجلوس .

أعاد حمزة الأمر بالجلوس فقلت : كلمنى وأنا واقفة .

فقال لى : أنت التى فعلت هذا فى نفسك وحققت نفسك بهذا الشكل . لقد أصبح شكلك قبيحاً ، وأصبحت رجلاً مثل رجلى الرجل الوحش . إن زوجك سيغتم حين يراك بهذا الشكل . لقد أصبح سنك ستين سنة وزوجك صاحبى وصعبان على . انظرى إلى يديك ، كأنهما يدا عمال البناء .

قال صفوت : إنت بتقول يا باشا : سنها ستون سنة ، دى شكلها كما لو كان سنها مائة وعشرين سنة . وشكلها أصبح قبيحاً ، زوجها يسبها ويلعنها وستصلها ورقة الطلاق فى البريد .

قال حمزة : أنت صعبانة على ، أنا أريد أن أخدمك .

ظللت صامته لا أتكلم، بل أنظر نظرات فيها احتقار له وازدراء لما يقول ،
ولا أدري أكان يحس بهذه النظرات أم أنه كان غيباً؟ كنت أراه غيباً جباناً . .
كالحشرة الملوثة . كان يظن أنه يخيفنى ، ولكنى كنت أحس أنه يفرق منى
رعباً . هكذا كنت أحس عندما كان يهذى بتهديداته .

صرخ كالوغد يأمر صفوت أن يضع وجهى للحائط ، وأسرعت أنا بنفسى
أنفذ الأمر وأرفع يدى إلى أعلى ، وما لبث السوط فى يد صفوت أن بدأ يهوى
على ظهرى فى وحشية ، ثم استعدى عسكرياً اسمه سعيد أوقفه بجانبى ويده
سوط يضرب به فى الأرض . وجاء آخر بصفيحة زيت مغلى وضعوا فيها عددا
من السياط .

وانصرف حمزة البسيونى و صفوت . وتركوا هذا الشقى سعيد يغمس تلك
السياط فى الزيت المغلى ويأمرنى أن أنظر . ثم دخل الحوش أكثر من عشرة
عساكر أخذ كل واحد منهم سوطاً أخذوا يضربون بها فى الأرض ويقولون : يا
بنت ال . . بنسن لك الكرابيج . وأنا لا التفت إليهم . كنت مشغولة عنهم بذكر
الله . كنت أتلو قول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ
فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ
وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ ﴿ [آل عمران : ١٧٣ - ١٧٤] ودخل السفاح الروبى بعد
فترة وقال : اخرجوا يا أولاد .

انتظرونى . أجلنا قتلها الليلة . .

وجذبنى من ذراعى وأخذنى إلى الزنزانة .

عودة إلى الزنزانة

فتح الباب وابتلعتنى الزنزانة . كانت عليّة وغادة نائمتين فجلستا وأزعجهما الدم الذى ينزف من قدمى .

سألتنى عليّة عما فعلوه فى رجلى ، قلت : الحمد لله وطلبت منهما العودة إلى النوم وأنا أردد حديث الرسول عليه السلام :

«بسم الله ، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» .

ومرت ليلتان وآلام الجلد تأخذ منى كل مأخذ ، وأنا أكتم آلامى داخل نفسى إشفاقا منى على عليّة وغادة ، وكانتا تحرصان كل الحرص على ألا تسألانى عما حدث فى تلك الليلة ولا عن سبب استدعائى ، لقد اكتفتا بما رأتا من آثار التعذيب على جسدى وبمنظرى عند العودة .

وفى صبيحة يوم سألتنى غادة عما حدث فأسكتتها عليّة وشعرت أنا بأن فى سؤال غادة نذيرا بشئ جديد فانقبضت نفسى وانقضى اليوم .

وهبط ليل آخر

وبعد صلاة العشاء فتح باب الزنزانة وسدته جثة صفوت المظلمة الذى نادى بوحشية : يا بنت يازينب قفى ؟ وسحبنى من يدى وهو يقول تعالى اختل توازنى وكدت أسقط على الأرض من شدة الاعياء! . . وفى الطريق قابله رجل قال له : خليل بك ينتظرك يا صفوت ! قال وهو يسب ويلعن . . أنا آخذ له البلوى دى سأل الآخر هى دى زينب الغزالى ؟ فأجاب صفوت : نعم هى دى . زينب الغزالى . . وأخذ يسب ويلعن وأدخلنى حجرة بها مكتب عليه رجل كأن وجهه الليل المظلم المخيف .

انتفض الرجل واقفا كأن جنا مسه وقال لصفوت: روح انت هات الرجل .
وتركنى واقفة وأخذ يذرع الحجرة ذهابا وإيابا كالملدوغ . عاد صفوت ومعه رجل
دخل وجلس على المكتب .

أخذ يقول: من أنت يابنت؟

قلت: زينب الغزالي الجبيلي!

قال: ولم أنت هنا؟

قلت: لا أعلم .

قال: لازم تعرفي . أنت هنا لأنك والهضيبي وسيد قطب وعبد الفتاح
إسماعيل دبرتم لقتل جمال عبد الناصر .

قلت: لم يحدث هذا!

قال: اعتدلى في كلامك! .. الليلة قتل لا جلد ككل مرة . أتعرفين من أنا؟
أنا وحش السجن الحربى .. أنت فاهمة .

قلت: .. ليس هنا إلا الوحوش والكلاب .. لم أر أحدا من الآدميين منذ
دخلت السجن إلا هؤلاء المظلومين من الإخوان حملة الأمانة وزعماء الحق .
فقام وركلنى برجله ودفعنى بكلتا يديه فأوقعننى ، ثم أخذ يرفصنى برجليه ، ثم
أوقفنى وكان الضرب قد أتعبنى فاستندت إلى الحائط . فنظر إلى وقال: لا نريد
هذه الفلسفة اعتدلى وتكلمى! .. وضربنى بكلتا يديه على وجهى .. وأخذنى
صفوت بيديه .. وأجاسنى على مقعد وخرج وأغلق باب الحجرة .. وبعد فترة
دخل رجل وفلس: "إيه يازينب ماذا تفعلين بنفسك .. أنت تشتمين الناس

وتسخرين بهم . . الرئيس قلبه كبير ويريد أن يخدمك . نحن نريدك شاهدا في القضية فقط وسنخرجك من الجريمة التي ألبسها إياك الإخوان المسلمون» .

قلت : «ليس هناك جريمة لدى الإخوان المسلمين . . الجريمة أنكم أنتم أيها الأوغاد تحكمون هذا البلد الطيب» .

قال : «أنت إما مجنونة أو حالتك النفسية سيئة سأتركك وأبعث لك من يعرف كيف يتفاهم معك» .

وتركنى وخرج ، وحمدت الله على أنه لم يأمرنى بالوقوف لشدة تعبى . وبعد فترة دخل رجل ويده سوط وكان مايميزه أن حب الشباب يملأ وجهه .

قال : قفى يابت . . من أنت؟

قلت : زينب الغزالى الجبيلى . .

قال : يانهار أسود . تبقى دى ليلتك الأخيرة مادمت حضرت هنا . ودخل رجل آخر فقال للأول : أخرج انت سأقعد معها قليلاً .

هذا حرام . دى فعلت خيرا كثيرا ، لكن أوقعها الإخوان . .

قال الأول : صحيح يابيه لازم تكون عملت طيب لأنك لحقتها . كان فاضل لها دقائق وعمرها ينتهى . .

قال الثانى : اذهب أنت . سأقعد أتفاهم معها ، ماذا تريدون منها بالضبط؟

قال الأول : الرئيس والمشير يريدان أن تكون شاهد ملك فى القضية وتعترف على الإخوان . . والإخوان كلهم اعترفوا يابيه .

ثم خرج وبقى الثانى .

قال: يازينب ما هذا الذى تعملينه فى نفسك؟

ملايسك متقطعة ومتبهدة..

ثم جلس على المكتب وهو يقول: «إنت باين عليك الإعياء خالص..
تقدرى تجاوبى على أسئلتى، أو نتفاهم غدا»؟

لم أجبه.. قال: «أنا كنت مع أخيك عبد المنعم وسيف ومع زوجك هذا الصباح.. زوجك رجل طيب جدا وأنت صعبانة على قوى.. وأنا أريد إخراجك من هذه القضية، وموضوع إنك تصبحين شاهدة ملك موضوع جيد جداً..»

ثم نادى صفوت وأمره أن يأخذنى إلى الزنزانة لأنام وأرتاح وأفكر لنتلقى غدا.. وأخذنى صفوت..

استراحة قصيرة

وابتلعتنى الزنزانة، وكانت عليا وغادة نائمتين، وتنبهت عليا إلى دخولى فقالت: أجئت يا حاجة؟ قلت: الحمد لله.

حاولت أن أنام فلم أستطع.. وأذن الفجر فصلينا، وأخذت غادة تسألنى عما حدث.

قلت: الأمر لله. أدعو الله أن يثبتنا على الحق، إنهم يريدونها فتنة. إنهم يطلبون منى المستحيل. قالت عليا: ربنا يعينك يا حاجة. وأعادت غادة السؤال عن تفصيل ما حدث.. فلم أحدثها.. كنت متعبة وكان على أن أهيب نفسى للقاء الليلة الآتية.. وفهمت عليا ذلك فأسكتت غادة وانقضى النهار.

وما أقسى الليل

وجاء الليل الذى أصبحت أخافه وأخشاه، وأخذت عليه وغادة تدعوان لى وللإخوان جميعا، وفتحت الزنزانة وأخذت، ولكنى وجدت رجلا آخر لم أره من قبل ومعه صفوت، ذهبا بى إلى مكاتب التعذيب.

أمر الرجل صفوت بالانصراف وأمرنى بالجلوس على مقعد بجوار المكتب.

ثم بدأ حديثه قائلاً:

ياست زينب أنت أتعبت الناس الذين يريدون خدمتك. وأنا اليوم مقطوع لخدمتك، وأرجو أن يعيننى ربنا وتنهدى بالله وتتركى حكاية الإخوان المسلمين، وكفاية أنهم أوقفوك هذا الموقف الحرج.. أنت مخدوعة فيهم. فاكرة إنهم صحيح يريدون الإسلام. هؤلاء طلاب حكم، نحن نريد أن تفتحى لنا قلبك. الهضيبى قال كلاما معناه الحكم عليك بالإعدام وأيده سيد قطب فى ذلك.. نحن لانصدق كلامهم ونريد إخراجك من القضية نهائيا واعتبارك شاهد ملك.. كما نريد أن تذهبى الآن إلى منزلك، وعندما نحتاج لىك فى الشهادة نرسل لك أو نذهب نحن إليك فى منزلك، إذا وافقت على هذا ستقابلين المشير عامر والرئيس عبد الناصر، وسيصدر قرار من الرئيس بإلغاء قرار حل جماعة السيدات، وقرار بإعادة صدور المجلة، ليس هذا فحسب بل إن الرئيس ينوى أن يعطيك مركزا كبيرا فى الدولة يجعلك صاحبة السيطرة على كل الجمعيات فى الجمهورية.. وكفى ما حدث لك من غدر الإخوان.. كل المصائب يريدون وضعها على رأسك ليخرجوا هم سالمين..

كان يتحدث وأنا صامتة لا أنطق بكلمة، وكان وهو يتحدث يتفرس فى

ملامحى.

ثم دق جرسا على المكتب دخل بعده صفوت فطلب لنفسه شايًا ثم التفت إلى يقول: أنت تشربين القهوة فهل أطلب لك فنجان قهوة.
فقلت: «شكرا.. لا أريد شيئاً».

قال: «اسمعي يازينب، سأعطيك ورقا وقلمًا، اكتبى فيه كل ما اتفقنا عليه فقلت: «إننا لم نتفق على شيء.. ولا أدري ماذا أكتب..!!».

قال وهو يناولنى الورقة والقلم: «إنت للآن لم تستطيعى أن تقدرى مصلحتك.. الرئيس جمال يريد خدمتك، ويريد إخراجك من القضية!!».

قلت: «أى قضية؟!! ناس اجتمعوا ليدرسوا دينهم، ويتفقوها فيه.. هل هذه قضية أو جريمة؟!! الأولى بالرئيس وبالمشير أن يحاكما الذين ينشرون التسبب الأخلاقى، والانحلال، بل والتسبب الإلحادى.. وينشرون الفساد فى كل مكان.. إذا كتبت فسأكتب الحقيقة الواقعة فى هذا البلد المسكين.. الحق الذى أعلمه سأكتبه!!»

قال: «أنا عارف إنك سيدة فاضلة على علم، وعقلك كبير، ولن ترتضى أن تزيدى موقفك سوءًا أكثر مما أنت فيه!!.. أنا سأتركك مع الورق والقلم.. قبل الكتابة. ضعى أمام عينيك أن الرئيس يريد إخراجك من القضية.. القضية وضحت معالمها تماما.. الهضيبى وسيد قطب كانا يدبران لاغتيال عبد الناصر والاستيلاء على الحكم. ويقولان إن زينب الغزالى هى التى كانت تدبر وتخطط. يريدان إلقاء كل المسئولية فوق رأسك ويلتمسان البراءة لهما فقط. بل إنهما يقولان إنك أنت السبب فى كل ما حدث، وأنت التى سببت لهما الأذى والضرر.. اكتبى.. اكتبى.. لكن فكرى طويلا فى موقفك وموقف الإخوان منك.. إنهم يريدون إلصاق القضية كلها بك.. وإخراج أنفسهم منها.. إننا

نعرف أنهم حرضوك ثم تخلوا عنك . . هل هذه شجاعة؟! !! إنها نذالة» . .

وتركنى وحدى مع الورق والقلم . . وآه من الورق والقلم مع سجين فى زنزانة!! . . وكتبت « . . . كنا نجتمع مع شباب الإخوان ندرس فى كتب الفقه والسنة والحديث والتفسير . كنا ندرس كتاب المحلى لابن حزم، وزاد المعاد لابن القيم، والترغيب والترهيب للحافظ المنذرى، وفى ظلال القرآن لسيد قطب، وملازم من كتاب معالم الطريق . . كنا ندرس سيرة الرسول والصحابة . وكيف قامت الدعوة الإسلامية . . وكان ذلك بإذن وإرشاد الأستاذ الهضيبى . . كان الغرض من الدراسة هو إيجاد لبنات سليمة من الشباب المسلم . علنا نستطيع إعادة مجد الإسلام وقيام أمته الفعالة فى الأرض . وبعد دراسة طويلة قررنا أن نعيد تنظيم الإخوان المسلمين فى كل مواقعها وأن نعمل بدأب ومثابرة على جمع كل من نستطيع من لبنات صالحة من شباب الأمة الضائع فى المجتمع الجاهلى المحيط بالبشرية كلها . . وقررنا أن يستغرق هذا العمل ثلاثة عشر عاما . بعدها نقوم بمسح للجمهورية، فإن وجدنا الفئة المؤمنة بمبادئ الإسلام تقل نسبتهم عن ٢٥٪ جددنا فترة الدراسة المصحوبة بالتربية لثلاثة عشر عاما أخرى ثم نعيد التقييم ثانية وثالثة ورابعة حتى تصل النسبة ٧٥٪ من مجموع الشعب . . عندها ننادى بالدولة الإسلامية . . فماذا يخيف عبد الناصر، وماذا يخيفكم أيها الحاكمون؟ ربما تمضى أجيال قبل أن يتحقق هذا الذى نرجوه، فما الذى يخيفكم؟! !! ليس فى حسابنا - بالمرّة - قتل عبد الناصر، فقتله ليس أمرا واردا فى قضيتنا . القضية أكبر من قتل شخص أو أشخاص وفكرة القتل مرفوضة ولكنكم تتعللون بها لتقتلوا المؤمنين . . !! من الذى أمركم بتعذيبنا وقتلنا؟ الصهيونية أم الشيوعية؟! !!

إن الأمر الذى ترتعد منه الشيوعية الملحدة، ويخيف الغرب المنحرف، المرتد

عن مسيحيته . . إن الأمر الذى ترتجف منه الصهيونية العالمية ويجعلها لاتنام ولا تهدأ . . الأمر الذى يرعب كل هؤلاء جميعا، هو عودة الإسلام بعقائده وشرائعه ومعاملاته إلى المسلمين . . !! نعم عودة الإسلام تقلق كل هؤلاء ولذلك هم يتربصون بنا ويتجسسون علينا، ثم يأمرّون عملاءهم بالقضاء على المؤمنين . . ولكن الله متم نوره . ومخزى الكافرين . . إن قتلتمونا اليوم فسيأتى من بعدنا من يرفع راية الإسلام . . أما مجلة السيدات المسلمات أو المركز العام للسيدات المسلمات أو الدنيا كلها إذا جاءتنا لتكون لغير الله فنحن نرفضها ولا نريدها . . إننا لا نطلب إلا الله وطريقه وشريعته» وذيلت هذه الكلمات بتوقيع «زينب الغزالي الجبيلي»!! .

ودخل صفوت الروبى وطلب منى الأوراق فأعطيتها له وخرج . . ومرت فترة . عاد إلى الرجل الذى كان أعطانى الأوراق والقلم . ومعه أوراق - ليست هى التى كتبتها - ثم مزقها وقذفنى بها فى وجهى ليوهمنى بأنه مزق ما كتبت!! . . وقال لصفوت: «خذوها يا صفوت . . إنها لاتستحق إلا الإعدام كما قرروا . . أنا كنت أريد أن أخدمها لكنها رفضت يدى الممدودة إليها . . دعهم يعدمونها!!» . .

وانصرف . .

إننى فى دهشة - بل فى حيرة - إن كانوا يقولون ويزعمون أن القضية وضحت كل معالمها وتكشفت كل عناصرها، فلماذا لم يقدمونى إلى المحاكمة العلنية، ولا داعى للترغيب والترهيب والتعذيب؟! أم أن القضية هى الموت البطيء تنفيذًا لمخطط مرسوم؟

حقا لقد وضحت القضية . . ووضحت كل معالمها . . وتكشفت كل عناصرها . . بل وبان هدفها والغرض منها . . أنهم يريدونها جاهلية . . جاهلية!!

الفتنة فى حقبة ملابس.. وخطاب من عبد الناصر

أغلق باب الزنزانة فانتقلت إلى عالم آخر..!! كان الإرهاق والجهد والألم قد سطر كل منها سطورا عميقة فى نفسى وجسدى!!.. وتكورت فى مكانى أحاول النوم فلم أستطع فقد كنت كأنى أتقلب على مسامير محمية.. فالسياط والركل والصفع قد مزقت جسمى، والسب بأبشع الألفاظ وأقذرها قد مزق نفسى..!!

وهكذا ظلمت أتقلب حتى سمعت أذان الفجر فاستيقظت عليه وغادة وتيممنا وأدينا الصلاة.. كان حالى يغنى عن أى سؤال فنظرت إلى عليه وقالت: «الدكتور أعطانى حبوبا مهدئة أتأخذين قرصا يا حاجة؟!» قلت: «لابأس يا عليه!!».

تناولت القرص واستسلمت للنوم.. ولكن هيهات للنوم أن يجمع أشلاء جسد ممزق، وشتات نفس ممزقة!! ففزعنا إلى الله.. نقرأ القرآن.. ونصلى ما استطعنا.. كانت غادة تحفر على حائط الزنزانة تاريخ كل يوم منذ مجيئها إلى السجن.. قالت: «اليوم ٨ أكتوبر» فقلت: «ربنا يفوته على خير..» قالت عليه: «إن شاء الله»

وفى الضحى فتحت الزنزانة وظهر صفوت ومعه جنديان يحملان حقيبة كبيرة عرفت من النظرة الأولى أنها من منزلى!!

فتح صفوت الحقيبة وهو ينادى: «يا زينب! هذه ملابس طلبناها لك من البيت وأخذ يخرج ما فى الحقيبة ويعرضه على ثم أعاد ما أخرجه إلى الحقيبة ثانية وأقفلها.. كانت الحقيبة كأنها أعدت لرحلة طويلة.. فسألته: «من طلب

كل هذه الملابس ومن أحضرها؟

فقال صفوت: نحن طلبناها وأختك حياة أحضرتها..

ثم أمر الجنديين بالانصراف بالحقيبة!! ولبث قليلا ثم أغلق الزنزانة!!
انصرف الزبانية فأغمضت عيني ورحت في إغماءة شديدة؛ على إثرها هرعت
إلى عليّة وغادة تدلكان يدي وقدمي محاولان إفاقتي، وأخذتا تهونان على الأمر
«ياحاجة الأمر بسيط.. هم اعتقدوا إنك محتاجة إلى ملابس فطلبوها.. الأمر
بسيط وعادى جداً..»

قلت: «لا يا عليّة إنها مصيبة كبيرة!!»

فقلت عليّة: «لماذا يا حاجة؟ انهم رأوا ثيابك قد تمزقت وأنت في حاجة إلى
ملابس».

فقلت: «لا لا يا عليّة. هذه فتنة!! لماذا أنا بالذات التي تأتيها ملابس؟ إنني
منقبضة وغير مستريحة إلى هذا.. إنني مقبلة على اختبار أكبر مما أنا فيه!!»
وأخذت أدعو الله أن يثبتني على الحق.

وانتظمتنا في صلاة العصر. ونحن في الركعة الأخيرة دخل صفوت وجذبني
بوحشية وقال: «تعالى معي!!» وأغلق الزنزانة على غادة وعليّة.

سار بي إلى آخر الممر. ثم قذفني في زنزانة حالكة الظلام، كريهة الرائحة،
رطبة تمرح فيها فئران متوحشة!!

جلست في رعب شديد وجسمي يرتعد من شدة البرد وبرودة الأسفلت
بقسوة، وظلمة الزنزانة تضاعف خوفي ورعبي وآلامي! ولجأت إلى الله لأتغلب
على هذه الظروف. فتيسمت وأخذت أصلي وأصلي وأناجي ربي..!! ﴿ألا

بَذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ [الرعد: ٢٨].

وفجأة أضىء النور. ودخل صفوت ومد يده قائلاً: «اقرئى هذا الخطاب يا بنت! نظرت فى الخطاب.. فوجدت مكتوباً فى أعلاه «مكتب رئيس الجمهورية» ثم مكتوب فى صلبه بالآلة الكاتبة- «بأمر جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية تعذب زينب الغزالى الجبيلى فوق تعذيب الرجال!» التوقيع «جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية» ومختوم بخاتم شعار الدولة الخاص برئاسة الجمهورية.. قرأت الخطاب ثم أعدته إلى صفوت قائلة: «الله أكبر منكم جميعاً.. نحن معنا الله..» فأخذ يرمى صفوت بنظرات شرسة ويقذف من فمه بقذارات من السب المقذع.. ولم أنطق بكلمة واحدة فأغلق الزنزانة.

بعد فترة قصيرة سمعت صفوت يصيح بأعلى صوته «انتباه!!» وفتحت الزنزانة ودخل حمزة البسيونى تتراقص الشياطين فى عينيه وقال: «آخر فرصة لك.. ساعة واحدة فكرى فيها جيداً وقدرى مصلحتك، لقد أحضرت لك ثياباً لتقابلى المشير عبد الحكيم عامر والرئيس جمال. ثم يتغير موقفك فى القضية» ونظر إلى صفوت قائلاً: «اقرأ عليها الخطاب يا صفوت!!» فرفع صفوت عقيرته وقرأ «بأمر جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية تعذب زينب الغزالى الجبيلى فوق تعذيب الرجال» إمضاء جمال عبد الناصر.. أخذ حمزة البسيونى الخطاب من صفوت وقال وهو يناوله لى: «خذى.. خذى يامجنونة الخطاب واعرفى ما فيه جيداً..»

فقلت له: «لقد قرأته!!»

فقال: «اقرئيه مرة أخرى».. ثم اتجه إلى صفوت وقال: أين السوط يا صفوت؟! فأخذت الخطاب وقرأته ثم قذفت به إلى الأرض وقلت له: «ربنا

أكبر منكم يافجرة . . اخرجوا يا كفرة!!» .

نادى حمزة البسيونى على بعض الجنود خارج الزنزانة ، فدخل جندى يحمل حقيبة الملابس . وقال فى وحشية : «سنمنحك فرصة لمدة ساعة . . وهذه ملابسك . . فكرى جيدا ولمصلحتك فقط . . حل المشكلة فى يدك أنت!!» ثم أغلقوا الزنزانة وانصرفوا . أخذت أستغفر الله وأدعوه الثبات على الحق .

ومضت الساعة الممنوحة لى . فdq أذنى صوت صفوت «انتباه!!» ثم دخل حمزة البسيونى ونظر إلى ثم قال : «ألم ترتدى ثيابك!!؟ أتريدى الموت!!؟» .

لا بأس! لقد بعث نفسك! حسنا خذها يا صفوت . . بنت الـ . . . تريد أن تقدم نفسها فداء لسيد قطب والهضيبى ، إنهم يريدون التخلص منها ويخرجون هم أبرياء .

جذبنى صفوت بعنف وخرج بى من الزنزانة وسار بى فى الممر ، وأثناء مرورى على زنزانتى قلت «الله أكبر» بصوت مرتفع حتى تسمع «علية وغادة» فكنت أعتقد أنها اللحظة الأخيرة فى حياتى ، كما قال حمزة البسيونى!! .

الباب الرابع

مع شمس بدران

زنزانة الماء !!! والجريمة

واستمر صفوت فى سيره حتى مكتب ضابط يدعى هانى، وأخذنى هانى
إلى مكتب شمس بدران...!!

شمس بدران وما أدراك ما شمس بدران!!! إنه وحش غريب عن الإنسانية
وأكثر وحشية من وحوش الغاب!!! إنه أسطورة فى التعذيب والقسوة!!! كان
ينطلق فى لذة غريبة يضرب الموحدين المؤمنين، بأعنف مايمكن أن يتصوره
العقل البشرى. ظنا منه أن القسوة والعنف فى التعذيب يرد المسلمين عن دينهم
وعقيدتهم!!! وقد خاب ظنه..

وسألنى شمس بدران فى غطرسة كأنه جامع رقاب الخلق بين أصابعه هو
انت بقى ست زينب الغزالى؟! قلت: نعم!

كان مكتب حمزة البسيونى يتصل بمكتب شمس. وكان يقف خلفى الجلاذ
صفوت الروبى واثنان آخران ويبد كل منهم سوط كأنه لسان من لهب!!!.

قال شمس بدران وهو مازال فى غطرسته: «يابنت يازينب! خلى بالك
وتكلمى بعقل وشوفى فىن مصلحتك، خلىنا نخلص منك ونشوف غيرك وإلا

بعزة «عبد الناصر» أجعل الشياطين تمزقك. قلت: «يفعل الله ما يشاء ويختار».

فقال: «ما هذه الرطانة العجيبة يا بنت..؟!» فلم أرد عليه فقال: «ما هي صلتك بسيد قطب والهضيبي؟».

قلت في هدوء: «إخوة في الإسلام».

فقال في استنكار بليد: «أخوة ماذا؟».

فأعدت: «أخوة في الإسلام».

فقال: «ما مهنة سيد قطب؟».

قلت: «الأستاذ الإمام سيد قطب مجاهد في سبيل الله، ومفسر لكتاب الله، ومجدد ومجتهد».

فقال في بلادة: ما معنى هذا الكلام؟

فقلت وأنا أضغط على مخارج الألفاظ تأكيداً له معناه: إن الأستاذ سيد قطب زعيم، ومصلح، وكاتب إسلامي، بل من أعظم الكتاب الإسلاميين، ووارث محمدى.

وبإشارة من إصبعه انهال على الزبانية. وقال هو: ايه يا ست؟

ولم أجبه - قال: ومهنة الهضيبي إيه كمان؟

فقلت: «الأستاذ الإمام حسن الهضيبي» إمام مبایع من المسلمين المتمين لجماعة الإخوان المسلمين، الملتزمين بتنفيذ أحكام الشريعة، والمجاهدين في سبيل الله حتى تعود الأمة الإسلامية كلها إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ. وما فرغت من كلامي حتى عاود الزبانية التعذيب بالسوط!

فقال: «هراء، وكلام فارغ.. ما هذا يا بنت ال...».

وقال حسن خليل: «دعها يا باشا.. توجد نقطة مهمة!!» ثم تقدم إلى
وأمسكنى من ذراعى وقال: «هل قرأت كتاب «معالم الطريق» لسيد قطب؟
فقلت: «نعم قرأته».

فقال رجل آخر من الجالسين - وكان يدخل بعض الضباط أثناء الاستجواب
ويجلسون للمشاركة فى الاستجواب من جهة. ومن جهة أخرى كنوع من
الإرهاب ممكن تعطينا موجزا لهذا الكتاب؟

فقلت: «بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين...».

فقاطعنى شمس بدران فى صفاقة غريبة: أنت واقفة على منبر مسجد يا
بنت ال...؟! إنا فى كنيسة يا أولاد ال...!!».

وقال حسن خليل: معذورة يا باشا.. أكملى يا زينب. ماذا فهمت من
كتاب معالم فى الطريق؟

فقلت: كتاب معالم فى الطريق للإمام المجتهد المفسر سيد قطب يدعو
المسلمين لمراجعة أنفسهم مع كتاب الله، وسنة رسول الله، وتصحيح تصورهم
لعقيدة التوحيد. فإذا وجدوا أنفسهم - وهذا هو الواقع الآن - منقطعين عن
كتاب الله، وسنة رسوله سارعوا بالتوبة. وعادوا إلى دينهم وكتابهم، وسنة
رسولهم. ثم يدعوهم للمفاصلة بينهم وبين الجاهلية المتفشية فى الأمة،
فطمست وضوح الرؤية فى فهم القرآن. وتصور أوامره تصوراً سليماً. فإذا
راجعت الأمة الكتاب ومراميه، ومقاصده، والتزمت بدينها صحت عقيدتها.
فالسيد قطب يرى ضرورة تبصير الأمة بمراجعة عقيدتها لتقرر صدقاً من قلبها

وضميرها، أنها ملتزمة بكل ما تكلفها به شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله..

ولزمت الصمت بضع لحظات، فقال حسن خليل فى تهكم أبله «إنها خطيبة».

وقال آخر: «إنها كاتبة كذلك». وأخرج مجموعة من مجلة السيدات المسلمات كانوا قد استولوا عليها مع الكتب يوم القبض على. وأخذ يقرأ منها بعض جمل من مقال افتتاحى لأحد أعداد المجلة. لكن شمس بدران قاطعه ونظر إلى الحيوانات المفترسة التى تحيط به. وقال فى جاهلية: أنا لم أفهم شيئاً مما قالته هذه البنت!! فنزل على الزبانية بسياطهم: قائلين وضحي يا بت للباشا.

فقال حسن خليل - ويبدو وكأنه ينسج شبكة لاصطيادى - : لا بأس يا باشا.. لحظة أخرى.. ثم قال لى: أريد أن أفهم معنى ما تلزم به لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فقلت: إن محمداً ﷺ، جاء ليخرج البشرية كلها من عبادة البشر، وعبادة الوثن، إلى عبادة الله وحده، وهذا معنى لا إله إلا الله. وأما معنى محمد عبده ورسوله، فكل ما جاء به محمد ﷺ من الوحي، وهو القرآن الكريم والسنة الصحيحة، هو حق واجب التنفيذ اعتقاداً وعملاً، وهذا هو التصور السليم لكلمة التوحيد.

فقال شمس بدران وقد أخذته العزة بالإثم: «كفى سخافات!» ثم نزل على وحوشهم بالكراييج.

وقال حسن خليل وكأنه يحكم الحبال حول عنقى - كما يتصور - :

«لحظات أخرى يا باشا - من أجلى .

ونظر إلى وقال : هل نحن مسلمون أم كفار؟؟!! .

قلت : اعرض نفسك على كتاب الله وسنة رسوله ، وستعرف أين أنت من الإسلام . فقال شمس بدران «يا بنت الـ . . » وانطلقت القاذورات من فمه تكشف أخلاقيات هذا المخلوق العجيب!! أما أنا فلم أرد من هول السياط . وبدأ شمس بدران يمارس عملية وحش الغاب المفترس . . إن غابة عبد الناصر لا تعرف تقاليد أو عادات . بل تسودها جاهلية حمقاء ، يظلمها طغيان أهوج ، وتسرح فى دروبها ذئاب خبيثة جائعة إلى نهش البشر!! .

نظر شمس بدران إلى صفوت وقال : علقها يا صفوت الضرب ده مش نافع!! .

فخرج صفوت وأتى بعامود من الحديد وقاعدتين من الخشب . وجاء ثلاثة من الزبانية يحمل كل منهم سوطاً . وأعدوا الآلة ليعلقونى عليها . فقلت لهم : «أعطونى بنطلونا من فضلكم . . أرجوكم!!» .

فقال حسن خليل لشمس بدران : «لابأس يا باشا» . فقال شمس بدران : «هاتوا لها بنطلونا» . وفى سرعة عجيبة أحضر أحد الجنود بنطلونا كأنما انتزعه من تحت رجله!!

وقال حسن خليل لشمس بدران : «عفوا يا باشا» ثم التفت إلى وقال : «ادخلى هذه الحجرة البسى فيها البنطلون . . » .

كانت حجرة فاخرة الأثاث ، مكيفة الهواء ، بها جهاز تليفزيون وجهاز راديو!! ولبست البنطلون وخرجت إليهم!! وعلقت بأمر شمس بدران فى هذه الحديدية . . ولا أدري كيف ربطوا يدي مع رجلى . ولا كيف علقت . .!!

ويخرج الأمر من فم شمس بدران كضابط عظيم فى ساحة الوغى : اجلدها
ياصفوت خمسمائة جلدة!!

وتنهال السياط تسطر على قدمى وجسدى أبشع ما عرفته الجاهلية من قسوة
وحيوانية . . ويشتد الجلد . . ويشتد الألم . ويعز على أن أضعف أمام هؤلاء
الوحوش . احتملت . احتملت وأنا أضرع إلى الله فى سرى .

ويتضاعف الألم ، ويتضاعف ، ولما فاض الكيل ، ولم يعد لى طاقة على
الكتمان علا صوتى يرفع شكواى للذى يعلم السر وأخفى . أخذت أردد الاسم
الأعظم : يا الله يا الله ، والسياط تشق فى قدمى مجارى الألم . وفى قلبى
ومشاعرى مجارى الرضا ، والتعلق بالله . . !! حتى فقدت الوعى . ولم أشعر
بنفسى ، ورقدت جثة هامدة فوق الأرض وهم يحاولون تنبيهى ويحاولون
إيقافى فلا أستطيع . فكلما وقفت سقطت .

كان الألم فوق الاحتمال والدم ينزف من قدمى . ويأمر شمس بدران
صفوت بإيقافى . كنت فى غاية الألم والجهد فحاولت أن أستند إلى الحائط
فیبعدنى صفوت عن الحائط بسوطه!! . . فأقول لهم : دعونى أجلس على
الأرض فيقول شمس بدران : لا . . لا . . أين ربك ؟ ادعیه لينقذك من يدى . .
نادى عبد الناصر وانظرى ماذا يحدث . . ولم أرد عليه ، فيستمر فى جاهليته :
ردى على ! أين ربكم ؟ !! فلزمت الصمت فقال : ردى !! .

فقلت بصوت خافت لشدة ما أنا فيه : «الله سبحانه الفعال ذو القوة المتين»
وأخرجونى من مكتب شمس بدران إلى المستشفى .

زنزانة الماء...!!

خرجت من مكتب شمس بدران.. وتنفست الصعداء، فإننى أتلهف إلى الراحة وأكاد أشعر أن أعضائى تتمزق!!.. وسرت مع جلادى صفوت الروبى إلى حيث يريد أن يسوقنى!!.. وما كدت أشرف على نهاية الممر حتى نادى حسن خليل بكلمات كأنها الحمم تخرج من بركان ثائر: ارجع يا صفوت. الباشا يريد زينب مرة أخرى!!..

ومرة أخرى دخلت مكتب شمس بدران، وكانت المفاجأة!! إذ رأيت حميدة قطب أمامى..!! عرفتھا، وهى لم تعرفنى، فالسياط، والكلاب، والإجهاد، والجوع، والعطش، والتمزق فى جسدى.. كل هذا قد غير ملامحى وغير صورتى!!..

وسأل شمس بدران الابنة الفاضلة حميدة قطب: هل هذه زينب الغزالى؟ فدققت حميدة النظر وأجابت: نعم هى.. كنت فى قمة الإجهاد والألم. فلم أتابع الأسئلة التى كانت توجه. إن شمس بدران يسأل عن الأخت الفاضلة فاطمة عيسى، التى كانت تنزل فى زنزانة مقابلة لزنزانتى. أخذت الابنة حميدة قطب تجيب عن أسئلة شمس بدران الذى أمر بخروجه.

وما كدت أخرج حتى سقطت على الأرض. فأمر صفوت جندياً أن ينادى الممرض عبد المعبود، حضر عبد المعبود ومعه زجاجة نزع غطاءها. ومررها أمام أنفى، فأفقت، ثم أوقفونى.. وأمرنى الجلاد صفوت بالسير. بل وأخذ يستحثنى بسوطه لأسرع الخطأ!! فأسقط على الأرض.. فبأمرنى بالوقوف والسير. وسوطه المجنون يصب على جسدى المكدود نارا حامية!! وهكذا قطعت الممر أسير فأسقط، ثم أنهض لأسير فأسقط، وسوط الجلاد المجنون لا

يرحم!! يا إلهي!! هل هذا إنسان، أم مخلوق آخر يمشى على رجلين وسوط .
وسمعت صوتا ينادى: دخلها يا صفوت سجن رقم (٥) وصوتا آخر
ينادى: اذهب بها إلى الماء يا صفوت!!» أدخلني صفوت سجنا وأمرنى
بالجلوس على الأرض. ثم أمر الجندي التمورجى عبد المعبود أن يضم
جراحي...!!

وفتح باب زنزانه، فرأيت خلف الباب سدا حديديا يرتفع لأكثر من متر.
أمرنى صفوت أن أخلع ملابسى وأن أقفز هذا السد الحديدي! جمّدتني الخوف
ووجدت نفسى لا أقوى على الحركة فلم أتقدم شبرا واحداً.

وتركزت عيناى على بثر من الماء خلف السد.

وجمعت كل قوتى فى فمى وقلت: لن أخلع ملابسى أبدا!!.

فقال فى جاهلية ماجنة عابثة: ستنزلين الماء بثوب واحد..

فقلت: أنا لابسة جلبابا واحدا.

فقال صفوت فى غرور: سأمزقه!!.. ومزق جلبابى الأوحد بمشرط
شرائح؟؟.. وقال: اخلعى البنطلون يا بنت ال... البنطلون خسارة وأنت
ستموتين بعد ساعة!!.

قلت: عندما أدخل الحجرة سأعطيك البنطلون...

فقال فى صلف وحماسة: حجرة ايه يا بنت ال... إنا سنقذفك فى البئر
ونخلص منك. قلت: إذن، أدر ظهرك لأخلع البنطلون...

وأدار صفوت ظهره. وخلعت البنطلون الذى أعطوه لى عندما جلدونى فى
مكتب شمس بدران!!.

ووقفت فى الثوب الممزق، لا أدرى ماذا أفعل...!! وعندما أمرنى صفوت أن أقفز إلى الماء امتنعت وقلت: لا، أنا لا أرمى نفسى فى الماء، إذا كنتم مصرين على قتلى فتحملوا أنتم مسئولية هذا الأمر... أما أنا فلن أنتحر أبداً... .

كنت أعتقد أنهم قد اعتزموا قتلى والخلاص منى حقاً، فظروف الحال كانت تؤكد عندى هذا الاعتقاد... فالغلظة والفظاظة التى فاقت كل تصور والبئر التى أمامى والتى يطلبون منى أن أقفز فيها. كل هذا أكد عندى أن النية اتجهت فعلاً إلى قتلى!! فليرمونى إذا شاءوا فى البئر، فالموت فى سبيل الله أسمى أمانى... ومرحى بالشهادة فى سبيلك يا إلهى.

وجاء الزبانية يسوقوننى بسياطهم لأقفز إلى الماء فأتمنع، فترفع جاهليتهم. وتزداد حمية سياطهم فأسقط على الأرض، فقد كان العذاب فوق طاقتى بكثير... ويهرع إلى صفوت، والجندى سعد، وجندى ثالث يدعى سامبو، هكذا سمعتهم ينادونه، وحملنى الثلاثة وقذفوا بى إلى البئر!!.

وأفتح عينى فإذا بى أقف على أرض صلبة!!... وعرفت أن الماء لم يكن بئراً وإنما هو زنزانة من الماء...!!... فأتجه إلى الله سبحانه وأقول: باسمك اللهم، سلمت لك أمرى، وأنا أمتك، وعلى عهدك ما استطعت... ألبسنى أردية حبك، وأغدق على من صبرك يا الله.

... ويريد صفوت أن يزيد طوفان العذاب فيقول، وسوطه ينزل على جسدى حيثما اتفق: اقعدى يا بنت ال...!!.

فأقول: كيف أقعد فى هذا الماء؟ إن هذا مستحيل... .

فيقول الجلاد بلسانه وسوطه: اجلسى كما تجلسين فى الصلاة... أظن تعرفين هذا جيداً... أرينا مهارتك واقعدى... إنك لم ترى شيئاً بعد... فمازال

فى جعبة أبى خالء الكثر . . جمال عبد الناصر هو الذى عرف كيف يتعامل مع الإخوان المسلمين . . هيا اجلسى يا بنت الـ . . .

وجلست فصارت المياه إلى أسفل ذقنى ، وقال صفوت : إياك أن تتحركى ولو حركة واحدة . . جمال عبد الناصر أمر بجلدك كل يوم ألف جلدة بالنسوط . . على كل حال أحب أعرفك التسعيرة هنا . . الحركة بعشرة سياط !! .

لشدة الهول ، نسيت أقدامى الممزقة . بل نسيت كل حياتى . غير أن المياه أخذت تفعل بالجراح ما لم أستطع وصفه من آلام ، لولا عناية الله ما احتملتها . . وشغلتنى آلامى عن صفوت ، وسعد ، وسامبو ، ولكن أعادنى صفوت بسوطه إلى الواقع الكثيف المرارة ! .

وقال صفوت : اعلمى - يا حلوة - لو نمت فالسوط يوقظك . هذه الجلسة فقط . . نعم تجلسين هكذا . . هل ترين الفتحة المحفورة بالباب ؟ إنها للمراقبة . . إذا وقفت ، أو نمت أو حركت يدك أو رجلك فالسياط موجودة ومستعدة . . إننا وضعناك فى وسط الحجرة ، فإياك أن تفكرى أن تزحفى لتسندى رأسك مثلا إلى الحائط . إذا سولت لك نفسك أن تفعلى هذا فعشرة سياط . . إذا وقفت فعشرة سياط . ومد رجلك خمسة سياط . . مد ذراعك خمسة سياط . . علمت - يا حلوة - هذه التسعيرة ؟ فلينفعك الهضيبى أو سيد قطب . . أنت هنا فى جهنم عبد الناصر . . إذا قلت يارب فلن ينقذك أحد ، ويا سعادتك لو قلت يا عبد الناصر . . فستفتح لك الجنة . جنة عبد الناصر أيضا . . أتفهمين ؟ !! أنت يا حلوة - ما زال أمامك الكثر . وما سيأتى أكثر وأكثر . . ياليتك تعقلين . . إننى مستعد أرجو لك معالى الباشا وتذهيبين إليه . . وتقولين ما يريد . . هل أنت مجنونة ؟ من أجل من تفعلين فى نفسك كل هذا ؟ من أجل الإخوان ؟ . . كلهم اعترفوا ولم يبقوا عليك . . ولفوا الحبل حول عنقك . . .

ظللت صامته وإن كانت نظراتي إليه تقول الكثير . . ولكنه جاهل أحمق
وحيوان مغرور!! .

فاستأنف سخفه، أو بالأحرى استأنف إغراءه: أطيعيني، واستمعي إلي . .
وانقذى نفسك . . أنت فى الصباح ستكونين مع الأموات .

وظللت على حالى من الصمت والسكون فقال: «ردى يا بنت الـ . .
فصمت . .

فقال: الأمر بسيط جداً. سأخذك إلى معالى شمس بدران باشا، وتقولين له
كيف اتفق سيد قطب مع الهضيبي على قتل جمال عبد الناصر! .

فصرخت بكل قوتى . . كل الإخوان أبرياء . وربنا سينتقم منكم ليست
الدنيا غايتنا، نحن نطلب رضا الله، وبعده فليكن مايكون!!

فانطلقت القذارة من فمه بأشع ما يمكن أن يسمعه إنسان . وانطلق سوطه
بأعتى ما يمكن أن يتحمله بشر من حقد وكراهية!! واستمرت قذارته واستمر
حقده وكراهيته أكثر من نصف ساعة!! ثم انصرف وهو يقول: أنت عارفة
التعليمات والتسعيرة يا بنت الـ . . . لم أستطع أن أظل فى مكانى بلا حركة .
فليس فى مقدور أى إنسان مهما كانت طاقته ومهما بلغت قوة احتماله أن
يجلس هذه الجلسة ولا يتحرك . . إنه تعذيب . وعذاب . .!!

الضرب بالسوط على كل حال هوان من التجمد فى هذه الجلسة دون
حركة . فلهيب السوط أهون من عذاب الماء . .!!

أخذت أفكر كيف أتحرك . . لو مددت رجلى سيصل الماء إلى فمى . فلم
يكن بد من الوقوف وأتحمل عشرة سياط . .!! وفوضت الأمر لله . وقلت: يا

رب أنت معى!! ووقفت!!.

خيل إلى أن الجند نائمون.. . وسمعت أذان الفجر، فتيمنت على الحائط، لأن الماء كان قدرا جداً لا يصلح للوضوء.. . وأدبت ركعتى السنة، ودخلت فى ركعتى الفرض وهنا فتحت الزنزانة، وهوى السوط على جسمى. فجلست كما كنت فأغلق الباب.. .

وأخذت أردد: حسبنا الله ونعم الوكيل. حتى تأخذنى سنة من النوم فيوقظنى الماء الذى يصفح ذقنى.

كانت زيارة سامبو وسوطه لا تقل عن خمس مرات فى الليلة الواحدة!!.. . فكان لابد من الحركة، وكان لابد من السوط!!.

الجريمة!!

مع الضحى، جاء صفوت وأخرجنى من الماء، ورمانى فى زنزانة أخرى بجوار زنزانة الماء.. . ابتلعتنى هذه الزنزانة.. . وتكورت فى ركن من جوفها مستندة إلى حائط.. . كان الحائط بالنسبة لى وسادة ناعمة محشوة بريش النعام!! كانت آلامى عاتية متنوعة.. . آلام الجوع تفرى أمعائى.. . وآلام جروحي تمزقنى.. . جروح جسدى وجروح نفسى.. . لقد صرت كتلة آلام.. . كل جزء منها يئن ويصرخ!!

.. ويدخل صفوت ومعه مارد أسود!! أخذ يتحسس سوطه بيده اليسرى ثم يضرب الأرض والحائط، وكأنه يستحث لهيبه، أو يستنفر حميته!!

وقف صفوت وألقى أوامره وتعليماته إلى هذا المارد الأسود بأن يرتكب أبشع جريمة ممكن أن يقتربها بشر..!! وترك له السوط وهو يقول فى صلف

وغرور: إذا وجدت منها أى معارضة فالسوط معك . . .

انشغلت عن هذا السفه بالله سبحانه وسألته متوسلة إليه: «اللهم إني أمتك، وعلى عهدك ما استطعت. . أدعوك بضعفى، وقله حيلتى، وانكسارى، وهوانى على الناس، أن تدفع عني شر الأشرار، وتحمينى بقدرتك، وتعيننى على ظلمهم. .». .

أخرجنى من إغراقتى فى مناجاة ربى صوت هذا الإنسان المأمور بإيذائى بأبشع جريمة. . ينادينى «يا خالة!!». ونظرت إليه ودهشت. . فقد تغير وجهه وارتسمت عليه ملامح إنسان!! .

ثم بصوت منخفض فيه شفافية: لا تخافى يا خالة. . لن أؤذيك، ولو قطعونى. . فقلت بصعوبة بالغة: ربنا يهديك يا بنى. . ربنا يكرمك.

فتح باب الزنزانة فى عنف وانطلق صفوت يضرب الرجل بالسوط ويسبه ويقول: يا ملعون، يا ابن الكلب، لقد أوردت نفسك مورد الهلاك، ستقدم إلى مجلس عسكرى. . هذه أوامر جمال عبد الناصر يا ابن الكلب. . أنت تكسرهما؟! أنقذ نفسك فوراً قبل أن أذهب بك إلى شمس باشا يحولك إلى مجلس عسكرى. . ثم أعاد عليه الأوامر الفاجرة والتعليمات الفاحشة بكلمات صريحة صارخة لا يمكن أن تخرج من فم إنسان وأغلق الزنزانة وأطل من الفتحة وقال: «أنا سأتركك ساعة، ثم أعود إليك لأنظر ماذا فعلت. . أنقذ نفسك، ونفذ الأوامر!!». .

حيا الجندى صفوت تحية عسكرية من داخل الزنزانة وقال: «حاضر يا أفندم!!». .

كنت أستمع إلى هذه الجاهلية وذلك الفجور، فأناجى ربى بتلك الكلمات،

«إنها دعوتك، ونحن جندها، وشهداؤها.. فغيرتك على جندك، وأعراضهم يا الله! اجعلنا أقوى من ظلمهم وألوان تعذيبهم»، وكنت أدعو لهذا الرجل بالهداية، ظننت أن هذا الرجل - بعد الأوامر الجديدة - سيخشى البشر، فيسلك مسالك الوحوش.. ولكنه كان رائعاً وشجاعاً. وقال لى فى براءة الأطفال: لماذا يعذبونكم هكذا يا خالة؟

فقلت: إننا - يا بنى - ندعو الله، ونريد حكم الإسلام لهذا البلد. ولا نطلب لأنفسنا سلطاناً.

وسمعت أذان الظهر فتيممت على حائط الزنزانة وأدبت الصلاة، فقال فى رجاء: «ادعى لى يا خالة». فدعوت له بالهداية وقمت لصلاة السنة، فقال: ادعى لى أن يكرمنى الله بالصلاة يا خالة.. أنتم لستم بشراً. ربنا يخرب بيتك يا عبد الناصر!!

فقلت له: هل تعرف الوضوء؟

فقال: طبعاً، أنا كنت مواظباً على الصلاة.. لكن جيش حليلة لو رأونى أصلى يسجنونى...

فقلت له: صلّ ولو سجنوك، فالله معك.

فقال ونور الإيمان يملأ وجهه.. «سأصلى».

وهنا ضرب أحد الجنود باب الزنزانة بعنف وقال: يا ابن الكلب.. ماذا تفعل؟!!!

فقال الرجل: الست لم تفرغ من الصلاة.

فقال الجندى فى صفاقة: صفوت آت إليك. وأرسلنى أنظر ماذا فعلت.

وجاء صفوت كحيوان مجنون وهجم على الرجل بوحشية شرسة، وظل ينهال بسوطه على الرجل حتى أفقده حتى الأنين!! وجاء مساعدو الجلاد وحملوا المسكين إلى مصيره، وأغلقت الزنزانة على آلامى وهمومى.. آلمنى ما نال هذا الرجل بسببى، أو لأن الله أضاء بصيرته فلم يطع الظالم!! كانت الشياطين التى مزقت جسده تمزق جسدى وتحفر أخاديد فى نفسى!!.

وهربت من همومى وآلامى إلى صلاة العصر..

إلى زنزانة الماء مرة أخرى!!

وغربت الشمس، فنشط جلادو السجن الحربى وزبانيته، وبدأت عجلة التعذيب تدور!! أخذونى فى ستر الليل، إلى زنزانة الماء.. كانت أمعائى تصرخ من الجوع وحلقى يكاد يتشقق من العطش، وآلام جراحى تضرب كل جزء من جسمى بعنف وشراسة. أخذتنى سنة من النوم، وأنا على هذا الحال، فإذا بخلق جميل، يرتدون حلالاً من الحرير الأسود، مزركشة بلآلى، داخل مخملات مطرزة بالذهب، ويحملون صحافاً من الذهب والفضة عليها ما طاب من الأطعمة من لحوم وفاكهة لم أر مثيلاً لها!!.. فأخذت أكل من هذه، وتلك، واستيقظت من سنة النوم هذه، فوجدت نفسى فى شبع ورى، فلا جوع، ولا عطش!! بل إن مذاق ما أكلته من طعام كان لا يزال بقمى!! فأخذت أشكر الله وأحمده..

مكثت فى الماء طول الليل إلى ضحى اليوم الثالث، عندما دخل صفوت وشمر بنطلونه، ونزل إلى الماء وقال وهو يهزنى بقسوة: إلى متى تظلين على عنادك؟ أنقذى نفسك واكفينا أمرك..

أحكى الحكاية.. كيف اتفق سيد قطب مع الهضيبى على قتل عبد الناصر

ومتى قال لك أن تأمرى عبد الفتاح إسماعيل بقتل عبد الناصر؟ فقلت: كل هذا لم يحصل... فخرج يسب ويلعن...

ثم عاد صفوت مرة أخرى بعد ساعة تقريبا، وأخرجنى من الماء، وأدخلنى فى الزنزانة الأخرى التى تجاور زنزانة الماء وانصرف وارتعدت... فقد اتجه تفكيرى إلى ما حدث فى هذه الزنزانة فاتجهت إلى الله بكل إيمانى أن يحفظنى مما يدبرون...

ورجع صفوت وضابط بملابسه الرسمية يدعى إبراهيم... وقال صفوت: سيادة الضابط سيتكلم معك يا...

فقال الضابط: اخرج أنت يا صفوت ثم اتجه إلى وقال: أليس من الأفضل أن تقدرى مصلحتك وتعملى لها فقط؟... هؤلاء القوم ليس لهم إله حتى يخشونه! هل تعلمين ماذا فعلوا بالجندى الذى لم ينفذ الأوامر معك بالأمس؟ لقد أعدم رميا بالرصاص... إنهم اليوم يعدون لك فرقة من أعتى المجرمين... اعملى كل ما يطلبونه منك وأنقذى نفسك من أنيابهم... حسن الهضيبى وسيد قطب وعبد الفتاح رجال، يتحملون مسئولية خطئهم...

والتزمت الصمت، فقد سئمت أسلوب المساومة والإغراء والتهديد، ولا أظن أننى سألاقى من التعذيب أكثر ولا أبشع مما أنا فيه...

فقال الضابط لصفوت وكأنه عز عليه أن يفشل فى مهمته: اعمل معها ما شئت، إنها هى...

ودخل صفوت وأطلق سبابه الصارخ: عبد الناصر أرسل فى طلب شياطين من النوبة سينهشونك نهشا... إلى أين تفرين منهم؟ الوقت يمضى، وكل دقيقة تقربك من النهاية ثم أغلق الباب خلفه...

وبعد العصر، نقلوني إلى زنزانة الماء حيث مكثت فيها طول الليل...!!
وجاء ضحى اليوم الرابع، ولم أر أحداً غير صفوت الذى أخرجنى من الماء
وأدخلنى الزنزانة الأخرى.. وبعد العصر أعادونى إلى زنزانة الماء فمكثت فيها
إلى ضحى اليوم الخامس!!.

وهكذا كل يوم من زنزانة إلى زنزانة بألوان من العذاب مختلفة!!

صرعت الوحش فى زنزانتى!!

لم يبق موضع فى جسمى إلا وفيه أثر عذاب وموضع جراح!! ولم تبق ذرة
فى نفسى إلا وفيها جرح عميق ينزف ألماً وحسرة...!! هل كل ما يحدث هنا
فى السجن الحربى يخرج من بشر.. من إنسان!

غير معقول أن هؤلاء المخلوقات بشر...!! إنهم مخلوقات تسمع وترى
وتنطق وتمشى على رجلين، ولها ذراعان وهيكل بشرى...!! لا.. لا.. إنها
مخلوقات غريبة.. من تركيبة عجيبة...!! وأخرجونى من الماء إلى الزنزانة
المجاورة.. وحيأتنى صفوت بعدة ضربات ملتهبة بسوطه المجنون.. وقال وهو
يضربنى: إن ما سيحصل لك اليوم لم يحصل لكلب أجرب فى طاحونة!!
وأغلق باب الزنزانة ثم انصرف.. وما هى إلا دقائق قليلة حتى فتح باب
الزنزانة مرة أخرى وامتألت بحمزة البسيونى وصفوت وجندين آخرين...!!

وانطلقت القذارة من فم حمزة البسيونى بأبشع ما يمكن أن يتخيله إنسان..
سب فاضح صارخ وقال: «يا بنت ال... أنقذى نفسك وقولى كل شيء..
اعترف الهضيبى، واعترف سيد قطب، واعترف عبد الفتاح إسماعيل، ووضعنا
أصابعنا على كل شيء من واقع اعترافاتهم.. عرفنا منهم أن الهضيبى أمرك أن
تقولى لعبد الفتاح إسماعيل بأن دم عبد الناصر مباح لأنه كافر.. كل واحد

منهم تكلم، وأنقذ نفسه وأنت ضيعت نفسك... ثم قال مهدداً والشرر يتطاير من عينيه: ستعرفين كيف أنتزع منك كل ما نريده... ستتكلمين أم لا؟

ثم التفت إلى صفوت وقال: نفذ الأوامر يا صفوت... ومن يعص الأمر من أولاد الكلب - مشيراً إلى الجنديين -!! حوله إلى المكتب فوراً.. وتولى صفوت إفهام الجنديين مهمتهما البشعة بأسلوب داعر صارخ الفجور، بعيد كل البعد عن الحياء... مغمور في الانحطاط إلى أبعد ما يكون... فقال لأحدهما فى مجون: نفذ التعليمات - يا ابن الكلب - بعد إغلاق الزنزانة، وبعد أن يتم التنفيذ، ادع زميلك ليقوم بدوره كذلك... مفهوم؟! ثم أغلق الزنزانة وانصرف..

جلس الرجل يتوسل إلى أن أقول ما يريدون لأنه لا يريد أن يؤذيني، ومن جهة أخرى فإن عدم التنفيذ يلحق به ضرراً بليغاً وايداء جسيماً... قلت له بكل ما أوتيت من قوة: إياك أن تقترب منى خطوة واحدة... إذا اقتربت، سأقتلك سأقتلك سأقتلك، فاهم!!

كنت أرى الرجل ينكمش ويتقاعس غير أنه أخذ يقترب فى خطوات، ولم أدر إلا ويداي حول رقبته، وأنا أصرخ بكل صوتى: «بسم الله، الله أكبر... وغرزت أسناني فى عنقه، وإذا به ينفلت من بين يدي، ويسقط تحت قدمي خائراً، يخرج من فمه زبد أبيض كرهاوى الصابون... سقط الوحش تحت قدمي، جثة هامدة لا تنبض إلا بهذا الزبد الأبيض... أنا التى تتربع على قمة الألم، والتى مزقتها الجراح التى حفرتها الشياطين فى كل موضع من جسمها! أنا التى غلفها الإعياء من كل الزوايا... تصرع هذا الوحش الذى أمره بأن يفترسنى!!

لقد بث فى الله - جلّت قدرته - قوة غريبة صرعت هذا الوحش!!

وكانت معركة شرسة ضارية انتصرت فيها الفضيلة على شراسة الرذيلة . .
كان هذا علامة صدق، وبشرى للمخلصين . . فالحمد لله ولا إله إلا الله . . إن
الطغاة يخافون ويهزمون، وأصحاب الرسالات خلف القضبان مجردون من كل
شئ إلا من الإيمان بالله تعالى . . غير أن ثبات المؤمنين على الحق هو دائما
شئ لا يستطيع المنهزمون فى أنفسهم وضمائرهم بتقاعسهم عن الإيمان أن
يفعلوه .

يا إلهى ما أكرمك وما أوسع عطاءك . . أنت ربنا ورب كل شئ . . فهؤلاء
الذين يأخذون بأمر الله يُحاربون . . ويُقاومون . . ولكن العاقبة دائما للمتقين . .
وفتحت الزنزانة ودخل رأس الزبانية حمزة البسيونى، والجلاد صفوت وجند
آخرون، ووقع نظرهم على هذا الوحش الممدد على الأرض، والرغاء الأبيض
يخرج من فمه . .

فبهت الذى كفر؟! . . خرسست الألسنة وتبادلوا نظرات زائغة
حيرى . . !!؟؟ . . وحملوا الجثة وأعادونى إلى زنزانة الماء . .

من الفئران إلى الماء وبالعكس !!

فى زنزانة الماء ظللت حتى جاء اليوم السادس . . وفى ضحى اليوم
أخرجونى من الماء إلى الزنزانة المجاورة، فتوترت أعصابى انتظاراً لما
سيحدث . . فقد مرت بى فى هذه الزنزانة ألوان من العذاب .

فوضت أمرى إلى الله، وجلست مستندة إلى حائط الزنزانة . . أحسست
بأشياء تتحرك، فرفعت رأسى إليها، فإذا بخيوط متصلة من الفئران تنزل من
النافذة كأن أحداً يفرغها من كيس!!

أخذتني رعدة شديدة، وشعرت برعب مريع!!.. أخذت أردد اللهم اصرف عني السوء بما شئت وكيف شئت»..

وردت هذا الدعاء، حتى سمعت أذان الظهر، فتيمنت وصليت وجلست أختم صلاتي، وأذكر الله حتى أذان العصر فأديت صلاته..

وهنا دخل الوحش صفوت الروبي.. كانت الفئران قد انصرفت من النافذة من حيث أفرغت ولم يتبق إلا فأر أو اثنان!! دارت عيناه في أنحاء الزنزانة في نظرات دهشة، وارتسمت على وجهه ألف علامة تعجب!!

وكان ذلك قد عز عليه، فانصرف يسب ويلعن تلاحقه خيبة الأمل!!.. وأعادني إلى زنزانة الماء، ثم عاد ومعه الضابط رياض.

وقف رياض خارج الزنزانة في محاولة يائسة لإقناعي لأقول بأن تنظيم الإخوان كان يهدف إلى قتل عبد الناصر والاستيلاء على السلطة بعد قلب نظام الحكم.

فقلت له: هذا كذب وافتراء. وما كنا نجتمع إلا لتدارس كتاب الله وسنة رسوله، وتربية جيل مسلم يفقه الإسلام، ويعمل لقيام دولته.

فقال: أنت مصرة على هذا؟ ستعرفين كيف يكون العذاب من الآن.. إن كل ما مر عليك يعتبر محاولات إلى جانب ما سيأتي. وذهب وبقيت أنا في الماء..!!

ثمانية أيام وأنا على هذه الحال، حتى بلغ بي الإرهاق والإجهاد درجة تفوق كل احتمال.

وبدا ذلك واضحا على صحتي التي وصلت إلى حال يرثى لها!!

وفى اليوم التاسع جاء رياض ومعه صفوت وضابط آخر فى زيه الرسمى .
وأخرجونى من الماء .

بدأ رياض يهددنى بأن هذه المرة هى الفرصة الأخيرة لإنقاذ نفسى ، فإما أن
أعترف كما يريدون ، وإما الخلاص منى نهائيا .

وقال : أنت فاهمة ربكم عنده جهنم صحيح؟! جهنم هنا عند عبد
الناصر . . الجنة عند عبد الناصر جنة موجودة حقيقية . . وليست جنة وهمية
خيالية مثل التى يعدكم بها ربكم!!

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف : ٥] .

ثم أخرجونى من الماء إلى الزنزانة المجاورة وأغلقوها ثم انصرفوا . . وفزعت
إلى الله فى صلاتى ؛ أطلب منه أن يصرف عنى شر هؤلاء ، كنت فى صلاتى
عندما دخل الزنزانة عدد من الجند يزيد على العشرة ومعهم ضابط بزيه
الرسمى . ثم انضم إليهم حمزة البسيونى ، وصفوت الروبى . قال صفوت
لحمزة البسيونى : أوامرك يا باشا فى بنت الـ . . .

فقال حمزة البسيونى للجند : ماذا شربتم؟!

فقالوا : شاي يا معالى الباشا . . .

فقال : شاي يا أولاد الكلب . . خذهم يا صفوت واسق كل واحد منهم
زجاجة خمر ، وأن يدخنوا الحشيش ، وأطعمهم كل ما يشتهون ، ثم ارم لهم
بنت الـ . . . ولهم عندى إجازة ومكافأة .

وأغلقوا الزنزانة وانصرفوا .

مكثت فى الزنزانة حتى صلاة العصر . . كنت ساجدة فى الصلاة عندما
فُتحت الزنزانة ويندفع صفوت وجذبنى من ذراعى فى وحشية وقطع صلاتى،
ثم أخذنى إلى زنزانة المياه وأغلقها وانصرف!

وجاء رياض ودلف إلى الزنزانة، وكله علامة تعجب يحاول أن يخفيها تحت
ظلال من الغرور وهو يقول: تريدان أن تكونى قديسة؟ الجنود الذين أعددناهم
لك ذهبوا إلى المستشفى . . لكنهم غدا سيأتون ينهشون لحمك نهشا، فى
المستشفى حقنوهم وأصبحوا كالكلاب المسعورة . . وإنها أوامر جمال عبد
الناصر . . لن يتركك أبدا . . تعبنا من النصيحة وحاولنا معك مرة ومرات وأنت
لا تتزحزحين عن موقفك . . تريدان أن تكونى قديسة؟ ردى، ردى . . أين
سوطك يا صفوت؟» أخذ صفوت يضربنى ورياض يستحثه: استمر يا
صفوت . . قديسة يعنى إيه يا بنت ال . . !! تريدان بعد موتك بثلاثين سنة
يقيمون لك ضريحا فى مسجد ويقولون إن زينب الغزالى الجبيلية أظهرت
كرامات فى السجن الحربى . . لكن، أنت هنا، ولا الشيطان يعرف ماذا نعمل
فيك؟! .

وضحكت وأنا فى قمة المعاناة!! كانت ضحكة سخرية من جهله وغروره،
وقلت: إذا كنا نريد ما تقول، ما دفع الله شروركم عنا. ولما استطعنا المقاومة
والصبر، والتغلب على ما تسمونه بأنفسكم جحيم عبد الناصر . . لكننا طلاب
حقيقة؛ نطلب الله، ثم رضاه . . سينصرنا الله عليكم إن شاء الله وسيفرى الله
أسنان الأشرقياء الذين تعدونهم لنهش لحومنا.

كان صفوت قد ابتعد عن رياض، فناداه هذا مستعينا.

«أدركنى يا صفوت بنت ال . . بتخطب . . إنها تخطب يا صفوت . . !!»

وأسرع صفوت لنجدة رياض وألهبنى بسوطه.

وقال: دعها لى يا سعادة البك. وغداً سترى وتشاهد ما نزل بها!!!
وأجلسونى الجلسة المعتادة فى الماء ثم أغلقوا الزنزانة وانصرفوا..
الله وحده يعلم الحالة التى كنت عليها.. لقد كنت فى قمة الألم، وقمة
الإجهاد، وقمة المعاناة. إن آلاما مبرحة تسرى فى كل جسدى.
آه!! مسكين يا بلدى!! هل آل أمرك إلى هذه الطغمة التى اعتدت على كل
القيم، وحطمت كل القوانين!!؟

شغلنى التفكير فى بلدى عن بعض آلامى.. وإن كان أضاف هما إلى
همومى!! إن ما أصابنى ويصيبنى قد أصاب ويصيب غيرى بكل تأكيد.. لقد
بت أتصور أن البلد كله قد صار سجنا حربيا، يحكمه حمزة البسيونى،
وصفوت، ورياض، والسفاح الشرس شمس بدران!!!.. كلهم حلقات واحدة
فى سلسلة متصلة تكبل هذا البلد..!!

مسكين يا بلدى!!!.. لا، لا لن تكون مسكينا يا بلدى، وفيك حملة كتاب
الله، وورثة سنة رسوله، ومن يستظل بمظلة لا إله إلا الله وأن محمداً عبده
ورسوله.. إننا إن ذهبنا فسيأتى بعدنا وبعدها من يرفع اللواء، وغداً.. تشرق
الأرض بنور ربها، وتتفيا البشرية ظلال العبودية لله الواحد القهار..

من الماء إلى وكيل النيابة!!

معذرة.. عن هذا التكرار..

فالمقصود التفصيل والتوضيح، كيف كان حال مصر: فسدت الحياة وأسنت،
ظلم، رعب، اعتقالات، مجازر، تشريد،.. سيطرت قوى الشر والباطل
واستبدت، وساوت بين الجميع، بين أصحاب القلم والفكر والرأى، والوزراء

والقادة العسكريين، وبين المواطن العادى .

بين الشاب والشيخ . . بين الرجل والمرأة . . بين المريض والصحيح . .

كلهم أمام الشياطين، وتحت الشياطين، والصلب، والكلاب، وجميع أنواع التعذيب، الكل سواء . . إنها اشتراكية التعذيب!!

. . وفى صباح اليوم التاسع، أخرجونى من الماء فى وقت مبكر وقال صفوت: أنت ذاهبة إلى وكيل النيابة، وكفاك عذاباً وأنقذى نفسك . . ثم أضاف وقد بدت فى عينيه نظرة التهديد: طبعاً أنت عارفة المطلوب منك . . وسرى ماذا تقولين!!». وجذبني بقسوة، فقلت: إن ثوبى ممزق . . أعطنى ثوباً أستتر به فقال مساوئياً: أحضر لك جلباباً وتكتبين أن حسن الهضيبى وسيد قطب اتفقا على قتل عبد الناصر، والاستيلاء على الحكم؟!!

فقلت: لا . لا . لا . . .

فقال: اذهبي عارية، ولنفعك إسلامك . . وليراك الإخوان هكذا . . فقلت: إن الله هو الحليم الستار.

ودخلت مبنى آخر من مباني السجن الحربى: ثم إلى حجرة مفتوحة يتصدرها رجل يجلس إلى مكتب، وعرفت فيما بعد أن هذا الرجل يدعى جلال الديب .

نظر إلى نظرة تائهة تشعرك بأنه يحس أنه أصغر من المهمة المعهودة إليه . . وقال مشيراً بطرف أصبعه: اجلسى . فجلست على كرسى أمام المكتب ثم بدأ حديثه معى مشيراً فى مشاعر معينة: أنت زينب الغزالى الجبيلية الزعيمة الإسلامية المشهورة . . لماذا وضعت نفسك فى هذا الموقف؟ هل يرضيك ما أنت فيه؟ إنى مسلم أحب لك الخير وجئت لأنقذك . أنا أسعد فخر الدين وكيل

النيابة . . أنا لا أستطيع أن أتصور أن زينب الغزالي هي الجالسة أمامي بهذه الحالة التي وصلت إليها . أرجو أن تساعدني لأخلصك مما أنت فيه . .

فقلت : والله ما نقول إلا ما يرضى ربنا ولا نبغى إلا وجهه تعالى . فقطب حاجبيه وnnكس رأسه وهو يسأل ما سنك الآن؟

فقلت : أنا من مواليد ٢ يناير سنة ١٩١٧ .

فقال : مندهشا أو متصنعا الدهشة يا ساتر! كنت معتقدا أن سنك فوق التسعين . . لماذا فعلت كل هذا؟!

قلت : لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

فقال : يبدو أنك غير قادرة على الكلام؟!

فلزمت الصمت!!

فسأل : على أى شىء اتفقت أنت والشيخ عبد الفتاح إسماعيل؟ .

قلت : اتفقنا على أن نربى الشباب على الإسلام ، ونفقهه فى أصول الكتاب والسنة ؛ حتى ننقذ هذا المجتمع من هذا الضياع الذى يعيش فيه .

قال مقاطعا : لا ، لا أنا لا أريد خطابة . . أنا أريد أن توضحى .

«إن الهضيبى قال لك أمراً تنقلينه إلى عبد الفتاح عبده إسماعيل ، وقال لك أمراً ثانياً تنقلينه إلى سيد قطب ما هو هذا الأمر؟! أظن واضح؟؟» .

قلت : استأذنت فضيلة المرشد الأستاذ الهضيبى ليجتمع الشباب لدراسة تفسير القرآن والسنة مع الاستعانة ببعض كتب الفقه كالمحلى لابن حزم ، وكتب التوحيد لابن عبد الوهاب ، وابن تيمية ، وكتب الأستاذ سيد قطب ، ومن الشباب كان عبد الفتاح عبده إسماعيل .

فقال - وقد رسم على شفتيه ابتسامة حاول أن تكون ساخرة- : لا ياست زينب، الموضوع ليس كذلك.. الموضوع ظهر ووضح فأنقذى نفسك واذكرى الحقيقة، فقلت: كل الذى نريده أن ننشئ جيلا صالحا وبنى أمة مسلمة. فقال فى إصرار: كلهم اعترفوا وقد ألقوا المصيبة عليك كلها، فقلت بهدوء: الله المطلع يحمينى ويحميهم - إن شاء الله - من أن ننزلق إلى باطل.. فقال فى عصبية وبدأ يظهر نواياه: لا. يبدو أنك مغرمة بإظهار عضلاتك الخطابية، ومغرورة.. حتى النيابة لا تستطيع أن تصل معك إلى قرار!

فقلت، وأنا لا أستطيع الكلام - فقد كنت فى قمة التعب والإجهاد ولكن شعور بالظلم دفعنى إلى أن أقول-: لو عرفت النيابة واجبها ما.. فقطاعنى نائرا: «اخرسى! حتى النيابة تتناولين عليها ولا تسلم من لسانك».. ثم نادى صفوت الذى كان واقفا بالباب.. لا فائدة منها يا صفوت.. إنها اعتدت على النيابة سأثبت فى المحضر أنها اعتدت على النيابة.

جذبنى صفوت بوحشية ونظر إلى وكيل النيابة وقال: إلى أين يا سعادة البيه..؟ فقال وكيل النيابة بسرعة - وكأنه يرد على سؤال مسبق - : إلى الماء طبعاً.. وعدت إلى الماء وسوط صفوت لا يكل ولا يضعف، زين له شيطانه الشر وهيات له جاهليته الطغيان. وسولت له نفسه المريضة ذلك طمعاً فى رضا من فوقه، وأملا فى القرب من حضرتهم ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

السوط مع الرغبة!!

بعد العصر، فى اليوم العاشر، فتحت زنزانة الماء، وأخرجنى صفوت من الماء، وأسلمنى لاثنين من الزبانية وقال لهما: «إلى سجن ٣».. أدخلونى هناك

زنزانه، فارتميت على الأرض جثة هامدة مثخنة بالجراح . . كان جسمى متورما كالكرة المنفوخة . . وأحس بأن قلبى يكاد ينخلع من مكانه . . انبطخت على الأرض لا أقوى على الأنين!! . . وأسلمت نفسى للذى بيده مقادير الأمور .

لا أدري كم مرّ من الوقت وأنا على الأرض، حينما سمعت جلبة خارج الزنزانه. زحفت على الأرض وبصعوبة بالغة أمسكت بالباب ونظرت من الفتحة. فرأيت جماعة من الإخوان، يقفون طابورا طويلا، بيد كل واحد «قروانة» من الصحف يتقدم بها إلى جندى، فيغرف هذا الأخير من «قزان» أمامه شيئا غريبا ويصبه فى القروانة الصحف . . وعندما يتناول الأخ نصيبه من هذا الطعام الغريب، يتناول أيضا نصيبه من السياط!! كان عدد من الجنود الزبانية يقفون فى صفين متقابلين، وعندما يمر الأخ بعد أن يتناول نصيبه من الطعام، يضربه كل جندى عند مروره عليه بسوطه . . وهكذا لابد أن يدفع الأخ ضريبة إجبارية عددا من السياط بعدد الجنود! وينصرف الأخ .

شعر أحد الزبانية بى وأنا أختلس النظر إلى طابور تسليم الطعام الرهيب، فدخل زنزانتى كالوحش الهائج وأخذ يضربنى بحذائه ضربا مؤلما، ثم ينهال بسوطه المجنون على ما يصادفه من جسمى، فخارت قواى، وغبت فى نوم عميق على أسفلى الزنزانه!! .

أيقظنى الملعون صفوت ومعه أحد الجنود بيده قروانة بها قليل من الحساء أسود اللون، تنبعث منه رائحة كريهة لا تطاق . . قال صفوت: اشربى هذا وإلا فسنضربك عشرة سياط .

فقلت: سأشربها!!

فقال صفوت لمساعدته: اتركها عشر دقائق، ثم عد إليها. وانظر ماذا

فعلت، إن لم تكن قد شربت اضربها عشرة سياط ونادينى ..!!
خرجنا وأغلقنا الباب، ولما بعد وقع أقدامهما، واطمأنت إلى أن أحدا لا
يرانى، سكبت الحساء تحت البطانية التى رموا بها على أسفلت الزنزانة .. وعاد
الجندي بعد المدة المحددة فوجد القروانة فارغة فأخذها وانصرف!!
قضيت ليلتى .. ويا لها من ليلة .. كنت على قمة الألم والمعاناة .. أنياب
الأم تنهش جسمى كله.
وافترشت آلامى وقضيت ليلتى ..!!

إلى المستشفى

وفى ضحى اليوم الحادى عشر فتح صفوت الزنزانة وقال: تفضل يا دكتور
ماجد. ودخل الطبيب ماجد فى زيه العسكرى ومعه التمورجى الجندى عبد
المعبود .. كانت قدمائى تنزفان دمًا وصديدًا، وأورام وانتفاخات منتشرة فى
جسمى وآلام حادة تفرى عظامى.

قال الطبيب ماجد للتمورجى: اعصر لها رجليها ونظف الجروح وانقلها إلى
المستشفى ..» ونقلت إلى المستشفى فى حراسة اثنين من الزبانية!!

مع شمس

مكثت يوما فى المستشفى (أو الشفخانة كما يطلقون عليها) وسعدت، لا
لأننى بعدت عن التعذيب، فالتعذيب فى جسمى ضارب أنيابه، ولكننى
سعدت من تغيير المكان .. نعم، كنت فى زنزانة فى المستشفى، ولكن شعورى
بأننى فى مستشفى أدخل على بعض الراحة .. وحمدت الله.

تمنيت أن تمتد إقامتى فى المستشفى فترة تلتئم فيها جراحى ، ويخف فيها زئير عظامى . . واستسلمت لهذا الحلم الجميل !!

ولكن ، وآه من لكن ! جاءتنى الزبانية وأخرجتنى من حلمى الجميل إلى واقعى المر الأليم !!

وأخذنى الزبانية إلى مكتب شمس بدران!! . . كنت أمشى على قدمى الممزقتين بصعوبة بالغة . . بل لم أكن أستطيع أن أحمل جسمى . . ولكن السوط فى يد الزبانية خلفى يتهددنى إن أبطأت ، ويهوى علىَّ إن تلكأت أو وقفت!! ولم أكمل الطريق من المستشفى إلى مكتب شمس بدران ، فسقطت على الأرض فى منتصف الطريق ، فرفعنى الجند ، وجرونى على الأرض جرا . . وأوصلونى على هذه الحال إلى مكتب شمس بدران!!؟

وما كاد السفاح الجاهلى شمس يرانى حتى نادى على صفوت الروبى ، وفى حركة ، كأنه أمام آلات التصوير - فقد ازداد احتقان وجهه وارتسمت عليه غضبة عارمة ، وتحجرت عيناه فى مقلتيه حتى صار وجهه مثل وجه البومة - واستدار إلى صفوت ، وذراعه ممدودة إلى آخر مداها ، وأصبعه تشير إلى : علقها يا صفوت واجلدها خمسمائة جلدة!! . . وحشية ما بعدها وحشية ؛ وقسوة غريبة لا يعرفها إلا شمس بدران!! .

وعلقونى وجهزونى للجلاد صفوت . .!! وشمر صفوت الروبى عن ساعده ، ورفع سوطه وأخذ فى تنفيذ أمر مولاه شمس!! خمسمائة جلدة . . وأنا أستغيث ضارعة : «يا الله ، يا الله» وشمس بدران يقول : «أين هو الله!» الذى تنادينه ، فلينفعك إذا كان موجودا!! . . لو استغيث بعبد الناصر لأغاثك فى الحال!! . . ثم أخذ بلسانه يتناول على جلال الله سبحانه ، مما تأبى السنة

المؤمنين التلفظ به ؛ ولو كان إعادةً لما قاله الفاجر الكافر .

وتم الجلد . وأنزلوني من التعليقة وأوقفوني والدم ينزف من قدمي . .
وأمرني شمس بدران أن أؤدي حركة «محللك سر» مدعيا أن هذا علاج
لقدمي !! .

وبعد فترة أسندت ظهري إلى الحائط ، ثم جلست من شدة العناء ، فجذبني
صفوت بغلظة ، ولم أستطع الوقوف فهويت على الأرض . . وهنا جاء حمزة
البيسوني وحش السجن الحربي ، وقال : إنها تمثل يا باشا !! . . وأغمى عليّ ،
وتنبهت على الطبيب الذي أعطاني حقنة في ذراعي وأمر لي بكوب من عصير
الليمون وأسقوني إياه . . قال شمس بدران : هيه ! لن ينفعك العناد . . نفذى ما
نريد وإلا علقناك ثانيا . وثالثا . ورابعا . ومائة مرة . . لا يخطر على بالك أبدا
أننا عاجزون عن انتزاع ما نريده منك . . إننا نعطيك الفرصة فقط . مفهوم !!
من يمنعنا عن دفنك وأنت حية !!

فقلت : يفعل الله ما يشاء ويختار ، وله الحمد حتى يرضى .

فقال في غيظ وضيق : لا تكلميني بهذه اللغة وهذا الأسلوب .

وقال حسن خليل محاولا أن يثني عن عزمي : يا بنت اعقلي ، واشترى
نفسك . . لن ينفعك أحد من الإخوان هنا . . كل منهم يريد نفسه فقط . . إنهم
يفرون إلى النجاة !!

ثم أخرج ورقا وقلمًا واستأنف حديثه أو نصائحـه : خذها يا صفوت إلى
المستشفى ودعها تكتب كل ما تعرفه عن تنظيم الإخوان . . كيف عرفتهم ؟!
وكيف اتفقوا على قتل جمال عبد الناصر . . وتذكر كل أسماء الذين تعرفهم
من الإخوان !! وفي الطريق إلى المستشفى كان صفوت يأمرني بالمشي ، وأنا

عاجزة كطفل يخطو خطواته الأولى!! وتستبد بصفوت وحشيته فكان يوقفني بين وقت وآخر ويأمرني أن أؤدى محلك سر!! محلك سر!! إن هذا علاج لقدميك يا بنت الـ

الله وحده يعلم كيف قطعت الطريق إلى المستشفى . . لقد كانت رحلة عذاب ووصلت إلى المستشفى ودخلت زنزانتى . أعطانى صفوت الورق والقلم وقال : طبعاً عرفت المطلوب . . ولا داعى للفلسفة . . اكتبى كل ما تعلمونه يا إخوان يا كذابون . . وكيف كنتم ستقتلون جمال عبد الناصر . . واضح؟! هيا يا حلوة وأغلق الباب، وانصرف!

لم أستطع أن أمسك القلم، فقد كانت يداى متورمتين، ولم أستطع الكتابة فمضى اليوم الأول، ولم أفعل شيئاً . . لم أكتب حرفاً واحداً . . وعاد صفوت ليأخذ ما كتبت . فوجد الورق أبيض لم يمر عليه القلم .

فقال : سأترك لك الورق لتتقذى نفسك يا بنت الـ . . وانصرف .

وأخذت أكتب بصعوبة . وفى اليوم الثالث جاء حمزة البسيونى، وجمع الأوراق وانصرف، وقضيت يومى بين صحوة وغفوة . لا أستطيع أن أستقر على موضع . . إن وقفت نبحت قدماى . وإن نمت صرخت عظامى!

وجاء صفوت، ومعه جنديان ليأخذانى إلى مكتب شمس بدران وبنفس الطريقة السابقة قطعت الطريق سيرا على قدمى مع الوقوف على فترات فى «محلك سر» بأمر صفوت الروبى!!

ودخلت مكتب شمس بدران فنظر إلىّ فى وحشية وقسوة وهو يمزق أوراقا ويلقيها فى سلة المهملات ثم قال : يا بنت الـ . . ألم يكفك كل هذا العذاب!! ماذا كتبت؟ كلام فارغ . . أجلدها مرة أخرى يا حمزة!

فقال حمزة البسيوني وحسن خليل: سنعيدها للكلاب أحسن يا باشا، فقال شمس بدران فى عصبية: أحضر الكلاب هنا يا صفوت!!

أسرع صفوت وعاد ومساعدته نجم بكلين كالوحشين من مجموعة الكلاب المدربة التى كانت لى معها سابقة فى اليوم الأول من أيام «باستيل مصر» . . السجن الحربى . . وقال شمس بدران: أطلق عليها الكلاب يا صفوت!!

وهجم على الوحشان، فأغمضت عينى. وأنا أقول: حسبى الله ونعم الوكيل، اللهم اكفى السوء بما شئت وكيف شئت. وظل الكلبان ينهشان جسمى كله بأنيابهما ويشعلان فيه نارا موقدة. . وشمس بدران لا يكف عن سبابه يا بنت الـ . . اكتبى أنكم اتفقتم على قتل جمال عبد الناصر. . كيف كنتم ستقتلونه؟ اكتبى. . اكتبى يا بنت الـ . .!!.. وصار عدد الكلاب ثلاثة. . اثنان ينهشانى وشمس بدران يسلقنى بلسانه القدر السليط!!

ويبدو أن شمس بدران قد شعر بأن لا جدوى من الكلاب فصرخ فى صفوت، وجسمه كله يهتز من الثورة: اصرف الكلاب يا صفوت، وجهز بنت الـ . . للجلد!!

واستدعوا الطبيب، فحضر ثم فحصنى وقال لشمس بدران: إذا سمح الباشا يؤجل جلدها اليوم فحالتها «لا تتحمل» .

وقال شمس بدران لحمزة البسيونى: «خذها إلى ٢٤، وأريد يا حمزة أن تحمل إلى جثتها!» .

وحملونى إلى رقم ٢٤ . . بناء لم أدخله من قبل، ثم أوقفونى فاقشعر بدنى وتسمرت فى مكانى!!.. رقم ٢٤ هذا زنزانة فى وسطها نار موقدة، وعند كل

ركن من الأركان الأربعة يقف جندي بيده سوط كلسان الأفعى . . وتناولنى الجندى بسوطه وهو يأمرنى بأن أدخل فى دائرة النار، فإذا اقتربت معنى الجندى القريب منها، فيتلقانى الثالث . . وهكذا، والنار المشتعلة قريبة منى، يلفحنى لهيبها . . ظللت ما يقرب من ساعتين وأنا بين لهيبين، لهيب النار المشتعلة التى أخشى الوقوع فيها، ولهيب سياط الزبانية وكلا اللهيبين مر .

ويدخل حمزة البسيونى، ونظرة بلهاء بلا معنى فى عينيه ويقول وأنا فى وسط هذا السعير: اكتبى أنكم ستقتلون جمال عبد الناصر وإلا قذفناك فى النار!! .

ونظرت إليه نظرة كلها صمود، وصرخت فى وجهه صرخة بدون صوت، وبكيت بدون دموع . . لقد كان العذاب فوق ما أحتمل، وأغمى علىّ ولم أفق إلا وأنا فى المستشفى!!

مشهد تمثيلى بالإكراه!!

فى صباح يوم، أخرجونى من زنزانة المستشفى، فرأيت مصورين وآلات التصوير معدة، وأجلسونى على مقعد، وأمرونى أن أضع ساقا على ساق، وأضع سيجارة فى فمى، ليصورونى على هذه الحالة فقلت: مستحيل أمسك سيجارة لا فى يدى، ولا فى فمى!! فوضعوا المسدس فى ظهرى وفى أم رأسى لأمسك السيجارة فرفضت ونطقت بالشهادتين وقلت: افعلوا ما تشاءون - لن أفعل!!

ضُربت بالسياط . . أعادوا المسدس إلى رأسى، وأعادوا الأمر بمسك السيجارة ووضعها فى فمى، فرفضت وأصررت على الرفض!! . . فلما يئسوا صورونى . .

فى اليوم التالى؁ طلبوا منى أن أذهب لأتحدث فى التلفزيون على أن يملوا على كلاما من زورهم وبهتانهم على «الإخوان المسلمين» . فقلت : لن أقول إلا الآتى إذا ذهبت إلى التلفزيون .

«إن جمال عبد الناصر كافر يحارب الإسلام فى شخص جماعة الإخوان المسلمين . . ولذلك نحن نحاربه؁ لأنه قال إن الحكم بالقرآن رجعية وتأخر وتعصب مقيت؁ ولأنه يستورد مواد أحكامه وتشريعاته من الدب الأحمر الشيوعى ومذهبه الإلحادى الذى يقول لا إله والحياة مادة . . لهذا نحن نحاربه» . .

فقال : ستتكلمين والمسدس فى ظهرك ونافوخك . . لابد أن تقولى ما نريده نحن . .

قلت : بالأمس لم أرض أن أضع سيجارة فى يدى أو فى فمى؁ وأنتم تهددوننى بمسدسكم وتضعونه فى رأسى وفى ظهرى؁ ومصورو صحافتكم وإعلامكم يشهدون؁ فهل تظنون اليوم أن أقول غير الحقيقة؟! لا . . والله إننا لحملة رسالة . . وأمناء أمة وورثة كتاب . . فجلدت وأعدت إلى الزنزانة .

الحجرة ٣٢

كثيراً ما تردد فى نفسى سؤال؁ وكثيراً ما حيرنى . . !!

المفروض أننى مقبوض على جريمة معينة؁ محددة . . فإذا كان الأمر كذلك؁ فلماذا يطلبون منى أن أكتب إقراراً بأننى اتفقت على قتل جمال عبد الناصر؁ بل ودبرت لهذه الجريمة . . إذا كانت كل أركان الجريمة متوافرة . . فلماذا يطلبون منى هذا الإقرار؟ لماذا يطلبون منى أن أقدم دليلاً على جريمة ليس لها واقع إلا

فى مخيلتهم؟! أليس هذا الاعتقال وهذا التعذيب الوحشى، لغرض آخر
وهدف آخر هو محاربة الإسلام، وإبادة دعائمه؟!

وأعادونى إلى مكتب شمس بدران. . وما كاد يرانى حتى قال فى دهشة
مصطنعة: إيه أما زالت على قيد الحياة يا بنت الـ. .؟! أنا قلت يا حمزة هات
لى جثتها. .

فقال حمزة البسيونى فى رجاء: معذرة يا باشا. . قل لها تعليماتك وهى
مستعدة لتنفيذها.

فقال شمس بدران: اكتبى يا بنت. .!!

فقلت: لن أكتب إلا الحقيقة. . إذا أردتم فاقتلونى. . إنها شهادة تكتب عند
الله إن شاء سبحانه.

فقال حسن خليل: لن نسمح لك بهذه الشهادة؟!!

فقلت: إن الشهادة من عند الله؛ إذا أرادها لأحد من خلقه أعطاها له.

فقال شمس بدران وقد أثاره إصرارى: علقها يا صفوت. . واجلدها
خمسمائة جلدة!! لتعرف من ربها.

وعلقونى، وجلدنى الزبانية. . سخاء فى الوحشية وكرم فى القسوة!!
خمسمائة جلدة على إنسان فى قمة الألم، وقمة المعاناة. . ماذا بعد؟!
وأعادونى إلى الزنزانة.

ولم يمض وقت حتى أخذونى ثانية إلى مكتب شمس بدران الذى قال:

اجلسى هنا؟! وأشار إلى كرسى أمام مكتبه. . ثم قال: هل أنت فاهمة أن
قلوبنا جامدة لا تحس؟! أنا متأثر جداً لحالتك. . أنا والدى شيخ فى الأزهر!!

نظرت إليه نظرة ذات مغزى كبير مليئة بالازدراء والاحتقار!

وعاد إلى طبعه الوحشى قائلاً فى عصبية مهدداً:

يا بنت الـ...!!.. اسحبها يا حمزة إلى ٣٢..

ودخلت زنزانة وجدت بها عمودين من الخشب متصلين من أعلى بعمود أفقى تتدلى منه حلقتان.. أوقفونى على كرسى. وأمرونى بالسوط أن أمسك الحلقتين، عندئذ أزاحوا الكرسى من تحت قدمى فصرت معلقة فى الهواء..!! لم أستطع أن أستمع فى الحلقتين أكثر من عشر دقائق فهويت على الأرض وتلقفنى الزبانية بسياطهم المجنونة. وأعادونى مرة أخرى إلى الحلقتين. فسقطت، فعملت فى السياط المجنونة ماشاء لها هوى الزبانية.. وظلت هذه العملية تتكرر ما يقرب من ثلاث ساعات!!

شموخ الإيمان وذلة الباطل

أعادونى إلى مكتب شمس بدران، فأشار بطرف أصبعه، فى حركة تمثيلية، إلى كرسى أمام مكتبه، فجلست ثم أخذ جلال الديب وحسن خليل يحاولان إقناعى بأن أكتب ما يريده الباشا.. ويكرران بأن ذلك فى مصلحتى!! قلت لهما: لن أكتب شيئاً لا أعرفه.. فقال لى: إننا عرفنا كل شىء، واعترف الإخوان بكل شىء، اقرأ لها الملفات!!

ملف عبد الفتاح إسماعيل وملف مجدى عبد العزيز، وأحمد عبد المجيد وملف سيد قطب، وملف محمد هواش، وصبرى عرفه، وعبد المجيد الشاذلى، وفاروق المنشاوى، ومرسى مصطفى مرسى، على حد زعمهم، ثم

قال شمس بدران: اقرأ لها أقوالهم، وقرأ جلال الديب أقوال على عشاوى!!
أذهلنى ما سمعت!!

ولما فرغ قال شمس بدران - وهو يغمض إحدى عينيه ويهز رأسه - : ما
رأيك فى هذه الأقوال؟!

فقلت على الفور: هذا كله كذب واقتراء.

فقال شمس بدران: تريدن أن تنكرى أنك أسست تنظيم الإخوان؟ إليك
كلام شيخكم يقطع بأنك أنت التى أسست التنظيم.. اقرأ لها أقوال الهضيبى
يا جلال. وبعد عدة دقائق قال له: انتظر.. اترك هذا الملف واقرأ لها أقوال عبد
الفتاح إسماعيل، وأخذ جلال يقرأ.. وبعد قليل سألتنى شمس بدران: ما
رأيك!!.. لم أجب.. قال يا جلال.. اقرأ لها أقوال مخطط الإخوان سيد
قطب..

فأخذ جلال يقرأ ثم ينتقل من ملف إلى ملف ولما فرغ قال شمس بدران:
ما رأيك فيما سمعت؟! هل تكتبن ما نريد؟ فقلت: هذا باطل؟؟ فقال فى
تهكم: وما هو الحق يا نابغة الزمان؟

قلت: كل ما سجل هنا لعل على عشاوى، أعتقد أنه هو الباطل.. أما بقية
إخوانى فهم أهل الدعوة وأهل الحق.. والمسطر هذا مزور عليهم.. قال
شمس: علقها يا صفوت وأنت يا حمزة هات على عشاوى وحضر الكلاب.

وجاء على عشاوى.. كان على عشاوى يلبس «بيجامة» من الحرير
المهفوف نظيفة، أنيقة، شعره ممشط لا يبدو عليه أى أثر للتعذيب، فلما رأته
واستعرضت فى ذهنى حالة الآخرين، وحالتى علمت بل تيقنت أن هذا
المخلوق خان أمانة الله، وشهد على إخوانه زوراً فهو فى مهاوى الفساد،

الفجار، الظالمين، وأصبح من رجال شمس بدران وذنبا من أذئاب جمال عبد الناصر، الذين لا يعرفون قيما ولا أخلاقا ولا دينا.

قال له شمس بدران: يا على، ماذا أخذت من زينب الغزالي في آخر يوم توجهت فيه إليها، وماذا قالت لك؟

قال على ع شماوى: أعطتني ألف جنيه، وقالت لى.. النقود ستكون عند عادة عمار لتسليمها إلى بيت الهضيبي أو بيت قطب، إذا قبضوا علىّ اتصل بغادة أو بحميذة ستعرف أين النقود إذا احتجتم إليها.

فقال شمس بدران: كم كانت النقود يا زينب الغزالي؟ ولماذا كنت خائفة عليها؟

فقلت: كانت النقود أربعة آلاف جنيه، وهى قيمة اشتراكات مجموعة من الإخوان فى السودان، والسعودية، لمساعدة أسر المسجونين، ومصاريف الطلبة فى المدارس والجامعات، وإيجار بيوت، صرفنا منها فى العيد الماضى ألف جنيه على العائلات.. وهذا الواقف أمامكم هو الذى أخذ الألف جنيه ليعطيها لعبد الفتاح إسماعيل لحساب الأسر.

وقال شمس بدران: أنت يا على، ماذا أكلت عند زينب الغزالي آخر مرة؟

فقال على ع شماوى: أعطتني طبق أرز بالكبدّة وقالت لى: كل، ربنا يعينك..

ثم قال: كفاية!! اخرج يا على، فخرج على ع شماوى مصحوبا بسلامة ورعاية شمس بدران!!

وقال شمس بدران: هات عبد الفتاح، يا حمزة.

وبعد لحظات عاد حمزة البسيوني بعبد الفتاح إسماعيل.. كان يكسوه وقار الصادقين، ونور الموحدين، يلبس حلة سجن زرقاء، ممزقة، وآثار التعذيب تنطق بمدى ما لاقاه هذا المجاهد الصادق المؤمن الموحد.. وقال يوجه القول إلى: «السلام عليكم».

قلت: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته».

وقال شمس بدران: ماذا كنت تعمل عند زينب الغزالي يا عبد الفتاح؟ لماذا كنت تذهب إليها؟

ويرد عبد الفتاح بلسان صدق وحق غريب على الجاهلين: أختى فى الله.. كنا نتعاون على أن نبني الشباب المسلم على مبادئ القرآن والسنة، وبطبيعة الحال كان ذلك سيفضى إلى تغيير الدولة، من دولة جاهلية إلى دولة إسلامية..

ويقول شمس بدران فى غلظة: أتخطب؟ أنت لست على المنبر يا ابن ال... اخرج... اخرج... ويخرج عبد الفتاح إسماعيل كما جاء.. بعد أن وجه القول إلى «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

فقلت: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته».

وأخذت شمس بدران ثورة عارمة فجرت القذارة على لسانه فانساب بأشع الألفاظ وأقذرها!!

واسترحت.. نعم استرحت لشموخ الرجولة فى عبد الفتاح إسماعيل، مأخوذة بذروة الإيمان فيه، وقلت فى سرى «الحمد لله» أن لله رجالا.. اللهم

احفظهم لدعوتك يا الله . إن خان على العشماوى فهناك الموحدون الصابرون . .
رواد الطريق وطلاب الحقيقة .

وتنبهت على صوت شمس بدران وهو يصرخ : خذوها بنت الـ . . وبكره
يجى ومعها الورق مكتوب . وأعطى حسن خليل لصفوت ورقا وقلم وأعادونى
إلى المستشفى وأمسكت بالورق والقلم . ماذا أكتب؟ ماذا يريدون منا؟ أريدون
أن نغضب ربنا ونخالف ديننا!!؟ لا والله لن نكتب إلا أننا فى سبيل الله قمنا
وتحت راية القرآن سرنا . . لا إله إلا الله . . محمد رسول الله . لن نشرك بربنا
أحداً ولا نعبد إلا إياه . ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وتوفنا مسلمين .
وأنتم يا فراعنة العصر اقضوا ما أنتم قاضون ، إنما تقضون هذه الحياة الدنيا .
وغداً سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

وفى اليوم التالى جاء حمزة البسيونى ورياض وصفوت وأخذوا الأوراق
وانصرفوا ، وعادوا بعد ساعة تقريبا ، وحملونى فى عربة -لعجزى عن الحركة-
إلى مكتب شمس بدران ، الذى رأيت يمزق أوراقا يلقيها فى سلة المهملات وهو
يقول : هذه أوراقك أنا سأخذ كوز دم من جسدك وتكتبين ما أريده بالدم . .
وأعادونى إلى المستشفى . . !! تحت اللعنات وضرب الشياطين .

عبد الناصر أمر بإعدامى !!

مكثت بالمستشفى عدة أيام تحت العلاج . فقد كنت قاب قوسين أو أدنى من
الموت !!

وذات يوم قبيل الغروب أخذونى إلى مكتب شمس بدران . . لكنهم لم
يدخلونى ، بل أمرونى أن أقف ووجهى إلى جهاز كهربائى ، يخرج صوتاً
مزعجاً ، وينبعث منه هواء ساخن . .

ظللت واقفة - ووجهى إلى هذا الجهاز اللعين - ليلة كاملة!! وفى الصباح أعادونى إلى المستشفى . دخل الدكتور ماجد ونظر إلى وجهى وقال لعبد المعبود التمورجى : وجهها شديد الاصفرار . . هل أخذوها مرة أخرى الليلة؟ فقال عبد المعبود : نعم!

وبعد نصف ساعة أحضر لى عبد المعبود نصف رغيف أفرنجى وبداخله بعض المربى ، وقال : الدكتور أمر لك بهذا . .

وعند الغروب أخرجت من المستشفى لأوضع فى حجرة قريبة من مكتب شمس بدران ، ثم حضر الزبانية حمزة وصفوت ورياض وصاروا يتداولون فيما بينهم هامسين . وانصرف الأولان وبقي الأخير الذى انقلب إلى مسخ مشوه يلطم وجهه ويشد شعره ، ثم يفتعل حركات كما لو كان يريد تمزيق ملابسه ويصرخ عاويا متهما إياى بالجنون والغفلة ، مهدداً بأنى إذا لم أطع شمس باشا اليوم فإن حياتى سوف تنتهى . ثم يتساءل إن كنت أعلم أين ذهب عواد ورفعت وإسماعيل الفيومى؟ ويضيف أنهم يدفنون كل يوم فى السجن عشرة كلاب من الإخوان، يدفنونهم فى جحيم عبد الناصر . فلما علقت على هلوسته تلك بأن قتلنا شهداء فى الجنة ، زاد من لطم وجهه وصاح مادام الكلاب والماء والنار والسياط وكل هذا العذاب لم ينفع معك . . فاليوم الباشا سيذبحك . . . أخذ الأمر من جمال عبدالناصر . . . ماذا ستفعلين . . ؟!

قلت : الذى يفعل هو الله .

فقال فى بله : أنت تريدیننا أن نفعل مثلكم ونخيب خيبتكم؟ أنت تريدیننا أن نترك روسيا التى تحكم نصف العالم وننصاع لكلام شخص مثل الهضيبى أو سيد قطب أو حسن البنا؟ أنتم مجانين . . إننا لسنا مثلكم . . ردى على .

فقلت: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَنَّا
لَتَارِكُوا آلِهَتَنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿[الصفات: ٣٥، ٣٦]، وكانت هذه الآلهة هي
الأصنام، والحكام سدنة الأصنام. وهم الذين رموا محمداً الرسول ﷺ سيد
ولد آدم، رموه بالجنون. وهكذا يعيد التاريخ نفسه فتقولون لمن يدعونكم إلى
الله أنهم مجانين، ويسيركم الطاغوت الذي استخدمكم في الباطل، وتسيرون
خلفه أذلاء بثمان بخس: أرضيتم المخلوق وأغضبتكم الخالق.

فجن جنونه وثار تارته وهو يقول: أتريدون أن تعيدونا إلى الجمود
والتأخر؟.

وفتح الباب واندفع جند كالوحوش يلهبون جسدى بالسياط. وهو يضحك
في بله ويقول: والله يا زينب أنا خائف عليك ومشفق عليك... وأنا أقول:
«حسبنا الله ونعم الوكيل».

قلت في سخرية: شفقة وخوف؟! ما هذا!! أنت تخاف؟!

القضية كما تقولون وضحت كل عناصرها... فماذا يهمكم اعترافى أو
إقرارى؟! نعم وضح كل شيء... وضح زوركم، وكذبكم، والصاق الجرائم
بالأبرياء، لأغراض قد وضحت كذلك.

أخذ المجنون رياض يضرب صدره، ويشد شعره ويصرخ: بأى قوة
تعيشين!!؟

كدنا نفقد عقولنا فيك... الأطباء يقولون: إذا لم يدخل لك طعام
ستهلكين...

ودخل حمزة البسيونى وصفوت، وقال حمزة: خيراً يا رياض... ماذا فعلت
معها؟ أظن عقلت؟!

ملأت نظرة بكل السخرية وصوبتها إلى حمزة البسيوني وقلت: لا أدري من
المجنون؟

فنظر إلى حمزة ولم يعقب، ثم استدار إلى صفوت وقال: هاتها يا صفوت
إلى مكتب الباشا؟!!

في مكتب الباشا

أجلسني شمس على كرسى وقال: أعتقد أنه لا داعي للاستمرار في العناد،
أريدك أن تكتبي ما نريد. فقلت: أتريد أن أكتب أننا كنا سنقتل عبد الناصر؟
هذا أمر مستحيل، والله ما كنا لنجتمع إلا لدراسة القرآن والحديث لنبين للناس
كيف يخرجون من طاعة الطواغيت البشرية إلى طاعة الله فيعبّدونه وحده
ويقيمون دينه، لا يأتمرون إلا بما في الكتاب والسنة، لا يعصون الله فيما
أمرهم، ولكن يتحرون دوماً، ويجتهدون ألا يعصوه، وإن عصوه تابوا،
واستغفروا... ومع ذلك نحن نعتقد أن الحكم القائم حكم جاهلي يجب أن
يزول، لا بالحديد والنار بل بوجود قاعدة إسلامية عريضة في الأمة، فكيف
تقولون إننا كنا سنقتل عبد الناصر؟!... لا بد أن نخرجكم أولاً من الجاهلية...
فعندما توجد هذه القاعدة ستقوم الدولة الإسلامية حتماً، انهالت الشياطين من
مردة الإنس فصرخت بأعلى ما استطعت: لن أكتب لن أكتب. فاقتلوني.
فالدنيا لا تساوي عندي شيئاً..

والتفت إلى شمس بدران يسأل: الورق الذي مزقته لم تذكر فيه شيئاً عن
عبد العزيز علي. فسألت: ومن عبد العزيز علي؟ فقال شمس بدران: عبد
العزيز علي باشا الذي عينه عبد الناصر وزيراً ولم يحفظ هذا المعروف وعض
اليدين التي أكرمه، وتنكر لعبد الناصر.

فقلت على الفور وقد طفا الاسم إلى ذاكرتى : عبد العزيز على ، صاحب حركة اليد السوداء ضد الإنجليز؟ عبد العزيز على من كبار رجال الحزب الوطنى . لقد كان عبد الناصر وزملاؤه يجلسون على الأرض أمامه يستمعون منه دروساً فى الوطنية . . . إننى أعرف أنه رجل عظيم ، وهو صديق زوجى ، وأخى فى الله . وزوجته من أعضاء المركز العام لجماعة السيدات المسلمات وصديقتى وأختى فى الله . فسأل فى تهكم : ألم تضميه إلى تنظيم الإخوان؟! أجبت : كان يشرفنا ذلك ، إنه كما قالت الخنساء : «علم فى رأسه نار» .

فصرخ شمس بدران فى عجرفة تخجل منها الجاهلية : وإيه كمان عندك من الكلام الفارغ؟! . . . ونزلت السياط .

بعدها فترة راحة وتشاور هامس فيما بينهم ، ثم قال حسن خليل : نريد أن نعرف ، لماذا عرفت عبد العزيز بعبد الفتاح عبده إسماعيل ، وأين تم هذا التعارف؟

أجبت : عندما كسرت رجلى بفعل رجال مخابراتكم ، كان يزورنى فى المستشفى هو وزوجته . واستمرت زيارته فى البيت عندما تركت المستشفى . وتصادف يوماً أن جاء عبد الفتاح عبده إسماعيل لزيارتى وكان عبد العزيز على موجوداً فتعارفا . . . هذا كل ما أتذكره بالنسبة لهذه الواقعة .

فقال حسن خليل : ياست زينب ، سنسلم معك أن تعارف عبد العزيز على وعبد الفتاح عبده إسماعيل كان مجرد لقاء عابر ، فكيف تعرف عبد العزيز على فى بيتك وبواسطتك بفريد عبد الخالق؟

فقلت : عندما جاءت المريضة لإجراء العلاج الطبيعى لساقى المكسورة ، خرج عبد العزيز على وجلس فى الصالون . وفى هذه الأثناء حضر فريد عبد

الخالق فجلس فى الصالون . وكان لا يعرف عبد العزيز على بعد . وعندما انتهت جلسة العلاج ، وانصرفت الحكيمة ، دخل فريد عبد الخالق ليرانى ، ودخل عبد العزيز على ليستأذن فى الانصراف ، فقدمت كلا منهما للآخر ، فصرخ شمس بدران وكان فى قمة الضيق : نادوا صفوت!!

ولم أفق إلا فى المستشفى ، وقدمائى فى الضمادات وآلام حادة تدق عظامى ، وتقرى كل جسمى!!..

الوهم الكبير!

مكث بضعة أيام فى المستشفى تحت العلاج ، ثم حُملت إلى مكتب شمس بدران!! ويصر شمس بدران على وهمه الكبير ، ويلف ويدور حوله ، حتى يخيل إلى أنه من كثرة ترديده هذا الوهم قد وقر فى نفسه حقاً ، وأصبح حقيقة واقعة فى عقله ..

(الإخوان المسلمون دبروا واتفقوا على اغتيال جمال عبد الناصر!!)

وينظر إلى شمس بدران ودهشة كبيرة تملأ عينيه ، وتملأ قسماً وجهه ، ويقول مستنكراً: أنت على قيد الحياة؟! .

ثم يقول متعجباً: «بعد كل ما جرى عليك ولك؟!!!» .

فأرد: قال الله تعالى ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾ [البروج : ٤] ، والذين قتلوا أصحاب الأخدود كانوا مجانين بالباطل والزور والبهتان . أما الذين قُتلوا فى الأخدود -وبأيدي أصحابه- فكانوا أصحاب رسالة ، وحملة أمانة . . مصرين على أن يؤدوا أمانتهم ، ويبلغوا رسالتهم .

فقال شمس بدران: إننا لانفهم هذا الكلام ولا يستهويننا هذا الأسلوب يا مجنونة! أما زلت تعتقدين في وجود إله؟! أنتم مهزومون من سنة ١٩٤٨ إلى الآن - انهزمتم لما قاومتهم فاروق، وانهزمتم عندما قاومتهم الثورة في سنة ١٩٥٤ وانهزمتم عندما قاومتهم الثورة في سنة ١٩٦٥. فأين ربكم الذي تزعمون!!!
فقلت: إننا انتصرنا في سنة ١٩٤٨، وانتصرنا في سنة ١٩٥٤ وانتصرنا في سنة ١٩٦٥.

فقال: إننا نعلقك كالدجاجة.. نرمىك في النار.. نقذف بك إلى الكلاب، لماذا لم يمنعنا ربكم عنكم، إن كان موجوداً يا مهزومين يا أولاد ال..؟!
وقلت: أما كونكم منتصرين علينا بهذا الجلد، وبذلك الألوان من العذاب فهذا أمر تتوهمونه، أنتم تخافون منا!!!.

فقال غاضباً: اسكتي! أنتم مجرمون.

فقلت: كلا.. لسنا مجرمين، نحن حملة رسالة، وأمناء أمة، ودعاة حق، وعلامات على طريق النور.

فقال: أريد أن تشرحي لي كيف أنكم منتصرين علينا!

فقلت: نحن منتصرون عليكم، طالما نحن أغنياء بالله، أقوياء به سبحانه، متوكلون عليه، مكافحون، مقاتلون مجاهدون في سبيله. ولكن أمراً واحداً يثبت أننا منهزمون، لو تخلينا عن اعتقادنا بوجوب الجهاد لرفع راية التوحيد وإعلاء كلمة الإسلام.. إن الإسلام في حقيقته: دين ودولة، سياسة داخلية، سياسة خارجية، نظام أمة، نظام مجتمع، سلامٌ يملأ الدنيا عدلاً، وحرب تُخلص العباد من عبادة الفرد إلى عبادة الله الواحد القهار، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.. إن العبد الذي أسلم وجهه لله تعالى بصدق ويقين أصبح

متصلاً بالله سبحانه رب كل شيء، فكيف يخاف خلقه من اتصلت روحه بعالم السماء وتعلق قلبه بالفردوس فهانت عليه الدنيا؟! أما أنتم أيها الضالون المكذبون ماذا تستطيعون؟ تمزقون أجسادنا، تقتلوننا، ترهبوننا، تمنعون عنا الماء والطعام.. الشياطين في أيديكم، وسائل التعذيب رهن إشارتكم، كل ذلك في ضمائرنا شيء هين، تفرقون منا خوفاً.. لماذا؟ لأننا حزب الله وأنتم حزب الشيطان ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠)﴾ كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿[المجادلة: ٢٠، ٢١].

أثارت لغة الإيمان وأثار منطق التوحيد، جاهلية شمس بدران وحيوانيته، فصرخ كالملدوغ: صفوت.. صفوت!! علقها واجلدتها خمسمائة جلدة!! وجلدت.. وأنزلت، وسئلت نفس الأسئلة، وأصررت على ما أجبت به.. فيعود شمس بدران إلى صراخه: علقها يا صفوت واجلدتها مائتين وخمسين جلدة!! وعُلقَت، وجلدت.. وأفقت من غيبوبتي لأجدني في المستشفى محاطة بعدد من الأطباء يقومون بإسعافى وتضميد جروحي!!

مكثت في المستشفى عدة أيام تحت العلاج، ثم حملوني إلى مكتب شمس بدران على نقالة!!..

رفعوني على كرسى أمام مكتب شمس بدران، وقال: يا بنت ال.. لن ينفعك العناد.. انزلى عن عنادك حتى يمكن أن ننتهى من التحقيق معك ونرسلك للنيابة.

نظرت إليه بكل ما تبقى بى من رمق، قائلة فى استنكار: نيابة؟! وأنت من؟

قال: إننا نجهزك للنيابة!!

فقلت : ماذا تريد منى؟

قال مهدياً: اعتدلى فى إجابتك . . فلم يعد بك قوة للجلد . . وصفوت كما تعلمين على أتم استعداد . . !!

قلت : الله الفعال والمعين .

قال : محمد قطب ، وشباب الإخوان كانوا يجتمعون فى بيتك . لماذا؟

قلت : اعتاد الأستاذ محمد قطب وشقيقته - أمينة وحميدة - زيارتى . .

فقاطعنى شمس بدران - وقد كست ألفاظه ما تعودته من بذاءات وفحش - :
أنا أقول ، محمد قطب ، وشباب الإخوان ، أولاد ال . . كانوا يجتمعون عندك ،
لماذا؟

أجبت على بذاءته : الشباب الفاضل ، المسلم العامل ، اعتاد بعضه أن يزورنى ، وقد يلتقون بالأستاذ محمد قطب صدفة .

فصرخ : يا بنت ال . . أنا أقول ، كان الشباب يطلبون منك أن تهئى لهم الاجتماع بمحمد قطب ، فكان يحضر عندك للغداء هو وهؤلاء الشباب . وبعد الغداء يتم اللقاء وينعقد الاجتماع . . لماذا؟

فأرد بكل ثبات وطمأنينة : لما أصدر الأستاذ محمد قطب كتابه «جاهلية القرن العشرين» و«التطور والثبات» طلب بعض أبنائى ، وإخوانى من شباب الدعوة أن يجتمعوا بالأستاذ محمد قطب ليسأله عن بعض الأشياء فى الكتاين استغلقت على فهمهم ، واستجاب الأستاذ لدعوتهم عدة مرات .

ثم يسأل : ولماذا كان يحضر عبد الفتاح عبده إسماعيل هذه الاجتماعات؟

فأرد : لأنه من خيرة شباب الإخوان المسلمين ، ومن صفوة رجالها .

فيجيب في سخرية جاهلة: والله عال، من الصفوة يابنت الـ.. ثم يزيد:
في أى اجتماع من هذه الاجتماعات اتفق هو ومحمد قطب على قتل عبد
الناصر؟

قلت: قصة قتل عبد الناصر هذه أنتم اخترعتموها.

قال شمس بدران: لماذا لم تشتغلي بالمحامة وتكفيني قرفك هذا!

فقلت: الحمد لله الذى أقامنى فى خير ما يقيم فيه عباده.. داعية إلى الله
وسأظل بفضلله إن شاء الله.. فقام مسرعاً يركلنى وهو يقول: نهايتك على
إيدى اليوم.. يا بنت الـ..! ثم سأل بعد فترة: إيه التنظيم الذى أقمته مع
محمد قطب؟ اتفقتم على قتل جمال عبد الناصر.. عبد الفتاح عبده إسماعيل
أو الولد الفيومى؟

فقلت: الفيومى قتلوه خلاص.

فضحك ضحكاً عالياً وقال: ما أنت عارفه كويس! يا صفوت.. يا صفوت
وديها للفيومى!..

فأخذ صفوت يصب على نار سوطه المجنون!!.. فأسقط فى إغماءة وأنقل
إلى المستشفى لمعاودة إعدادى وتجهيزى لسماع مهاترات شمس بدران وعصابته،
ولمزيد من التعذيب والتنكيل وإهدار الإنسانية على مذبح شهوة السلطان!..

إصرار شمس بدران على وهمه

مرة أخرى نقلونى إلى مكتب شمس بدران!!.. لقد عاد إلى الوعى بعد أن
فقدته تحت سياط الزبانية.. فلا بأس من العودة إلى مكتب التعذيب.. مكتب
شمس بدران!!.. نعم. حملونى على نقالة إلى مكتب شمس بدران!!

كان شمس بين عصبة من أعوانه، وبادرنى عندما أجلسونى على كرسى

أمام مكتبه: يا بنت الـ . . لم يعد بك أدنى احتمال لأدنى قدر من التعذيب،
فأرحمى نفسك، وإلاّ قسماً برأس عبد الناصر أدفنك مع الفيومى وغيره.

وأضاف واحد من الأذئاب: اسمعى يا زينب، ردى على سعادة الباشا،
وفكرى فى مصلحتك، لنتهى معك إلى حل . .

واسترسل شمس بدران: تذكرى جيداً، جاء إليك شخص من طرف فؤاد
سراج الدين، وطلب منك أن تتفقى مع الإخوان المسلمين ليتعاونوا مع الوفد
لإزالة حكم عبد الناصر، وقال لك هذا الشخص بأن هناك رجالاً فى مكتب
المشير عامر سيتعاونون معكم ومع الوفد.

فقلت- وأنا أضغط على الكلمات من فرط دهشتى على قدرة هؤلاء
الشياطين على التلفيق والتزوير-: هذا محض كذب، إن فؤاد سراج الدين لم
يرسل إلى أحداً فى مثل هذا الأمر ولا فى غيره. ولم ألتق بفؤاد باشا من
حوالى اثنتى عشرة سنة . . ولكى أكون دقيقة فى شهادتى، فإن زوجى الحاج
محمد سالم سالم كان فى مزاد، والتقى-مصادفة- بمعالى فؤاد باشا سراج
الدين، فسأل زوجى عن صحتى وأحوالى، وكلفه أن يبلغنى سلامه وتمنياته.

وهوت الشياطين الملعونة، كأنها ألسنة لأفاعى جائعة تصب زعافها أينما
حطت، أو كألسنة اللهب تشوى ما يصادفها . . وكانت قدمائى لا تزالان
ملفوفتين بالضمادات، وجروحي لم تلتئم.

ويتساءل الزبانية وسياطهم تتصارع على قدمى وجسدى: فؤاد سراج الدين
أرسل إليك أم لا؟

وأرد: لم يرسل إلى!

فيأمر شمس بدران بزيادة وطأة التعذيب، فيغمى علىّ، ويوقف الجلد وأنقل على نقالة إلى المستشفى!! . . ثم تبدأ الدائرة من جديد، وأعود إلى مكتب شمس بدران مرة ثالثة. .!! ويقول شمس بدران، وقد أخذته العزة بالإثم: افهمي أنه لا يقف أمامنا أى شيء. . إننا ندفن منكم كل يوم عشرين كلباً، وصحراء السجن الحربى بطنها مستعدة لبلع مئات الألوف. . وقسماً برأس عبد الناصر إن لم تسلكي كما نريد، لأدفنك مثل الكلاب التى أدفنها كل يوم. ولم أنظر إليه، ولم يبد علىّ أى أثر أو تأثير من سفاهته وجاهليته، فاستشاط غضباً وقال: ردى علىّ وإلا قتلتك وجعلت نهايتك تحت الشياط. فقلت: لا إله إلا الله الفعال، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين.

فقال شمس بدران: هات الكلاب يا صفوت!!؟

ويحضر صفوت كلبين من الكلاب المدربة، ويطلقهما علىّ، فيهجمان علىّ كما يهجم الوحش الجائع على فريسته. .!! وأستعيز من أذى الوحشين بقولى: اللهم إنى أعوذ برضاك من غضبك، اللهم فادفع السوء عني بما شئت وكيف شئت.

فقال حمزة البسيونى: يا باشا وجهها أصفر وأشرفت على الموت.

وقال شمس بدران فى غطرسة: أخرج الكلاب يا صفوت، وخذوها. . ارموها تموت فى المستشفى.

وعدت إلى المستشفى على نقالة!!

وفى منتصف الليل. . فى جنح الظلام، ومرة رابعة إلى مكتب شمس بدران!! إنها الحقيقة. . الحقيقة المرة المؤلمة التى تجرّع كأسها فريق من المواطنين

إشباعاً لشهوة الانتقام، وتخطيطاً لهدم الدين الإسلامى بإبادة دعائه، وحتى تنطوى، فى زعمهم، مظلة لا إله إلا الله.. محمد رسول الله، وتنتشر مظلة الكفر وليعم تيار الإلحاد.

وما كادوا ينزلوننى من النقالة إلى مقعد فى مكتب شمس بدران، حتى أغمى علىّ فأحضروا عصير ليمون وأسقونى إياه، وحقنوني فى ذراعى فارتد إلىّ الوعى..!

وقال شمس بدران: يا بنت اتعدلى، يا زينب أنت صعبانة علينا، إننا لسنا وحوشاً كما تقولين.. والرئيس جمال عبد الناصر قلبه كبير وسيغفر لك إذا قلت الحقيقة.. اعملى لمصلحتك فقط.. قولى الحقيقة يا زينب.. فقلت: الحقيقة.. قولوا لعبد الناصر إنكم المغتصبون المعتدون على سلطان الله.. توبوا إليه وارجعوا.. اخرجوا من باطلكم إلى الحق، من ظلمكم إلى العدل، ومن ظلامكم إلى النور..

إن الذين يؤيدونكم فى باطلكم وتستعملونهم مخالب باطل وعدوان وجريمة، قلوبهم مريضة، وأنتم مرضى.

وتساءلوا فى دهشة مشوبة بثورة أو فى ثورة مشوبة بدهشة:

هىّ دى الرسالة اللى عايزانا ننقلها لعبد الناصر؟!!

فقلت بإصرار وبغيظ: إننى لم أقلها إلا لتنقلوها إليه!!

وكان الجواب على «تطاولى» هذا إلهاب جسدى بالسوط.. ثم يردد عدد منهم فى استنكار وارتعاد: دى بكل تأكيد مجنونة.. مجنونة.. مجنونة.. فى حاجة إلى علاج بالجلسات الكهربائية!..

وما إن ينتهى المرتعدون الذين قلوبهم هواء من استنكارهم (لتطاولى) على سيدهم، حتى يعلو صوت المسخ المسمى شمس بدران: الكلاب اللى مجوعينها من إمبراح.. . فى يا حمزة؟!!

ويردف حسن خليل بصوت تمثلى: يا زىب حرام عليك، إنت قرية من الموت.. . أنقذى نفسك، محدش من الإخوان راح ينفعك، كلهم عملوا لمصلحتهم وأنقذوا أنفسهم.. . أرجو أن يسمح الباشا بإحضار على عشاوى لىذكرها بالشخص الذى جاء إليها من طرف فؤاد سراج الدين.

وقال شمس بدران: تذكرى يا بنت ال.. . وإلا واجهناك بعلى عشاوى.. . فقلت: على عشاوى باع نفسه لطواغيت الباطل والجريمة بثمان بخص، فخر الدنيا والآخرة.. . وقصة سراج الدين قصة مدبرة المراد بها أن تذلو الرجال.. . رجالاً ذوى قلوب، وضماثر، ورؤوس مرفوعة.. .

ودخل حجرة التحقيق ضابط يدعى سعيد عبد الكريم اشترك معهم ثم قال: يا زىب، سأفكر بشىء قد يساعدك فى موضوع سراج الدين.. . ألا تعرفين الحسينى عبد الغفار، كان فى الإخوان المسلمين ثم انشق عنهم مع شباب سيدنا محمد، وتفاهمت أنت معه عدة مرات لىعود إلى صفوف الإخوان المسلمين، لأنك حريصة على أن يبذل جهده داخل صفوف الجماعة؟

فقلت: حسبنا الله ونعم الوكيل، الحسينى عبد الغفار هو أخى فى الله، وكان فى الإخوان المسلمين كما كان فى شباب سيدنا محمد، وتكلمت معه فعلاً لىعود إلى صفوف الإخوان المسلمين، ولكنه اعتذر عن ذلك، وليس له علاقة بسراج الدين ولا بالوفد.. . وكان رئيس شباب الأحرار الدستوريين يوماً، وذلك يجعله مناوئاً للوفد لا متفقاً معه.

فقال حسن خليل: هذا صحيح، لكن عندما تكون المسألة اتفاق الدستوريين والسعديين والوفديين والإخوان المسلمين تكون المسألة فى طريقها الطبيعى!!

فقلت: ليس هذا حقاً، وهناك مسافة بين الإخوان وغيرهم الذين لم يدرسوا النظرية الإسلامية بتكتيكها الإلهى، وأيدولوجيتها الربانية. وأشار شمس ونزلت على السياط، وقال عبد الكريم: نرجوك يا باشا.. خليها تكمل.. قال عبد الكريم: كملى يا زينب. قلت:

أما الإخوان المسلمون فيأخذون الإسلام عقيدة يبحثون فى منابعها ويدققون فى مصادرها، تلقوها من الله تعالى على يد رسوله ﷺ.. بمعايشتهم للكتاب والسنة، والأرض عند الإخوان لها وزنها وقدرها ما دامت أرضاً للإسلام، فى سبيلها يُستشهدون، وعن حياضها يذودون، يحررون الأرض لله كما يحررون البشر لله، يعبدون الأرض لله كما يعبدون البشر لله.

وعلى الأرض المعبدة لله وبالبشر المعبد لله تكون الأمة ويكون المجتمع المسلم.

لم يحرر محمد ﷺ عند بعثته الأرض ثم يدعو الناس إلى التوحيد، ولم يدع ولم يناد بالإصلاح الاجتماعى ثم يدعو الناس إلى التوحيد، ولم يدع إلى تقسيم المال بالسوية ثم يدعو الناس للتوحيد، لم يدع لإصلاح جزئى، ولكن محمداً ﷺ، دعا إلى التوحيد فأسلم رجال وآمنوا بأنه لا معبود إلا الله ولا حاكم إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا ضار ولا نافع إلا الله، وهو المحيى والمميت، ولا مدبر ولا مشرع إلا الله ثم كانت الهجرة إلى المدينة بالسابقين الأولين من المؤمنين.

ثم كانت بدر الأولى نداء لقيام الأمة، وتوالى نزول القرآن على محمد ﷺ

بالتشريعات وبالحدود، وبالاحلال والحرام، وقامت الأمة فعلا، وملأت الأرض عدلاً ونوراً وحقاً..

قال شمس: بعد الدوشة دى هاتحكى حكاية سراج الدين! قلت: أمر لفقتموه.. إن الذين قالوا ذلك مأجورون مزورون، ليس عندى ما أحكيه عن فؤاد سراج الدين إلا أنه كان رجلاً وطنياً يخدم بلاده وأعتقد أنه الآن معتزل أى نشاط..

قال شمس: هات الكلاب يا صفوت!!

قفزت على الكلاب والوحوش البشرية تشبعتى ضرباً ونهشاً والدماء تسيل هنا وهناك.. سارع الطبيب الواقف معهم بوقف جلدى ولكن هيهات.. هيهات.. انطلق أذان الفجر ينير سكون الليل فأحسست ببرد وسلام مع هذه الشياطين لا تلين ولا تكف فتذكرت أمر الله: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

تباركت يارب وتعاليت، فأنا حفيدة إبراهيم أول الموحدين وجد النبي ﷺ، أن رحمتنى من أبالسة يسؤوهم أن أقول: ربى الله لا أشرك به أحداً.. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١، ٢].

أفقت لأجدنى فى المستشفى ولا أدرى للمرة الكم، وإن كنت واعية تماماً لما ينتظرنى.

تسلط الأقسام وتحكم الهوى

عندما تصير الأمور إلى الأقسام.. عندما يكون الحل فى أيدي الجهلة الغافلين، تنقلب السلطة تسلطاً، ويكون الرأى وبالاً، والحكم غبناً. لأنه يصدر عن هوى، ويشبع ميلاً، ويقيم زيفاً..!!

وهكذا، كانت الأقزام مستلحة بالسلطة تتسلط على الرجال، فتحطم
«الكرامة»، وتمزق الكبرياء، وتذل الإباء والشمم، فى أيام كان القانون فيها فى
سبات عميق... والإنسانية فى إجازة طويلة... والرحمة رحلت عن ديارنا...!!

وسألنى شمس، وسألنى أعوانه، عندما حملونى إلى مكتبه: قولى يا بنت يا
زينب، ما رأى الحسينى عبد الغفار فى الكلام الذى بلغك من فؤاد سراج
الدين. ومن الذين كانوا سيتعاونون مع فؤاد سراج الدين من مكتب المشير
عامر؟ وماذا طلب من الإخوان للقيام بالانقلاب؟.

فأجبت: الحسينى عبد الغفار أخى فى الله، ولا أعلم شيئاً عما أسمع من
إفك وكذب.

فتساءل حسن خليل وسعد عبد الكريم: اسمعى يا زينب، ألم يقابل
الحسينى عبد الفتاح إسماعيل فى بيتك؟. ألم تكلمى الحسينى لينتظم فى
صفوف الإخوان المسلمين؟.

قلت: أنا تكلمت مع الحسينى ليعود إلى صفوف دعوته وليس هذا جريمة،
الحسينى رجل مؤمن بدعوة الإخوان، وإن لم يكن منتظماً فيها، فإنه يتمنى أن
تتحقق مقاصدها، وأن تهتدى الناس إلى مقاصد الكتاب وغاياته، وإلى مراد
السنة وأهدافها، وقد تقابل الحسينى مع عبد الفتاح إسماعيل فى بيتى وأخذنا
يتحدثان عن الإسلام وما أصاب المسلمين من انحطاط وتأخر، ثم انصرف
الحسينى عبد الغفار، وقد تقابل الحسينى مع عبد الفتاح إسماعيل فى بيتى
مصادفة ثم قال لى عبد الفتاح عبده إسماعيل: الحسينى رجل صالح وطيب
وعالم مخلص. وله مع الصوفية استغراقات وتجولات.

فقال أحدهم: الحسينى قال كل شىء. لكن أنت تريدين أن تكون الفداء
لكل الإخوان المسلمين، وحتى الحسينى وفؤاد سراج الدين، وتبعديهم عن

المسئولية . . إننا نمنحك فرصة أخيرة لتراجعى فيها نفسك بخصوص رجال الوفد، وبعض رجال مكتب المشير عامر . . ما رأيك فى هذه الفرصة؟ وسنواجهك بالحسينى وفؤاد سراج الدين ولكن بعد أن نخرج عينيك وتصيرين عمياء .

فقلت : الحمد لله نرى بقلوبنا ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] .

وصرخ شمس بدران كمن لدغته أفعى : «هات الكلاب يا صفوت» !! فتدخل أحد الأعوان يهدئه : لا عليك يا باشا . إنها لاتدرى أين مصلحتها ولا تقدر النهاية !!

فقلت : النهاية بيد الله وليست بأيديكم ، والله الفعال ذو القوة المتين . وقال آخر من شلة الضباط المحيطين بشمس بدران : يأمر الباشا بإحضار الحسينى عبد الغفار . ثم نادوا صفوت لإحضاره ، وقال شمس بدران فى كبرياء الجاهلية : خذوها إلى المستشفى الآن !!

إنهم كالحفافيش يعشقون الظلام ، ولا ينشطون إلا فيه . . ففى الليل حملونى وأجلسونى على مقعد فى مكتب شمس بدران ، وبعد لحظات دخل الحسينى عبد الغفار . . كانت ذراعه مكسورة ملفوفة فى جبيرة ومعلقة إلى صدره . . وكانت قدماه فى ضمادات سميكة . . وكانت آثار التعذيب الوحشى -بل الجاهلى - بارزة على كل جزء من جسده .

وقال الحسينى عبد الغفار عندما دخل : السلام عليكم .

قلت : وعليكم السلام .

ونظر إليه شمس بدران فى سخرية وسأل فى تهكم: يا حسينى، ما هى قصتك مع زينب؟

وقال الحسينى: الورق مكتوب فيه كل شىء.

فأخرج شمس بدران أوراقاً وأعطاهما للحسينى وأمره بقراءتها.

لم أكن مشغولة بالأوراق التى بين يدى الحسينى، بل كنت أفكر كيف أجيب على هذا الشيطان بما يخفف عن الحسينى أو يرفع عنه العذاب، ويقىنى أن الحسينى عذّب حتى يكتب ما يريدون. وأخذ الحسينى يقرأ فى الأوراق التى أعطاهما له شمس بدران.. أشياء كثيرة لم أحس يوماً أن الحسينى يعتقدها أو يدعو لها أو يتكلم بها. كل ما قرأه لم يكن صحيحاً ولا واقعاً وإنما خيال مريض.. سألتنى شمس: ما رأيك! قلت: إنه الإكراه للإخوان والبطش والعذاب حتى يقولوا ما تريدون!

فقال شمس: وهل ما سمعته كذب؟

أجبت: الحسينى لا يكذب. ولكنى على يقين أنه قد عذّب حتى.. فصرخ شمس مقاطعاً غاضباً. ماذا تقصدين؟ الكلام الذى قرأه الحسينى ألم يقله لك؟! وقال حسن خليل: إننا نريدك أن تقولى هل ما سمعته من الحسينى حصل أم لا؟

وقال آخر: هل ستحرقين نفسك بالنار من أجل الحسينى كما حرقته من أجل الإخوان؟

فأجبت: أنا لا أحرق نفسى ولكن أحييها.

قال شمس بدران: أنت يا حسيني بلغت زينب رسالة من فؤاد سراج الدين!

فقلت وأنا أوجه الكلام إلى الحسيني: أنت يا حسيني بلغتني رسالة من فؤاد باشا سراج الدين؟

فقال الحسيني: فؤاد سراج الدين الصغير وليس معالي الباشا؟

فقلت: أنا لا أعرف إلا فؤاد باشا سراج الدين... من هو فؤاد الصغير يا حسيني؟!

فقال الحسيني: ابن عم فؤاد باشا.

فقلت للحسيني: وما تلك المسألة يا حسيني؟

فقال: أنا قلت إن المسألة كانت عبارة عن نكتة رواها لي علي سليمان وأنا ذكرت هذه النكتة أمام الحاجة زينب!!

فقال شمس بدران للحسيني: اخرج يا حسيني.

فقلت لشمس بدران: حسبنا الله ونعم الوكيل!!.. النكتة صنعت منها مؤامرة!!..

وفؤاد باشا سراج الدين لم يسلم منكم يا ظلمة.

ثم نادى شمس على صفوت وعادت السياط لتنهال من جديد.

ثم قال شمس: خذها يا حمزة للمستشفى.

عذاب...!! وفى المستشفى

فى اليوم التالى دخل زنزانتى فى المستشفى حمزة البسيونى ومعه رجل يرتدى الملابس العسكرية برتبة لواء ومعهما التمورجى عبد المعبود. وقال حمزة البسيونى لعبد المعبود: اذهب وأحضر كرسيًا ومنضدة صغيرة، وفى لحظات عاد عبد المعبود بالكرسى والمنضدة.

وضع حمزة البسيونى ورقاً أبيض على المنضدة وقال لعبد المعبود: اجلس إلى هذه المنضدة واكتب كل ما ستمليه عليك.

وجاء صفوت الروبى يحمل ملفات متضخمة. أخرج حمزة من كل ملف ورقة وقال لى: كل هذا الكلام تدونيه فى أوراقك، هو من كلام الهضيبى، وسيد قطب، وعبد الفتاح إسماعيل، وهواش، وأحمد عبد المجيد، ومرسى مصطفى مرسى، وصبرى عرفة، وفاروق المنشاوى، وعبد العزيز على، فقلت لهم: سأكتب ما أعرفه، ليس لى علاقة بهذا الكلام.. إننى لا أصدق ولا أعتقد أنها للإخوان الذين تدعون أنها لهم..

قال حمزة البسيونى: ردى كما ينبغى، سنرسلك إلى مكتب شمس باشا، وتذوقين العذاب ألواناً كما تعرفين.

وما أملت على عبد المعبود إلا ما يرضى الله ربنا هو ولينا ونعم النصير.

وفى صباح اليوم التالى أخذونى إلى مكتب شمس بدران ووضعونى على مقعد، أخذ شمس بدران أوراقا وأخذ يمزقها ويرمى بها فى سلة المهملات، وقال فى أسلوب يترفع أى مخلوق فى أدنى درجات الإنسانية ويتمتع بأقل قسط من الأخلاق أن ينحدر إليه: أنت يا بنت ال.. تريدن أن تهدمى كل التحقيقات وتبطلى كل أقوال الإخوان؟ الكلام الذى قاله الإخوان مضبوط.

إجابات الإخوان أنت ملزمة بتأييدها فى أقوالك . أنت ملزمة بكل ما قاله الإخوان .

فقلت : أنا ملزمة بالحق الذى أعتقده ، إننى لست ملزمة أن أقول إلا ما أعتقده . وغير ملزمة بأن أصدق أن هذه الإجابات من أقوال إخوانى . واجهونى بهم جميعاً ، إن سياتكم وتعذيبكم قد انتزعتها منهم . . انتزاعاً .

فصرخ شمس بدران : خذها يا حمزة ، أنا أريدها جثة أوقع تصريح دفنها! . .

أخذونى إلى حجرة وأغلقوها علىّ ، وبعد ساعة أخرجونى منها ، وأوقفونى تحت سياط الكراييج ووجهى إلى الحائط أمام جهاز تكييف . وظللت واقفة مايقرب من الست ساعات وكأننى كنت واقفة على مسامير محماة . فقد كانت آلام حادة تفرى قاع قدمى من نوبات الجلد المستمرة .

وفى منتصف الليل - ودائماً الليل - أعادونى إلى مكتب شمس بدران الذى قال لى : يا زينب . اسلكى معنا . . الرئيس جمال عبد الناصر سيغفر لك . . وأكثر الإخوان اعترفوا . . إن سلكت ستقابلين جمال عبد الناصر صباح غد ، وتعودين إلى بيتك فوراً ، وبعدها سيلغى قرار حل المركز العام للسيدات المسلمات ، وسيقرر إعطاؤك خمسين ألف جنيه كإعانة للجماعة ، وكدفعة أولى لبناء أرض الجماعة فى مصر الجديدة ، وعشرة آلاف جنيه لإعادة صدور المجلة .

وسأل رجل من الجالسين بالمكتب : هل جماعة السيدات المسلمات لها أرض فى مصر الجديدة يا زينب؟

فأجبت : نعم ، عندها ستة آلاف متر .

فقال نفس الرجل - والذي عرفت أنه صلاح نصر فيما بعد - وماذا كانت ستفعل الجمعية بهذه المساحة الكبيرة من الأرض؟

فقلت: كانت الجمعية ستبنى داراً لتربية الفتاة المسلمة، ودار ضيافة للمسلمات وقاعة محاضرات، وداراً للمركز العام، ومسجداً، وجمعية لتحفيظ القرآن الكريم، ومدرسة إعدادية وأخرى ابتدائية ومعهداً للوعظ.

فتساءل: ومن أين لكم بالأموال؟

فأجبت: من التبرعات - والعمل على مراحل.

فقال: إذن، إنها فرصة جميلة يمنحها لك الرئيس جمال.. تعودين إلى بيتك وتعود الجماعة.. وثقة الرئيس نتائجها كبيرة!!

فقلت: ثقتنا في الله أكبر.. الله أكبر في نفوسنا من الأرض، ومن المال، ومن كل طواغيت الأرض المعتدين على حق الله وحق عباده، أنا لا أريد أى شيء منكم، ولن أقبل أبداً أن أقابل عبد الناصر ولا أصافح اليد التي غمست في دم إسماعيل الفيومي ورفعت بكر ومحمد عواد وغيرهم كثير وعبد القادر عودة وزملائه، لن أصافح اليد التي غمست في هذا الدم المبارك، إن هذا الدم سيقود على مدى السنين أجيال المسلمين الذين سيعودون إلى ماضيهم الزاهر المجيد. إلى مقعد المسؤولية في هذا العالم.. وتنهال اللكمات والركلات والضربات فأقع هامدة على الأرض، ويقول شمس بدران: يا حمزة خذها إلى رقم ٣٤.

وأدخلت رقم ٣٤!!.. زنزانة ضيقة مظلمة كالقبر الموحش..!!

وأدخلوا معي كلبين، وأغلقوا الزنزانة.

تيممت وأخذت أصلى، وأنا لا أدري أين القبلة.. وأنتهى من صلاة وأدخل فى أخرى، انشغلاً بالله لعله يصرف عني ما أرادوه. وتسلق الكلبان ظهري فى ركوعى وسجودى، وأخذنا يخمشان رأسى، ووجهى.. وأنا أصلى وأستغرق وأصبح فى عالم الدعوات والتضرعات.

وبعد ساعة فتحت الزنزانة وسحبوا الكلبين وحملونى إلى المستشفى.

بعد العشاء أعادونى إلى مكتب شمس بدران.

قال شمس بدران: يا زينب، انعقد فى بيتك اجتماع كان يضم أكثر من خمسين رجلاً من الإخوان المسلمين من جميع أنحاء الجمهورية - هذا الاجتماع كان منذ ثلاث سنوات. ماذا جرى فى هذا الاجتماع؟

فقلت: صلينا المغرب جماعة، وصلينا العشاء، ثم التراويح.

فقال: أنا أسألك، ما الغرض من هذا الاجتماع؟

فقلت: لا أتذكر.

سأل: تناولوا الإفطار عندك!

فقلت: عدد منهم.

فسأل: ولماذا كان الاجتماع؟

فقلت: كنا ندرس الإسلام، وكيف نُقاوم تيارات الإلحاد التى تغذيها وتنفخ فيها أجهزة الجاهلية وإعلامها.

قال: ولماذا عندك بالذات؟

أجبت: لأننى من المسلمين إن شاء الله.

سأل: وأى جاهلية، وأى إسلام، وأى إلحاد؟!

فقلت : لو قمت بجولة فى البلد لرأيت على أرصفة الشوارع أكوام الجرائد، ومجلات الإلحاد ونشرات الانحلال التى توزع بأثمان رمزية لنشر الشيوعية، والإلحاد والانحلال والتسيب فى كل شىء .

فقاطعتنى فى شبه صراخ : كفى ، كفى . . دا كلام فارغ ، ما هى أسماء المجتمعين عندك؟

فقلت : لا أتذكر أسماءهم .

سأل : أحد المجتمعين ترك الاجتماع وقابل الهضيبى ثم رجع مرة أخرى بعد اتصالك تليفونيا بمنزل الهضيبى ، من هذا الرجل؟

فقلت : لا أتذكر . وكل ما يعلق بذاكرتى فى هذا الخصوص أنه سألنى أن أستأذن الهضيبى لمقابلته . . فماذا فى هذا؟

سأل : كنتم مجتمعين لماذا؟ أنا أسهل لك الإجابة! الرجل الذى ذهب إلى الهضيبى اسمه عبد الفتاح الشريف أليس كذلك؟

ثم أردف : سأعلقك إن لم تحببى ثم أكمل . .

اتفقتم على قلب نظام الحكم وقتل جمال عبد الناصر .

فقلت : اتفقنا على محاربة الجاهلية ، والتسيب والانحلال والإلحاد . والعمل على نشر تعاليم القرآن وإقناع المسلمين بوجوب حكم القرآن والسنة .

فسأل مستنكرا : وماذا يعمل الأزهر؟ انطقى ما هى وظيفة الأزهر؟

علقها يا صفوت واجلدها .

وأنا تحت السياط أقول يا الله ، يا الله ، وأخذت أكرر الاسم الأعظم حتى أغمى علىّ .

الباب الخامس

وسمع فرعون

أفقت . . يا إلهى . . إننى ما زلت على الأرض أمامهم جثة هامدة . . إنهم
أسعفونى . . وبصعوبة شديدة حاولت النظر فى الحاضرين . . فإذا بجمال عبد
الناصر يتكىء على كتف عبد الحكيم عامر ويمسك فى يده نظارة سوداء .

عندما رأيت جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، نسيت ألى، ودبت فى
جسدى يقظة غريبة، وانتابنى نشاط غريب!!

أعطونى كوباً من عصير الليمون فشربته، رفعونى من فوق الأرض على
مقعد، ثم أحضروا لى فنجان قهوة فلم أتردد فى تناوله .

كان إحساسى بأن هناك شيئاً خطيراً سيحدث، فكل ما يدور حولى يقوى
عندى هذا الإحساس .

وقال شمس بدران وهو ينفخ: يا بنت يا زينب، أريد أن تجيبى على كل
سؤال أوجهه إليك بصراحة وإلا . . !!

افترضى يا زينب أن الإخوان المسلمين هم الذين يحكمون البلد، وأنا نقف
أمامكم تحاكموننا، فماذا كنتم تفعلون بنا؟

فأجبت فى قوة وشجاعة: نحن لا نساكن فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم

ولا نلوث أيدينا بما لوث به الظالمون أيديهم، نحن لانغمس أيدينا في الدم . .
نحن لا نجلس في مقاعد طواغيت الأرض .

فقال: اخرسى! أنا بأسألك، إن كنت جالسة على هذا الكرسي مكانى ماذا
كنت تفعلين معى؟

فقلت: نحن طلاب حقيقة، ورواد طريق، ليس فى حسابنا أن نصل إلى
الحكم، إنما حملة لواء «لا إله إلا الله» نفتديه بالأموال والأرواح .

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١].

فقال شمس بدران: اخرسى يا بنت الـ . . . أنا أكرر لك السؤال .

ماذا كنتم تفعلون لو وصلتكم إلى الحكم؟

فقلت: إنما لسنا طلاب حكم! . . ولا يعنينا أن نكون فى قمة المسئولية أو
عند السفح حراساً للطريق المؤدى إلى الرجل الذى حمل الأمانة وبايعته الأمة،
عبداً لله حاكماً بما أنزل الله ولتكن هذه الدار دار البعث . . البعث الإسلامى .

فصرخ شمس بدران متشنجاً: اخرسى . . اخرسى . . اخرسى؟!!

أريد إجابة واحدة: افترضى أنك جلست على الكرسي الذى أجلس عليه
الآن ماذا تفعلين معى وأنا متهم أمامك . . ؟

فقلت: ربما تنتهى أجيال وأجيال حتى يحكم الإسلام، نحن لا نتعجل
الخطى، ويوم يحكم الإسلام ستكون مواقع المرأة المسلمة فى مملكتها الطبيعية
لتربى رجال الأمة .

فقال شمس بدران كتائه يضرب فى الصحراء فى يوم عاصف: يا بنت
الـ . . . أنا أقول افترضى جدلاً أنك جالسة مكانى ماذا تفعلين معى؟

فقلت: الإسلام عدل ونور ورحمة، فلا سياط ولا قتل، ولا تعذيب ولا سجون، ولا نفى، ولا دفن للأحياء، ولا تمزيق لأجساد الشهداء: رفعت بكر ومحمد عواد وإسماعيل الفيومي.. لا تشريد أطفال، ولا ترميل نساء، لا فراعنة ولا وثنية.. ولكن الحق والعدل.. الكلمة تواجهها الكلمة والحجة تواجهها الحجة..

صرخ شمس كالصرير: اخرسى.. اخرسى.. علقها يا صفوت اجلدها.
وعلقنى صفوت، وعلى لفائف الشاس، أخذت السياط المجنونة تهوى على كل جزء فى جسمى، والدم ينزف.. ولا أدرى.. فقد رأى الطبيب إنزالى وقال: إن حالتها خطيرة.. إنها تموت يا معالى الباشا!!
قال شمس: فى ستين داهية.

قال أحد الضباط: إننا نريد أن تكون حية حتى تقف أمام المحكمة!!
فقال شمس بدران: نعم، نعم نريدها تعيش لتذهب إلى المحكمة!! ويتفرج عليها الشعب وتكون عبرة.

وقال الطبيب: إننا فى حاجة إلى أدوية وعقاقير غير موجودة!!
فقال شمس بدران: اطلبها من صيدلية المشير عامر!!
ونقلت إلى المستشفى ولم أدر ماذا حدث فى تلك الليلة، فقد رحت فى غيبوبة أفقدتنى الإحساس بالألم، كما أفقدتنى الاستمتاع باسترجاع الحوار مع شمس بدران على مسمع من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، لقد قلت ما أردت أن يعرفه.. وقد عرفه!!

أصل المؤامرة .. نكتة !!

أسعفت بالعلاج ، لأنهم كانوا يحرصون على حياتي .. فأنا متهمة من وجهة نظر من ينسجون القضية ويؤلفون فصولها ويصنعون أبطالها .. فلا غرابة إذن ، أن يصرف لى دواء لأستطيع حضور المحاكمة !! أمضيت ثلاثة أيام فى غيبوبة ..

وفى مساء يوم سمعت صوت مراد وصفوت يخرج من زنزانة الأخ أحمد كمال ويسألانه عن عنوان سيف الإسلام .. وأعطاهما العنوان ، وبعد ما يقرب من ثلاث ساعات عادا إلى زنزانة الأخ أحمد كمال وسألاه عن عنوان مكتب سيف البنا .. !!

وسيف البنا هو نجل الإمام الشهيد حسن البنا ، أخذت أدعو لسيف وأمه وإخوته ، فأمه مريضة بالقلب ، وسيف هو العائل الوحيد للبيت والأسرة . أخذت أضرع إلى الله سبحانه أن يصرف عنهم كيدهم .

رفعونى على نقالة إلى مكتب شمس بدران .. وسألنى شمس بدران سؤالاً تأكد لى منه أن سيف الإسلام البنا نجل الإمام الشهيد حسن البنا فى السجن الحربى !! وشغلنى جداً أمر وجود سيف البنا فى السجن الحربى .

وقال شمس بدران لحمزة البسيونى : ألم أقل لك إن هذه البنت لا تدخل مكتبى وهى حية؟ لماذا أحضرتها وفيها نفس يتردد؟! ثم وجه الكلام إلى وكل عضلات وجهه تهتز فى عصبية : أما زلت على قيد الحياة؟ لماذا .. لماذا؟ فقلت : ليس بإرادتك ، ولا بإرادتى أن أعيش أو أموت ، ولكنها إرادة الله وهو المحيى المميت .

فصرخ قائلاً: اخرجسى، اخرجسى.. ردى على سؤالى فقط: من الذى كان سيغتال جمال عبد الناصر فى طريق الإسكندرية من رجال الجيش؟ فقال حسن خليل: قرب لها المسألة قليلاً ياباشا، أو اسمح لى أن أفهمها الموضوع.

ثم أردف -بعد أن أوماً إليه شمس بدران برأسه- هناك شخص حكى لك عن جماعة تربصوا لجمال عبد الناصر فى الطريق الصحراوى وكان مسافراً بالسيارة إلى الإسكندرية. من حكى لك هذه الرواية؟ ومن كان فى السيارة الجيب لاغتيال عبد الناصر؟

فقال شمس بدران: ردى بسرعة!!

فقلت: ما أتفه ما تعذبون الناس من أجله! ويلكم من الله! ثم ويلكم من التاريخ! ثم ويلكم من الناس جميعاً وهم ينزلون عليكم لعناتهم!.. وكان جزائى على ذلك قاسياً: دم يسيل وعظام تكسر!.

وكان شمس يقول:

إن علقناك الآن ستموتين، ولكننا سنسامحك إن أخبرت عن الحكاية!! احكى لنا الحكاية من أولها.. يا بنت الـ.. الحكاية اللى قالها لك سيف البنا.

فقلت: آه.. النكتة التى قالها سيف، فقام شمس مسرعاً يركلنى ويصفعنى وهو يقول: أيوه يا أختى النكتة!

وقلت: كنت فى بيت الشهيد البنا وقال سيف الإسلام.. يقولون كان جمال عبد الناصر مسافراً فى الطريق الصحراوى بالسيارة إلى الإسكندرية وكم

له جماعة من الجيش فى سيارة جيب ليغتالوه . وفى اللحظة الأخيرة تغير نظام سفر عبد الناصر ، وسافر بالقطار ، والغريب فى الموضوع أن السيارة الجيب هربت فلم يستطيعوا القبض عليها ولا على من فيها .

فقلت لسيف : حقا إنها نكتة . . لكن ليس هو الفراغ الذى جعل الناس يقولون ذلك كما تقول يا سيف . . . أنا لا أعتقد أن هناك سيارة جيب ، والأمر كله من صنع جهاز المخابرات . . هناك كل يوم مؤامرة مزعومة لاغتيال عبد الناصر ، مرة من الجيش ومرة من الشعب ، وهلم جرا ونسمع عن ذلك . . ويقبض على آلاف الناس .

وقال سيف : لا . . لا . . دى مجرد نكت الناس بتعملها وخلاص .

فقلت : الناس لا يفكرون فى قتله . . قتل الحاكم الظالم لايُنهى المشكلة . . القضية أكبر من قتل عبد الناصر ، القضية تخليص البلد من حكم جاهل ، عاتٍ متجبر .

وأجابنى سيف : من الأفضل للناس أن يشغلوا أنفسهم بمصالحهم الشخصية وتربية أنفسهم .

فقلت : على أى حال لم يقتل هذا البلد غير النكت . . لم يستطع الناس أن ينفسوا عما فى صدورهم إلا بالنكتة . . وبها قتلت الرجولة وقتلت المسؤولية .

وانتهى الحديث مع سيف الإسلام البنا .

فقال شمس بدران : هذه الحكاية - حكاية اغتيال عبد الناصر فى طريق الإسكندرية الصحراوى - دار حديث فيها بينك وبين عبد الفتاح إسماعيل

وعلى العشماوى فى بيتك ودرستم تخطيبتها، والأخطاء التى وقعت فيها .
لماذا؟

فقلت: ما حصل غير ذلك، أنا نقلت النكتة لعبد الفتاح عبده
إسماعيل عن سيف الإسلام . . لم ندرس الحكاية . . دى نكتة فقدت بركلات
وشتائم!

قال شمس بدران: أنت حكيت هذه الحكاية لحسن الهضيبى . لماذا؟ نكت
الناس بتقولها وحكايات بترويها .

قلت: جائز . . وإحنا من الناس فيها حاجة دى؟! .
وعملت السياط عملها .

قال شمس: جميل، نترك موضوع سيف الآن، وننتقل إلى موضوع آخر:
كان عبد العزيز على هو المسئول عن تنظيم الإخوان حتى خروج سيد قطب من
السجن، قولى لنا كيف أتى هذا؟ قلت: لم يحصل . فقال: كيف؟ عبد العزيز
على كانت يجتمع مع على عشماوى وعبد الفتاح إسماعيل وضياء الضوبجى،
ويحىى حسين، وعبد المجيد الشاذلى، ومجدى عبد العزيز، واجتمع مع سيد
قطب عدة مرات بعد خروجه من السجن .

قلت: لا أدري شيئاً عن هذه الاجتماعات .

فقال شمس بدران: ومن يدري بها غيرك؟! أنت تعرفين جيداً أنهم كانوا
يجتمعون .

فقلت: هذا محض افتراء .

وقال شمس بدران: من الذى حمل أمر الهضيبى بزعامة عبد العزيز للتنظيم
غيرك؟

فقلت : هذا محض افتراء .

فقال شمس بدران مهدداً: يبدو أننا حنشوف شغلنا معك ، لا بتعقلى ولا بتشوفى مصلحتك .

وقال أحد الجالسين على طريقة الساسمرة . . واحد يشد وواحد يرخي : لحظة واحدة يا باشا . أنا سأحاول مع زينب ثم اتجه إلى وقال : يا زينب . . الهضيبي اعترف ، وعبد العزيز على اعترف ، أنا سأحاول أفكرك بحكاية يمكن تجعلك تتداركين الأمر ، كلهم اعترفوا ولا داعى للإنكار . . ما هو السم الذى أعده عبد العزيز على ليستعمله إسماعيل الفيومى فى قتل جمال عبد الناصر؟ ما هى حكاية السم وكيف دار الاتفاق عليها؟

فصرخت : يا عالم أنتم مجانين بأمر اسمه قتل عبد الناصر!؟ إن كنتم تريدون قتله فاقتلوه وأريحونا ، وعلى كلٍ واجهونى بعبد العزيز على ، واجهونى بالأستاذ حسن الهضيبي !

فقالوا : لا ، سنواجهك أولاً بعلى العشماوى!!

فقلت : على العشماوى كذاب أشر ، وسأبصق فى وجهه لأنه كذاب مأجور . .

فقال شمس بدران : أليس على العشماوى واحدا منكم؟ قلت : واجهونى بالرجال الأفاضل . . عبد العزيز على ، وحسن الهضيبي .

فقال حسن خليل : لا مانع ، سنواجهك بهما!!

وقال شمس بدران : اسمعى ! متى استشرت الهضيبي ليتولى عبد العزيز على زعامة الإخوان المسلمين نيابة عنه؟

فقلت : لم يحصل !

فقال شمس بدران : يا صفوت هات على العشماوى !

ودخل على العشماوى يرتدى الحرير الهفهاف ممشط الشعر ، تبدو عليه آثار
المعاملة الحسنة . . !!

وقال له شمس بدران فى رقة : ماذا حصل يا على ، عندما ذهبتى إلى
الهضيبى وكانت رجلها مكسورة ، ولم تنزل من العربة ، وذهبت أنت لبنت
الهضيبى لتعرف رأى أبيها !

وقال على العشماوى : نعم حصل ، لقد قلت لبنت الهضيبى أن تسأل أباهما
عن ثقته فى عبد العزيز على ، وما إذا كان المرشد يرشحه لتولى الأمر نيابة
عنه . . وعادت وهى تحمل موافقة الهضيبى على ترشيح عبد العزيز على .

فقال شمس : إيه رأيك يابنت الـ . . ؟

فقلت لعلى العشماوى : أنت كذاب ، والحقيقة أنك قلت لى بأن هناك
واحداً من الإخوان تقدم لخطبة حفيدة عبد العزيز بك على ، وهذا الأخ يريد أن
يعرف رأى الهضيبى وأنا كنت خارجة من منزلى دون اتفاق مسبق ، فركب على
العشماوى معى ، وقلت له اننى لا أستطيع الصعود إلى بيت الهضيبى نظراً
لكسر رجلى ، والأفضل أن تذهب معى ، وكان رد الأستاذ الهضيبى إن أسرة
عبد العزيز على لا يسأل عنها ، فهى أسرة مسلمة طيبة ، وعلى بركة الله .

فقال شمس بدران : هل هذه هى الحقيقة يا على ؟

فقال على العشماوى : إن هذه اصطلاحات ياباشا ، والحاجة تعرف هذا
جيداً .

فقلت لعلى العشماوى: أنت كذاب أشر، وهيئتك تفضحك . . الإخوان على الأعواد تقطع السياط أجسادهم، وتنهشهم الكلاب، ويتقلبون فى ألوان من العذاب وأنت على هذه الهيئة . . أنت مأجور رخيص . . أنت عميل كاذب، ولذلك يسمع لك .

فقال شمس بدران: اخرج أنت يا على! . . ثم اتجه إلى وصوته يحمل التهديد: يازينب إننا نمنحك فرصة أخيرة، اشرحى لنا صلة عبد العزيز على بالتنظيم، وما هى الرسائل المتبادلة بين الهضيبى وعبد العزيز على بواسطتك؟

فقلت: أنا مصرة على مواجهة عبد العزيز على والهضيبى!!

قال شمس بدران: خذها ياصفوت، إلى أن نحضر عبد العزيز على والهضيبى .

وخرجت مع صفوت من مكتب شمس بدران، وأوقفنى صفوت ووجهى إلى الحائط ثم أدخلونى مرة أخرى مكتب شمس بدران . غير أنى لم أجد الهضيبى أو عبد العزيز على .

فقلت: أين الهضيبى، وأين عبد العزيز على؟

فقال شمس بدران فى حدة: هل نعمل على هواك يابنت الـ . . ؟ سنحضر من نريد . . ووقت ما نحب . . يبدو أننا سنرجعك إلى أول التعذيب . .

فقلت: ما دمتم لاتستحون من الله، فهل تستحون من الخلق؟!

وقال حسن خليل: يابنت اعقلى . الباشا يريد أن يحولك إلى النيابة . فاعقلى، واعملى لمصلحتك . .

فقلت: نيابة؟! أية نيابة؟ وأنتم من تكونون؟

فقال شمس بدران: إننا نجهزك للنيابة..

نعم التجهيز للنيابة!!!.. الشياط، الكلاب، النار، زلزلة الماء، التعليق على الأعواد كالذبائح، إيلام النفس بأقذر الألفاظ وأفحشها، التجويع، العطش، الحرمان من استعمال دورة المياه فترات طويلة، الذهاب إلى مكاتب التحقيق صباحاً ومساءً مع استمرار أنواع التعذيب، تحطيم الأعصاب بآلات التعذيب.. كل هذه وسائل التجهيز والإعداد للمثول أمام حضرة صاحبة الجلالة النيابة!!

محمد قطب

وفى مكتب شمس قال حسن خليل: إننا نريد يا باشا قبل النيابة أن ننتهى من موضوع تنظيم محمد قطب. ونرى موضوع الولد المدعو الدكتور مسعود!!
فقال شمس بدران كمن عثر على شيء كان قد فقد منه: نعم. نعم تنظيم محمد قطب يازينب.

فقلت: أنا أجبت عن هذا الموضوع من قبل.. لقد قلت إن محمد قطب لم يؤسس تنظيمًا، وإنه كاتب إسلامي وكل عمله أن يبين للناس الطريق الصواب، وأين الدائرة التي يقف فيها المسلمون، وللناس بعد ذلك أن يتصرفوا حسب ما يرون وحسب ما يعتقدون.

فقال شمس بدران: خذها ياحمزة، يبدو أنها تريد أن تعود إلى المياه، والكلاب، والنار والجلد.. و.. و..

وأخذنى حمزة البسيونى إلى حجرة تبعد عن حجرة شمس بدران قليلاً، وأغلقها علىّ ثم انصرف.

وبعد نصف ساعة جاءنى حسن خليل قال: اسمعى يازينب، أنا حضرت إليك لأنصحك، أنا مندهش لأننى أراك تلفين الحبل حول عنقك، كل الإخوان عملوا لأنفسهم، وعرفوا طريق السلامة، لقد ألقينا القبض على مائة ألف، الباقى عندنا الآن عشرون ألفاً. كل واحد من هؤلاء اعترف بالحقيقة، ومن يعترف، يخلى سبيله فوراً، ونصف العشرين ألفا اعترفوا بكل شىء واعتذروا عما فعلوه وقبلنا عذرهم وأخلى سبيلهم. . حتى المرشد حسن الهضيبى، وعبد الفتاح إسماعيل، وسيد قطب، كل هؤلاء اعترفوا واعتذروا. . أنت تعملين لحماية المرشد وهو ألصق بك كل شىء، وعبد الفتاح إسماعيل وسيد قطب كذلك. . أنت تحرقين نفسك من أجل أشخاص كلهم تنكروا لك. أنت لازم تغيرى موقفك. . الرجال عرفوا السلامة وعملوا لها وألقوا المسئولية كلها عليك. . الهضيبى شتمك، سيد قطب شتمك. . عبد الفتاح إسماعيل شتمك، محمد قطب شتمك، سيد قطب شتمك، كل الإخوان شتموك. . إن موقفك محل تقديرنا وإعجابنا، ونحتقر موقفهم، ودعك من سباب الباشا، ومن حمزة البسيونى والولد صفوت.

إننا احتقرنا الإخوان عندما سبوك وازداد احترامنا لك وإعجابنا بك. . خسارة هذه الشخصية القوية تنتهى بهذا الشكل. . شمس باشا مصر على أن يعيدوا التعذيب من جديد من نمرة واحد. . أنا أخذت على عاتقى التفاهم معك لأعود إلى الباشا برأى يخرجك من هذه الورطة. . استرسل متسائلاً:

كنت تتناولين الغداء مع الهضيبى يومين فى الأسبوع أو يوماً على الأقل بانتظام، وهذا باعتراف الهضيبى فى التحقيق، وكنت تحملين الأوامر والتعليمات إلى عبد الفتاح إسماعيل، أرجو أن تعطينا نموذجاً من هذه الأوامر. الهضيبى وعبد الفتاح إسماعيل اعترفا بهذا. سيد قطب عندما خرج من السجن

كنت حلقة الاتصال بينه وبين الهضيبي . . . إننا لانتكلم من فراغ ياست زينب .
كانت فى يده ورقة ينظر فيها ثم يتكلم . . ألقى نظرة إليها ثم استطرد: مثلاً
أموال الجماعة كانت عندك فى البيت فنقلتها إلى بيت الهضيبي . ثم عادت مرة
أخرى إلى بيتك . ثم نقلت إلى بيت الهضيبي ثانية وعادت إليك أخيراً . كل
هذا ذكره الهضيبي فما معنى إنكارك له؟!!

كل الأمور ياست زينب تكشف سرها والناقص هو أن تضعى النقط فوق
الحروف . وطبعاً ستكتبين فى كل هذا وعن أشياء أخرى ، وسنرفع إلى عبد
الناصر ونوضح له أنك تغيرت ثم نحولك إلى النيابة وينتهى التحقيق عند هذا
الحد ، وسيفرج عنك بعد يومين ، ثم يتم تعيينك وزيرة للشئون الاجتماعية .
حكمت أبو زيد مغضوب عليها الآن ، ما رأيك ياست زينب؟! وضغط على زر
جرس صغير فحضر جندى فوراً ووقف أمامه منتصب القامة . فقال له : هات
كوب عصير ليمون ، وأخذ يشرح ويفتح أمامى موضوعات ، موعزاً إلى بالكتابة
فيها .

وعاد الجندى بكوبى ليمون فقال : اتفضلى كوب الليمون ، ثم أمر الجندى
أن يحضر فنجانى قهوة . . واستأنف الكلام وأنا صامتة . . يبدو أنه اطمأن لما
قال ، والتفت إلى الجندى قائلاً : إنت تحت أمر الست زينب ، ثم قال لى :
سنطلبك عند الباشا بعد ساعة وشوفى مصلحتك بقه . .

وجلست إلى المكتب وجرى قلمى على الورق بالآتى : بسم الله الرحمن
الرحيم وأصلى وأسلم على محمد وآله وصحبه ، أما بعد فأحمد الله تعالى
وأشكره وأعجز عن إحصاء الثناء الواجب لجلاله سبحانه وتعالى فقد اختارنى -
بغير استحقاق منى - لأكون على الطريق الذى اختاره لعباده . . طريق القرآن
والسنة ، طريق الحق الذى دعا إليه البشرية كلها بقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ

جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ﴿[يونس : ٥٧]، وبقوله تعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة : ٢١] الحمد
لله الذى أوقفنى تحت مظلة قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ
آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ﴾ [آل عمران : ١٩٣] الحمد لله الذى أوقفنى تحت مظلة قوله
تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾ [التوبة :
١١١] . والحمد لله الذى اختارنى من بين رجال مؤمنين ونساء مؤمنات
واجتبانى بصحبة رجال مؤمنين ونساء مؤمنات لنكون شهداء أن رسالة الله التى
أوقفنا حياتنا على نظرها والدعوة إليها والجهاد فى سبيلها بكل مرتخص وغال
تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ [التوبة : ١١١] وتحقيقاً لقوله تعالى :
﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾

[آل عمران : ١١٠] .

بذلك كله أكرر وأؤكد أننا لازلنا على طريق شهادة أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له وأن محمداً عبد الله ورسوله . . ملتزمين بشطرى الشهادة حفظة
لكتاب الله حافظين لأحكامه وحدوده . . داعين لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [النساء : ١٠٥] حافظين متفقهين فى قوله تعالى
لمحمد بن عبد الله ﷺ ثم لورثته من بعده : ﴿ لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾
فنحن أمناء رسول ، وأمناء دين . .

اللهم اشهد أننا ثابتون على الطريق لا مغيرين ولا مبدلين . فانصرنا على
كل ظالم أشرك بك ، وعطل كتابك وعادى دينك ، وحارب أهل دينك حماة
كتابك وحماة سنة رسولك .

اللهم بذلك أحيا وعلى ذلك ألقاك إن شاء الله . فتقبلنى سبحانه فى أهل التوحيد، أهل الكلمة الصادقة، أهل خشيتك والحياء منك .

اللهم ارزقنى الحب فىك والبغض فىك والجهاد فى سبيلك .

هذا هو طريقى إليها الناس فافعلوا ما تريدون وكما تشاءون .

سأعود إليه على بصيرة فلا تجهدوا أنفسكم لترموننا فى نقائصكم وتغمسوننا فى ظلمات فجوركم وشرككم بالله ، ومحاربتكم للإسلام وأهله . إنا براء منكم ومما تعملون . . إنا مقاومون لباطلكم حتى نلقى الله» .

إمضاء (زينب الغزالى الجبلى)

ودخل حمزة البسيونى وقال: أيوه يازينب!! إن شاء الله يكون ربنا هداك وعرفت مصلحتك!! زوجك رجل طيب . . الحاج سالم صديقى . . إنه رجل على خلق . . أنا لا أعرف كيف وقعت فى براثن الإخوان المسلمين . . على فكرة! هل انتهيت من الكتابة؟ فناولته الأوراق .

فقال: تعالى معى عند الباشا . . وذهبنا إلى مكتب الباشا شمس بدران!! قال شمس بدران: اجلسى يازينب، اطلبوا ليموناً وقهوة لزينب!! أخذ الورق وشرع يقرأ، وأخذت قسماً وجهه تترجم إحساسه وشعرت أنه يكاد ينفجر!!

وخرجت سهام نارية من عينى شمس بدران إلى حمزة البسيونى ومن معه . وقال وهو يضغط على الألفاظ: ما هذا؟ ألف سوط ياصفوت . البنت سخرت منا كلنا . . أين كنت يا حمزة أين كنتم جميعاً؟ . . فانهالت السياط كالعادة وألقى الأوراق إلى الأرض واستطرد: البنت سخرت منا . لعبت بعقولنا كلنا يا حمزة . . إنها أكثر من خطيبة على منبر . . يابنت الـ . .!!

جمع أحد الضباط الأوراق المبعثرة فى الحجرة وقرأ منها سطوراً وقال: إيه

القرف ده هو أنت إيه . . افعل معها ماشئت ياباشا . أوقفوا الشياط وحكموا على بقراءة الأوراق . وقال أحد الجالسين : انظر بنت الـ . . خطيبة وكاتبة وضيعت نفسها ومستقبلها . . يابنت الـ . . إنها تستحق أكثر مما وقع لها ، وأمر شمس بدران بتعليقى وجلدى !!

قدمای ممزقتان ملفوفتان بضمادات . . وكل موضع فى جسمى استوفى نصيبه - وفوق نصيبه - من الشياط ومن ألوان العذاب الأخرى . ورغم ذلك رفعتى الزبانية على التعليقة كالذبيحة ، وانهاالت الشياط المجنونة تنفذ أمر الباشا المحموم !!

وانبثق الدم من الضمادات فأمر الطبيب بإنزالى . . رمونى أمام حجرة شمس بدران مايقرب من الساعة ، ثم حملونى على نقالة إلى المستشفى . .

جاء مراد وحمزة البسيونى وقالوا فى جاهلية الجاهلين : قرر الأطباء أن الموت قاب قوسين منك أو أدنى ، ولكن لابد أن تذهبى إلى المحكمة لتسمعى حكم الإعدام بأذنيك وتجننى ثمرة ما زرعت . إننا سنرسلك إلى النيابة غداً ، واعلمى أنك إن لم تستجيبى لكل ما تقرره النيابة ، ستعودين لنا مرة أخرى . ثم نادى حمزة . . صفوت وقال له : باكر خذها النيابة الساعة ٩ !! وانصرفوا . .

النيابة !!

لقد مررت بكل درجات التعذيب درجة درجة ، من الجلد بالشياط المجنونة كألسنه اللهب إلى نهش الكلاب المدربة ، إلى زنزانة الماء ، إلى زنزانة النار ، ثم تكررت عملية الجلد والصلب والتعليق على الأعواد كالذبائح ، إلى عذاب يحطم الأعصاب والأرواح .

وجاءت النيابة ، لتستكمل المهزلة فصولها ، ويعاقب المظلومون فى ظل العدل وسيادة القانون . . !!

دخلت خيام المحققين من رجال النيابة!!

وإنهم جميعاً لمخطط واحد ينفذون!! فى خيام التحقيق كان التهديد مستمرا من المحقق الذى يطلب من المتهم أن يوقع على ما يسجل من زور وبهتان فى أوراق التحقيق تحت نظر وسمع كبار القضاة والمستشارين المنتدبين للإشراف على التحقيقات .

والحق أن كل شىء فى هذه الأمة يمتهن ويمسخ ، كل ما فيها ومن فيها . حتى رجال القانون ورجال القضاء الذين روى التاريخ نزاهتهم فى كل عصر وكانت شجاعتهم فى الحق مضرب الأمثال ، رأينا بعضهم فى السجن الحربى مسخاً مشوهاً وباطلاً مزوراً ، يكذبون فى شجاعة ويسجلون الباطل ويدافعون عنه بجرأة . يهددون المتهم إذا لم يوقع على مايسجلونه ويقر بكل ما يكتبونه ، بالعودة إلى مكاتب التحقيق بالسجن الحربى!! نظر وكيل النيابة إلى وضامات الشاش تغلف قدمى ويغلف نفسى إعياء وضعف . . لا يكاد صوتى يخرج من بين شفتى . . ووكيل النيابة يجلس خلف جبل من الدوسيهات . . أمامه أوراق مكتوبة . سكرتير النيابة جالس إلى مكتب صغير وأمامه كومة من الأوراق البيضاء ويده قلم مستعد لتنفيذ الأمر . . أملى عليه وكيل النيابة اسمى ، وسنى ومكان مولدى وسكنى .

والتفت إلى وكيل النيابة بوجه جامد ثم قال : يازينب ، فى هذه الملفات والدوسيهات أقوال الإخوان المسلمين كلها ، وواضح فيها موقفك جيداً ، سأترك أقوالك فى المكاتب ، وأريد الحقيقة منك أنت وهذه حقيقة قالها حسن الهضيبى ، وقالها سيد قطب ، وقالها عبد الفتاح إسماعيل وقالها جميع الإخوان . . أريد يازينب أن تتخلى عن عنادك وألا تضيعى وقتنا فيما لايفيد . . والأمر بسيط جداً أعادتك إلى المكاتب مرة أخرى!!

وأخذ يوجه إلى الأسئلة وأنا أجيب لكننى لاحظت عجباً!! كنت إذا أجبت على سؤال ببضع كلمات أجده يملأ صفحة كاملة على أنها إجابة منى!!
أثارنى ملاحظته فقلت لوكيل النيابة المحقق: ماذا تكتب يا أستاذ قناوى؟
إننى أجبت عن سؤال واحد فى كلمات قليلة..

فقال: إننى أساعدك لأن كل كلمة منك ستعرض على سيادة رئيس الجمهورية، كلامك أنت بالذات طلب أن يعرض عليه يومياً!! فقلت: هذا أمر لايهمنى فى قليل أو كثير، إنما ما أهتم به، ألا يكتب باسمى إلا ما أقول.
فقال: سأقرأ عليك فيما بعد كل شىء.

وقلت فى هدوء: ومبا الداعى ما دمت تكتب من عندك، لا داعى لأن أتكلم وليكتب كاتب النيابة ما تريد؛ على أن يكون فى علمك أننى لن أعترف إذا كان هناك محاكمة، إلا بالذى أقوله أنا لك..!!

وعاد إلى سؤالى، قال: أنت قلت: عبد الناصر كافر وحكومته كافرة والمجتمع كافر أيضاً.

قلت: نحن لا نكفر أهل القبلة.

قال: ومن هم أهل القبلة؟

قلت: الذين يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم يلتزمون بما جاء به رسول الله ﷺ من عند ربه.

قال: أريد أن تشرحى صفات أهل القبلة.

قلت: «الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويصومون رمضان ويحجون البيت إن استطاعوا إليه سبيلاً، ويلتزمون بأحكام الكتاب والسنة، ولا يشرعون

من عند أنفسهم ولا يحكمون بغير ما أنزل الله» .

قال : هل تعتبرين جمال عبد الناصر وحكومته والمجتمع من أهل القبلة؟

قلت : عبد الناصر نفسه لا ؛ لأنه حاكم يستطيع أن يحكم بكتاب الله لو أراد إلا أنه عمل على تعطيله فهو يشرع للناس من عنده ، ويعطل كتاب الله .
وقد قال عبد الناصر صراحة : إنه لا يقيم حكومة دينية .

قال : أنا أريد أن تقولى لى بصراحة : عبد الناصر والحكومة كافرين ولا رأيك فيه؟!!

قلت : لقد أجبت ومن شاء أن يعلم حقيقته مع الله فليعرض نفسه على كتاب الله .

وكان المحقق قد كتب حوالى خمس صفحات فولسكاب ، ثم عاد يسألنى
سؤالاً آخر قال : أنتم كنتم تريدون قتل أم كلثوم وعبد الحليم حافظ؟!!

قلت : إن المشغولين بالدعوة لدين الله وعودة الأمة الإسلامية إلى حياة الناس لا ينشغلون بهذه الأمور السخيفة . يوم يعود المسلمون لدينهم عودة يقظة وعودة حقيقة ، فستنتهى كل هذه الرذائل وستتخلص الأمة من هذا التسبب المقيت . ومن عبادة الشيطان فى هذه الصور المختلفة التى فتنت الأمة وانهارت بها هذا الانهيار الذى جعلها غثاء كغثاء السيل .

كان وكيل النيابة محمد القناوى يسمع منى كلاماً ويكتب غيره ، أو يحرفه ، أو ينقل كلاماً آخر من الملفات المرصوفة أمامه . وهكذا كانت خيمة النيابة على هذا النمط الغريب العجيب عشرة أيام . وكان المستشار محمد عبد السلام يتردد على الخيمة ويسأل القناوى عن الوضع ويقول له : ابذل جهدك . . وينصرف . .
وفى الخيمة قلت للقناوى : إنى أرى شيئاً عجيباً ؛ أرى رجال القانون والقضاء فى

غابة يتعايشون مع وحوشها، يلقون عن أنفسهم ثياب القضاء ويرمون من فوق أكتافهم أردية القانون والعدل.

قال: نحن نحرص على تخليصك وإنقاذك من الإخوان، ليس لك بعد أقوال الهضيبي وسيد قطب وعبد الفتاح إسماعيل إلا شيء واحد هو الإعدام وما رأيك في كلام الهضيبي وسيد قطب وعبد الفتاح إسماعيل؟

قلت: أنتم تخلقون عليهم الكذب وهؤلاء هم طليعة الجماعة المسلمة.

قال: أنت لا تقولين الحقيقة.. وتكذبين.

قلت: أكذب على من؟

قال: على الحكومة وعلينا نحن رجال النيابة.

قلت: أنت مصدق أنك من رجال النيابة ومن رجال القانون؟

قال: سأقفل التحقيق وأعيدك إلى مكاتب التعذيب.. وبعد ذلك تحضرين لنا مرة أخرى.

وطلب قهوة وبعدما شربها قال: إيه يا زينب؟ أتريدين الرجوع إلى المكتب؟ إن عبد الناصر مستعجل أوراقك ليطلع عليها..

أمرنى بالتوقيع على ما كتب، فرفضت، فأعادنى إلى المكاتب، وجلدت من جديد وأعادونى ثانية إلى التحقيق.. وانتهت مهزلة التحقيق ولكن..

الجولة الثانية مع النيابة

بعد يومين طُلبت للنيابة مرة أخرى. وهناك وجدت عدداً من الشباب أفناهم التعذيب وكساهم ثوب عذاب.

فسألنى قناوى: متى التقيت بهم، ومتى تعرفت إليهم، وماهى أسماؤهم؟
وأنظر إلى الشباب وأقول سائلة: متى رأيتمكم؟ هل التقيتم بى حقاً؟ هل
تعرفوننى قبل اليوم؟ ما أسماؤكم؟

ويصرخ وكيل النيابة معترضاً مدعياً أننى أواجههم بأسئلتى، فأرد عليه طالبة
منه أن يسألهم متى التقوا بى لا أن يسألنى متى التقيت بهم؟

ويسألهم الواحد بعد الآخر وتكون الإجابة واحدة: لم نلتق بها.

فيقول القناوى: ولكنكم قلتم فى التحقيقات إنكم التقيتم بها.

يجيبون: تحت سياط التعذيب كنا نقول أى شىء.

ثم نعاد جميعاً إلى المكاتب!! مكاتب التعذيب!!

عشرات وعشرات المرات عرض على الشباب الصابر ما بين خيام النيابة
ومكاتب الألم والعذاب والقهر..

عودة إلى المكاتب

لقاءات جديدة فى مكاتب شمس بدران وأعوانه.

كانوا يأخذوننى ليلاً إلى مكتب شمس بدران أو أحد زبانيته، يهددوننى
أولاً بإعادة التعذيب، ثم يعرضون على شباباً فى سن الزهور ورجالاً وشيوخاً
ويسألوننى متى التقيت بهم؟

ويكون الجواب: من هؤلاء الذين تسألوننى أين التقيت بهم، ومتى؟
اسألوهم هم إن كانوا قد التقوا بى! اسألوهم إن كانوا يعرفوننى!

وتنتهى المواجهة بصورة جديدة من التعذيب: كالوقوف فى مكان مظلم وأحد العساكر خلفى يضرب بالكرباج على الأرض ويأمرنى أن أستمر فى خطوة «مكانك سر»، فإذا بلغت الإعياء ولم أستطع الاستمرار فى تلك الحركة، وأقدامى ممزقة ومربطة بأربطة الشاش، ضربت عشرة أو عشرين سوطاً على جسدى كيفما اتفق... ثم إلى زنزانة المستشفى!

وسأضرب أمثلة للتعذيب بعد انتهاء النيابة من التحقيق لتعرفوا ماذا كان عبد الناصر وماذا كان أنصاره وأعوانه.

١ - التعذيب

أخذونى فى منتصف ليلة من لياليهم السوداء إلى مكتب مجاور لمكتب شمس بدران، كان يجلس فيه أحد شياطينه «جلال الديب» الذى أخذ يسألنى...

قال: اشرحى يازينب ياغزالى اتصالاتك بخالدة الهضيبى وأحمد ثابت زوجها وما دورهما فى التنظيم؟

قلت: نشاط خالدة الهضيبى معى كان محصوراً فى مساعدة أسرى المسجونين.

قال: أى نوع من المساعدات؟

قلت: مساعدات مالية أو عينية، وشرحت له نوعية العينية - بعد سؤاله - أنها كالأقمشة والدقيق والقمح والأرز والسمن والفاصوليا.

وعاد يسألنى عن زوجها أحمد ثابت. ولما أوضحت له أنه لم يكن له من عمل إلا الحضور إلى المركز العام للسيدات المسلمات ليوصل الأشياء التى أرسلها لخالدة لتسلمها للأسرى - دون أن ينزل من العربية - رفض تصديقى

وأسلمنى إلى صفوت فأوقفنى ليتصرف، وتصرف صفوت فأوقفنى ووجهى للحائط مكرراً السؤال عن صلة خالدة وزوجها بالتنظيم. ولما مضت ساعة دون أن أغير من موقفى بدأ يهددنى بالكلاب وبالضرب وأصررت على أقوالى. ودخل حمزة البسيونى فطلب منه جلال الديب أخذى إلى الكلاب.

وأخذونى إلى حجرة مظلمة وأدخلوا كلباً معى وتركونى أكثر من ساعتين مع الكلب ثم أعادونى إلى المستشفى.

وفى الليلة الثانية أعادوا استجوابى عن علاقة خالدة وزوجها بالتنظيم وأصررت على موقفى السابق، وتركنى جلال الديب فى الغرفة، وخرج ليرسل لى صفوت فيضربنى بقدميه وييديه حيثما اتفق، ثم يغلق على الحجرة ويخرج ليعود بعد ساعتين فيعيدنى إلى المستشفى!

٢- المال

ومرة أخرى طلبونى لمكتب شمس بدران وقال شمس:

لقد أتينا بالزينى من غزة. وقد تعرف عليه المرشد ومأمون الهضيبى. وهو الذى أتاك بالمال وإذا لم تتعرفى عليه سنرجعك للتحقيق من الألف للياء! إنتِ فاهمة؟ والمهم يا بنت يا زينب أن الزينى قد اعترف.

وأخذونى إلى حجرة وجدت فيها رجلاً فى صورة لا يمكن معها أن يتعرف عليه أحد، وأخرجونى وأعادونى إلى شمس.

وقال شمس: من هذا؟ قلت: لا أعرفه.

قال: لقد تعرف الكل عليه... إنه صادق الزينى، يا بنت ال...

وتدخل جلال الديب ليطلب من شمس أن يسألنى عن المال لأى غرض هو؟ وسألنى شمس وأجبتة بأنه للأسر: للأكل، للكساء، للتعليم، للعلاج. للأسر الأسود خلف قضبان سجونكم.

وجن جنون شمس فصاح بحمزة: خذها وألقها للثعابين لا للكلاب.

وخرجت مع حمزة وصفوت، وأخذونى إلى المستشفى وطلب حمزة كرسيًا فجلس عليه ثم قال:

إنت صعبانة على يا زينب، لن آخذك إلى الثعابين، قولى لى لأى غرض كان المال؟

قلت: لقد حققتم معى بخصوص هذا الموضوع.

وكان جلال الديب قد وصل ليسأل: هل اعتدلت أم لا؟

وكان جواب حمزة: اتركها لى يا جلال يبدو أنها اشتاقت للكلاب.

الكلاب! لقد كانت فى نظرى أرق منهم شعوراً وأسمى وأكثر إدراكاً. كنت كلما حبسونى مع الكلاب أحسست عمق بشاعتهم ويزداد احتقارى، وأصبح الأمر لا يشغلنى كثيراً. بل أصبحت أفضل أن أظل مع الكلاب على أن أبقى ثوانى مع شمس أو حمزة أو جلال..

وذات ليلة أخذونى إلى مكتب شمس بدران بعد العشاء وجلدوني لا أدرى كم، ولكنى أغمى على، فأسفونى بالحقن وأعادونى إلى المستشفى وبعد ثلاثة أيام أخذونى ثانية إلى مكتب شمس بدران الذى أقسم برأس عبد الناصر إنه سيعيد تعذيبى من رقم ١ إلى رقم ٣٤ إن لم أجب بصراحة على ما يوجه إلى من أسئلة.

وكانت هذه الأرقام قد مرت على بصنوف من التعذيب مختلفة الصور،
متعددة الألوان .

وابتدأ حديثه بقوله : يا بنت يا زينب ، أنا سأذكر لك حادثتين حصلوا معك :
حادثة فيها محمد قطب وزوجة الهضيبي وأخوات محمد قطب ، وحادثة فيها
على عشاوى ومأمون الهضيبي .

وينقول لك إن هذه الحاجات اعترف بها حسن الهضيبي وزوجته ومحمد
قطب . . راح تكدينا لكن من أين كنا سنعرفها؟ . . الحادثة التي فيها على
عشاوى ستقولين : إن على كذاب . . لكن الثانية ليس فيها على . .

قال شمس بدران : فى يوم كلمت محمد قطب ونزل لك من حلوان
بالليل ، فأعطيته مصاغك وخمسمائة جنيه ، وقلت له : الخمسمائة جنيه سلمهم
للوالدة «تقصد حرم الهضيبي» ومصاغى هذا أنا متبرعة به لأسر الإخوان،
خذهم يا محمد . . أعطهم للست الوالدة فى الوقت المناسب .

قلت : نعم ، هذه الحادثة حصلت وما الذى يصيبني فيها؟ مصاغى أتبرع به
كما أشاء ، وقد تبرعت إلى أكرم وجه للخير ، لجماعة الإخوان المسلمين إعانة
للأسر . أما المال فقد كان للإخوان وكان على أن أردّه لأصله عندما أخشى
عليه .

قال شمس : الخمسمائة جنيه كانوا للتنظيم لا للأسر .

قلت : لا ، للأسر .

قال : على عشاوى قال : إنها للتنظيم .

قلت : على عشاوى كذاب .

قال: محمد قطب قال إنه لا يعرف الغرض من الخمسمائة جنيه. لكن أنت بعثت بها مع المصاغ وقلت له: أعطها لحرم الهضيبي.

قلت: واجهوني بمحمد قطب. لقد قلت له: إن الخمسمائة جنيه مساعدة للأسر.

قال: طيب، وكيف جاءت هذه الخمسمائة جنيه؟

قلت: فى يوم جاءني على عشماوى يطلب منى ورقة لأخ من السعودية ليتمكن من مقابلة المرشد أو مأمون، وأفهمته أن الأخ مأمون لا يحتاج إلى واسطة وأن المرشد فى الإسكندرية، إلا أن مأمون موجود وبإمكانه أن يقابله. وعاد إلى عشماوى بعد ذلك وقال لى: إن هذا الأخ قابل مأمون وتبرع بهذا المبلغ وإن مأمون طلب منه إعطاء المبلغ للحاجة زينب الغزالي، فكلف الأخ الذى من السعودية - حسب رواية على عشماوى - أن يوصل على عشماوى المبلغ إلى وأن المبلغ مساعدة للأسر.

قال شمس بدران: المبلغ لم يكن للأسر، لأن محمد قطب قال ذلك.

فقلت مؤكدة: إننى وحدى القادرة على تقرير الحقيقة، وإنه لابد أن يكون الأمر قد التبس على الأستاذ محمد قطب إن كان قد قال ذلك.

قالوا: سنعيدك للتعذيب.. هتكلّمى ولا ياخذك صفوت؟!!

قلت: واجهوني بمحمد قطب.

ولما واجهوني بالأستاذ محمد قطب، قال: إننى سلمته المال والمصاغ ليوصله إلى الوالدة، وحاولت أن أذكر حضرته بما قلته له من أن المبلغ كان للأسر وكان عندى أمانة، لم يستطع أن يتذكر، إلا أنه قال: ما دامت الحاجة متأكدة أنها

قالت لى هذا فإن قولها صحيح .

وأوقفونى إلى الصباح ووجهى للحائط ثم أعادونى للمستشفى .

وبعد يومين أخذونى إلى مكتب شمس بدران الذى بادرنى بقوله : نحن نريدك يا زينب أن تعترفى بالتنظيم الذى كان محمد قطب قد أسسه .

وأجبت : لقد سئلت من قبل فى هذا وأجبت بأن محمد قطب لم يؤسس تنظيماً .

فقال لصفوت : علقها يا صفوت !

وعلقنى صفوت وجلدونى على قدمى ! . .

ثم أخذت لمكتب مجاور لمكتب شمس بدران ، وقال لى رجل من رجاله - لا أعرف اسمه - كان يجلس بجانب حسن خليل دائماً :

يابنت يا زينب : إنت عبيطة ! أنت لا تعرفى تخلصى نفسك؟! الإخوان كذبوا عليك كثيراً ، فلماذا لاتفاهى معنا وتعطينا بعض المعلومات عن محمد قطب؟ ونحن سنحفظ لك هذا الجميل ونبدأ نتفاهم معاك!

قلت : كيف أتفاهم معكم؟ أنا أحتقر طرقكم وباطلكم! أنتم عملاء للشيطان ، لن تستطيعوا أن توقعوا بيننا نحن عباد الرحمن ! نحن لا يصدق الأخ منا فى أخيه شيئاً مهما حاولتم الوقية والدسيسة . . أريحوا أنفسكم .

قال : سنعيد التعذيب من جديد . وستحقق النيابة معك مرة أخرى .

قلت : النيابة منكم وأنتم منها . . أنتم جميعاً لاتعرفون طريق الله . أنتم من الضالين المغضوب عليهم . .

ودخل حمزة البسيونى وفى يده ورقة وضعها أمامه وسأله : هى لسه مغلباك
يا باشا؟

وخرج حمزة وأبتدأ هو يتكلم فى موضوع محمد قطب ثانية .

وخرج وجاء صفوت وضربنى بالسوط حيثما اتفق ثم خرج ووجهى
للحائط . . بعد ساعة تقريباً دخل شيطان آخر يشرح لى ما سترتب على
تعاونى معهم بإعطائهم معلومات عن التنظيم الخاص بمحمد قطب من نتائج فى
صالح زوجى وأشقائى وصالحى شخصياً .

ولما لم يتغير موقفى أخذونى إلى حجرة الكلاب .

وفى هذه المرة كان مع الكلب فى الزنزانة رجل قال له حمزة البسيونى : إن
لم يأكلها الكلب فكلها أنت يا ولدا ! وأغلقت الزنزانة لساعتين لم أكف فيهما
عن قول «حسبنا الله ونعم الوكيل» أما الرجل والكلب فكان خرساً لحق بهما
حتى فُتح الباب وأُخذت إلى المستشفى .

وفى اليوم التالى أُخذت إلى مكتب رياض إبراهيم الذى سألنى عنى قابلت
من كرداسة .

أجبت : أنا لا أعرف شيئاً عن كرداسة هذه .

قال : ألم يقابلك أحد منها أبداً؟

أجبت : لا . . فذكر أن أحمد عبد المجيد من كرداسة .

ثم قال مهدداً بأنه ذاهب إلى الباشا ليرسل لى من يتفاهم معى وخرج .
ودخل عسكرى أمرنى بالوقوف وأن أدير وجهى إلى الحائط وضربنى على
ظهرى بالسوط !

وبعد مرور وقت طويل أخذونى إلى المستشفى .

كل هذا أيها القارئ العزيز بعد تحقيق النيابة .

وبعد أيام طلبونى لمكتب رياض - ثانية - وواجهنى بسيدات لم أرهن من قبل ، وسألنى عن تكون زوجة السيسى من بينهن قلت لا أعرفها ، وإذا بهم بلون شاباً صغير السن والعسكرى خلفه بالسوط ويسألون : أين هى زينب الغزالى ؟ فنظر الشاب وقال : لا أعرف . ولما سألوه ثانية عن زوجة عباس السيسى أجاب ثانية : لا أعرف . فسألوه عن قابله من السيدات الموجودات فأجاب : لم يقابلنى أحد ، فأخرجوه كما أدخلوه بالسوط يلسع ظهره .

ثم فوجئت بحميدة قطب تدخل وخلفها صفوت . وسألوها عن زوجة السيسى قالت : « لا أعرفها » .

ثم أخرجوا السيدات الأربع وأخرجوا حميدة وبقيت مع رياض .

قال : اسمعى يا بنت يا زينب . . ألا تعرفين واحداً من الإخوان متزوجا من أربعة ؟

قلت : لا . .

قال : هل تعتقدين أنى أقول لك فزورة ؟! هناك واحد من الإخوان متزوج أربعة . إن لم تقولى من هو ستُضربين .

قلت : افعل ما تشاء .

أمروا أن أضع وجهى فى الحائط وقام وضربنى عدة كراييج وتركنى فى الحجرة وخرج . . وبعد ساعتين عاد ومعه صفوت الروبى الذى أخذنى إلى المستشفى .

علبة اللحم المفروم!

قرر الأطباء أن حالتى الصحية متدهورة، وإن لم يسمحوا لى بأكل من المنزل فإن حياتى يخشى عليها، ولا أستطيع الذهاب إلى المحكمة. فسمحوا لى بدخول الأكل وكان عبارة عن فاكهة ولبن زبادى فقط.

وفى يوم احتالت أختى لتدخل لى لحماً، فأفرغت علبة لبن جافة وملأتها لحماً مفروماً وأدخلتها على أنها لبن جاف. ولم يكشفها أحد حتى أنا. وكان معها بعض الزبادى والبرتقال. وأخذت نصيبى وأخذ عبد المعبود التمرجى يوزع الباقي على الإخوان المرضى فى المستشفى. وكان معنا الأستاذ عبد العزيز على - وزير البلديات السابق - وكنا نتقاسم كل واحد برتقالة وكل اثنين سلطانية زبادى. وبعد التوزيع ناديت الممرض ورجوته أن يوزع هذه العلبة على الإخوان، كل واحد كوب لبن، فخرج بها ثم عاد إلى مرة ثانية وهو يقول: هذا ينفعك أنت يا حاجة، دى فيها لحم مفروم، فرجوته أن يوزعها: كل واحد يأخذ ملعقة.

ففعل وعاد وفى العلبة اللحم المفروم، ورجوته أن يوصله إلى الأستاذ عبد العزيز ومعه علبة زبادى، وسأل عبد المعبود لم أختص بهذا؟ فأجبت من زنزانتى:

الحمد لله الذى يرزق عباده! فأجابنى: الحمد لله، إنه هو الرزاق ذو القوة. ولما انصرف الممرض سألتنى: كيف صرح بدخول الطعام؟ وأوضحت له ما فعله الطبيب ونصحته أن يطلب من الطبيب أن يدخل له طعام. وطلب فعلاً من الطبيب.

وكان الإخوان يدخرون من ضروراتهم القليلة ما يعاونون به إخوة لهم تمزقت أجسامهم من التعذيب، فهم يحتاجون إلى غذاء خاص وعناية خاصة، مما جعلنا نفرح لأى شىء يصلنا من الخارج؛ ولو كان ذلك شيئاً عادياً فى حياة الناس.

التجويع حتى فى المستشفى!

مر ما يقرب من عام على اعتقالى ولم يسمح لى بالأكل من الخارج إلا قبل المحاكمة بثلاثة أشهر؛ خوفاً من أن أموت قبل أن يحاكمونى بأباطيلهم وزورهم. وتلك كانت طريقته فى الحياة: الخداع والزور والبهتان.

أبشع من هذا ما عرفته بعد ذلك عندما زارتنى أختى ووالدتى قبل المحاكمة بأيام وقالت لى: إن صفوت الروبى كان يطلب منهم فى الأيام الأولى لاعتقالى أكواماً من الطلبات من الأدوية والفاكهة والملابس. وكان يشترط أن تكون الملابس جديدة.

لقد كانت خطة مدبرة لاستنزاف قدراتنا - معاشر المجاهدين - بإرهاق أسرنا فى الخارج.

أرادوا أن يقولوا للناس الذين سيسمح لهم بدخول محكمتهم: إن معاملتنا للمتهمين على أحسن ما يرام بدليل أنهم بصحة جيدة وأن الأكل دخل لهم من الخارج وهكذا من مفترياتهم التى لا تنتهى..

أما التعذيب والتنكيل والتهديد فحدث ولا حرج، وإن لم يكن فيما ذكرته الكفاية مما لقيت فإننى سأضرب لك - أيها القارئ - بعض الأمثلة على ما كان يعانيه المسجونون من الجوع وخاصة المرضى.

ذات يوم دخل شاب من الإخوان، جسمه ممزق من التعذيب، وحضروا به إلى المستشفى لعلاجيه وأخذ الطبيب يبحث عن قطعة سكر. ولكنه لم يجد فى المستشفى وسمعت الهرج والسؤال عن قطعة السكر. فطرقت باب زنزانتى ولما فتحوا رجوتهم أن يأخذوا برطماناً صغيراً كان به عسل نحل جاءنى مع الطعام من الخارج، أخذ الممرض العسل وأمره الطبيب أن يعطى ملعقة للمريض.. وهذا يحدث بطبيعة الحال بعيداً عن أعين الزبانية؛ فمثل هذا من المنوعات فى المستشفى!!.

ومرت الأيام. ووصلت بهم الحال إلى تعذيبنا بمنع الماء عن المريض. فيظل طوال الليل لا يشرب نقطة ماء - ونحن فى أشهر الصيف - حتى أصبح الحصول على نصف كوب ماء من المعجزات، وكنت مريضة جداً وحالتى الصحية سيئة، فسمحوا لى بدخول بعض الماء، وكان بجوارى أخ كريم فى الزنزانة المجاورة فكنت أقسم معه هذا القليل من الماء، ولن تصدق أيها القارئ إذا ذكرت لك الطريقة التى كنت أوصل بها الماء إليه، لن تصدق أننى كنت أضع الماء فى كيس نظارتى وأناوله إياه من فرجة بين الحائط الورقى وجدار الزنزانة، ليطفىء ظمأه ولو قليلاً!

كان جسمه ممزقاً من سياطهم وكان أحوج ما يكون إلى هذا القليل!..
لقد تفنن الظالمون فى وسائل التعذيب.. لم تبق طريقة قديمة أو حديثة إلا استعملوها وأضافوا إليها..

.. وتاب الوحش

وسأقص عليك، أخى القارئ، قصة حدثت وأنا بالمستشفى تجعلك تزدد يقيناً بأن فى هذا الشعب خامات طيبة وقلوباً طاهرة؛ لو وجدت التوجيه السليم

لآت ثمارها وعبدت ربها، ودافعت عن عقيدتها بكل ما تملك من جهد ومال . .

كان معنا فى المستشفى عسكرى ممرض اسمه: صلاح وكان مكلفاً بإعطاء الحقن للمرضى ومراقبة الزنزانات. وذات يوم كنت ذاهبة إلى دورة المياه وإذا بالهواء يرفع بطانية كانوا يستعملونها باباً لزنزانة الأستاذ الإمام الشهيد سيد قطب، لأنها كانت بغير باب خشبى، وتصادف مع رفع البطانية مرورى أمام الزنزانة، وقامت الدنيا فى المستشفى، كيف تحدث هذه الجريمة البشعة، وترى زينب الغزالى سيد قطب وهو جالس فى زنزانتة! وقام المدعو صلاح يشتم ويسب. ومما زاد الموضوع بشاعة أن صفوت الروبى كان داخلاً إلى المستشفى فى هذه اللحظة فأراد العساكر أن يثبتوا له أنهم حريصون على تنفيذ الأوامر، ولا يسمحون لأحد أن يرى أخاه؛ ولو كان ذلك صدفة بسبب بطانية رفعها الهواء!

كان صلاح أشبه بوحش كاسر لا إنسانية ولا عقل ولا دين، وكان الأستاذ سيد قطب يلاطفه ويخبره بأنه لا دخل له ولا ذنب فى رفع البطانية، وظل يكلمه بكلام هادئ حلو حتى جعل هذا الوحش يلين ويستحي ويسكت . . ثم يأتينى بعد أيام نادماً يقول: إنه يريد أن يسلم من جديد، ويسألنى ماذا عليه أن يعمل حتى يكون مسلماً صحيحاً . .

وسألته: هل تستطيع أن تحتل مثل ما ترى مع الإخوان؟

قال: إذا أسلمت إسلامهم فسيصبرنى الله إن شاء ويقوينى.

سألته تقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله؟

قال: نعم، ثم ردها أمامى . .

فقلت: إذن، لاتفعل إلا ما يأمرك الله به ولا تطع أمر الطواغيت من البشر؛ مادام ذلك فى معصية الله.

قال: أنا أريد أن أفهم الإسلام الحقيقى، الإسلام الذى جعلكم تتحملون كل هذا العذاب بصبر لا يستطيعه بشر.

فطلبت منه أن يرجو الأستاذ سيد قطب أن يفهمه الإسلام حين يذهب إليه ليعطيه الحقن وأرسلت معه تحية للأخ العزيز...

وقرب موعد المحاكمة

وانقضت أيام، وجاءت عريضة الاتهام بموعد المحاكمة، وكانت مهزلة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، ولقد أخبرونا أن الأحكام فى درج شمس. وقد حرمونا حق الدفاع ومقابلة المحامين، فحين طلبت انتداب الأستاذ أحمد الخواجة قيل لى: إنه ممنوع من الدفاع فى هذه القضية.

فقلت: إذن لا أريد محامياً، سأدافع أنا عن نفسى.

فانتدبوا لى محامياً مسيحياً ليتولى الدفاع عنى وصرحوا لأهلى بزيارتى قبل المحاكمة. فجاءت والدتى وأختاى اللاتى كدن يغمى عليهن لما رأين من تغير صورتى وضعفى الشديد، وشجعتهن وجلست معهن، ومعنا صفوت وحمزة البسيونى مشرفين على الزيارة. وطلبت من أهلى ألا يوكلوا محامياً عنى، ولكنى علمت منهم أنهم واكلوا الأستاذ حسين أبو زيد واتفقوا معه على ألف جنيه نصفها قبل المحاكمة.

فأوصيتهم بعدم إنفاذ الاتفاق، إلا أنى فوجئت يوم المحاكمة بالمحامى حسين أبو زيد يدافع عنى. وفى مساء اليوم السابق للمحاكمة أخذت إلى مكتب

شمس بدران الذى قال لى : المطلوب منك ألا تعترضى على أى شىء جاء فى التحقيقات ، وأن تصدقى على كل كلمة وردت فى الأوراق ، وإذا اعتذرت إلى المحكمة بأن الإخوان خدعوك وأظهرت ندمك على ما فعلت فإن المحكمة ستخفف عنك الحكم . .

إياك أن تعترضى على أى كلمة جاءت فى التحقيقات ، نحن نريد أن نخدمك . فإذا قررت أنك تبرئين من الإخوان المسلمين وأنهم خدعوك فإننا سنخدمك خدمة عظيمة .

قلت له : «يفعل الله ما يشاء ويختار . ما كان لهم الخيرة من أمرهم» .
قال : كلمينى بالعربى . . ما «ترطيش» . . أنا لا أفهم ما تقولين . . الظاهر أنك لاتنوين الخير ، نحن نريد أن نخدمك .

قلت له : «وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين» .

قال : خذها ياحمزة وهى حرة تفكر فى مصلحتها أولا تفكر .

قال حمزة : اتركها يابيه ، أنا سأفهم معها .

وخرجت من مكتب شمس بدران إلى مكتب مجاور له ، وأخذ حمزة البسيونى يقنعنى بأن يكون موقفى فى المحكمة البراءة من الإخوان المسلمين ، ويعيد على مسمى ما سبق أن كرروه مرات ومرات من أن الهضيبى وسيد قطب وعبد الفتاح إسماعيل قد غرروا بى . وبذل لى الوعود بأنهم سيسلمونى النقود التى صودرت منى كهدية بسيطة أولى لى . وعلى قدر كلامى فى المحكمة عن تغيير الإخوان بى ستكون هدية جمال عبد الناصر لى ! ونصحنى أن أتعدل وأعود معه إلى شمس باشا لأعده بتنفيذ رغباته ويكفينى ما حدث .

سمعت كل ما قاله ولم أجب ، لم أملك حين كرر أنه يريد تخليصى من الحكم بالإعدام إلا أن قلت له : أنت لاتستطيع أن تستخرج من جسمك البول إذا انحبس منك يامسكين! . . أرجعنى إلى الزنزانة . . وأخذت أفكر فى أمر هؤلاء الطواغيت وفى استعداد المحكمة لتنفيذ كل ما يريدون!!

ولم أستطع أن أفهم - والأمر بيدهم والمحكمة بيدهم - هذا الحرص على ألا نتكلم فى المحكمة أو نغير أقوالنا! يبدو لى - ياعزيزى القارئ - أن التمثيلية لا تتم إلا بهذا الفصل الأخير وهو مهزلة المحكمة التى يريدون عرضها أمام الشعب المكبل بالقيود . وكأنهم يريدون أن يقولوا له : انظر ، ها هم الإخوان يريدون قتل الرئيس وقد شهدوا على أنفسهم بذلك ، ولكن خيب الله ظنهم فجاءت النتيجة عكس ما يتوقعون . . لقد كانت مهزلة .

وأى مهزلة أكبر من أن يأتوا بأمثال الفريق الدجوى ليجلس فى منصة القضاء؟!!

بشرى

وفى غمرة تلك الأحداث رأيت - فيما يرى النائم - أنى أقف فى ساحة قيل إنها المحكمة التى سنحاكم فيها ، وبينما أنا واقفة إذا بالحوائط تزول وإذا بى وسط ساحة كبيرة مساحتها الأرض كلها ، وإذا بالسما تظلل الأرض وتنطبق عليها كأنها خيمة أطبقت على الأرض ، وإذا بالنور يغمر الأرض كلها ، نور يصل ما بين السماء والأرض ، وإذا بى أرى رسول الله ﷺ يقف أمامى متجهاً إلى القبلة ، وأنا خلفه وأسمعه يقول : استمعى يا زينب لصوت الحق ، وسمعت صوتاً يخترق أقطار السموات والأرض يقول : ستنعقد هنا محاكم الباطل وستصدر أحكام الطواغيت وسيحكم عليكم ظلماً وعدواناً أنتم حملة

الأمانة ورواد الطريق ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[آل عمران: ٢٠٠].

كانت هذه بعض الكلمات التي سمعتها تخرق أقطار السموات والأرض ببلاغة لم أستطع أن أعياها لقوتها وشدة تأثيرها وأخذها بالقلب والجوارح.

وعندما انتهى هذا الصوت، التفت إلى حضرة النبي ﷺ وأشار إلى جهة اليمين، نظرت فإذا بجبل تقارب قمته عنان السماء، غير أنه كالبساط الأخضر تكسوه أرض خضراء.

فقال لى حضرة النبي ﷺ: يا زينب! اصعدى هذا الجبل فستجدين عند القمة حسن الهضبي، بلغيه هذه الكلمات. ونظر إلى نظرة عميقة أخذت بكل كياني غير أنه ﷺ لم يتحدث بكلمات منطوقة، ولكنى أحسست أنى حملت الكلمات فعلاً، وفهمت ما يريد منى، ورفع الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يده إلى الجبل، فوجدت نفسى أضعده، وأنا صاعدة التقيت فى طريقى بخالدة الهضبي وعلية الهضبي فسألتهما: هل أنتم معنا فى الطريق؟ أجابتا: نعم. وتركتهما وواصلت السير وعلى بعد أمتار التقيت بأمنية قطب وحميدة قطب وفاطمة عيسى فسألتهن: أنتم معنا على الطريق؟ قلن: نعم. وأخذت طريقى فى الصعود حتى وصلت إلى القمة. فوجدت أرضاً مبسوطة فوق قمة الجبل وفى وسطها ساحة مفروشة بالبسط وعليها الأرائك والمساند والهضبي يجلس فى الوسط. فلما رآنى وقف وأقبل على يحيينى وهو فرح بقدومى عليه، فلما صافحته قلت له: أنا مكلفة من حضرة الرسول أن أبلغك

كلمات أمانة من الرسول . أمانة منه عليه الصلاة والسلام . قال لى : إنها بلغتني والحمد لله . وجلسنا وكأن هذه الكلمات تنقل عن طريق الأرواح لا عن طريق لفظ مصور فى كلمة منطوقة . ولما جلست إلى الهضبي رأيت على الأرض فى سفح الجبل قطاراً فيه امرأتان عاريتان ، فنبهت الهضبي ، فنظر إلى ما فى القطار . وكنت متألماً جداً لما أرى فقال لى : أتعرضين عليهما؟ قلت : نعم . قال : هل تعتقدين أن الذى وصلنا إليه بأيدينا وبأنفسنا . إنه بفضل الله علينا فلا تشغلى نفسك بهما .

قلت : علينا أن نقاوم حتى نقومهما!

قال : هل بنفسك تستطيعين؟ قلت : بالله .

قال : فلنحمد الله على ما أعطانا .

ورفع يديه وكأنه يحمد الله ، ورفعت يدي وحمدت الله معه .

ونحن نكرر الحمد لله استيقظت من النوم .

ولم يعد هناك ما أخشاه . وأكاد أحس ببرد وسلام وراحة واطمئنان ، وغسلت تلك الرؤية ما بى من ألم وأذهبت ما بقلبي من حزن ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿[آل عمران: ١٩٥ - ٢٠٠] .

اليوم الموعود

القضية الأولى من سبع قضايا قدمت للمحاكمة

استيقظنا يوم المحاكمة وأخرجونا إلى المكاتب فى انتظار العربات التى ستقلنا إلى المحكمة. وفى حوالى الثامنة امتلأت ساحة السجن الحربى برجال البوليس ضباطاً وجنوداً وكأنهم ذاهبون إلى ساحة القتال، وجاءت عربة وصعدنا فيها وتكدس حولنا الحراس من ضباط وجنود وذهبنا إلى المحكمة وهناك أدخلونا القفص: كنا (٤٣) ثلاثة وأربعين:

- ١ - سيد قطب إبراهيم .
- ٢ - محمد يوسف هواش .
- ٣ - عبدالفتاح عبده إسماعيل .
- ٤ - أحمد عبدالمجيد عبدالسميع .
- ٥ - صبرى عرفة إبراهيم الكومى .
- ٦ - مجدى عبدالعزيز متولى .
- ٧ - عبدالمجيد يوسف عبدالمجيد الشاذلى .
- ٨ - عباس سعيد السيسى .
- ٩ - مبارك عبدالعظيم محمود عياد .
- ١٠ - فاروق أحمد على المنشاوى .
- ١١ - فايز محمد إسماعيل يوسف .

- ١٢ - ممدوح درويش مصطفى الديري .
- ١٣ - محمد أحمد محمد عبدالرحمن .
- ١٤ - جلال الدين بكرى ديساوى .
- ١٥ - محمد عبدالمعطى إبراهيم الجزار .
- ١٦ - محمد المأمون يحيى زكريا .
- ١٧ - أحمد عبدالحليم السروجى .
- ١٨ - صلاح محمد محمد خليفة .
- ١٩ - السيد سعد الدين السيد شريف .
- ٢٠ - محمد عبدالمعطى عبدالرحيم .
- ٢١ - إمام عبداللطيف عبدالفتاح غيث .
- ٢٢ - كمال عبدالعزيز العرفى سلام .
- ٢٣ - فؤاد حسن على متولى .
- ٢٤ - محمد أحمد البحيرى .
- ٢٥ - حمدى حسن صالح .
- ٢٦ - مصطفى عبدالعزيز الخضيرى .
- ٢٧ - السيد نزيلى محمد عويضة .
- ٢٨ - مرسى مصطفى مرسى .
- ٢٩ - محمد بديع عبدالمجيد محمد سامى .

- ٣٠ - محمد عبدالمنعم شاهين .
 - ٣١ - محمود أحمد فخرى .
 - ٣٢ - محمود عزت إبراهيم .
 - ٣٣ - صلاح محمد عبد الحق .
 - ٣٤ - حلمى محمد صادق حتحات .
 - ٣٥ - إلهام يحيى عبدالمجيد بدوى .
 - ٣٦ - عبدالمنعم عبدالرءوف يوسف عرفات .
 - ٣٧ - محمد عبدالفتاح رزق شريف .
 - ٣٨ - زينب الغزالى الجبيلى .
 - ٣٩ - حميدة قطب إبراهيم .
 - ٤٠ - محيى الدين هلال .
 - ٤١ - ع شماوى سليمان .
 - ٤٢ - مصطفى العالم .
- وليعلم القارئ أن المكمل للعدد هو «على ع شماوى» الذى اعتبر شاهد ملك ببيعه دينه بحياة ذليلة .

فلما دخلنا القفص وحضر من يسمونهم القضاة، نادى الدجوى أسماءنا واحداً واحداً سائلاً كلا منا: هل لك اعتراض على المحكمة؟ .

ويجيب الأخ: ليس لى اعتراض على الأشخاص، ولكنى أعترض على القانون الذى نحاكم به لأنه قانون جاهلى، ونحن لا نحتكم إلا لشرع الله .

ولما فرغ من سؤالنا جميعاً، قال: قررت المحكمة أن تحاكم زينب الغزالي وحميدة قطب محاكمة خاصة فأخرجونا من القفص، فأشرنا إلى بعض أهاليينا الموجودين بالقاعة بالتحية، ثم أدخلونا حجرة أغلقوها علينا حتى انتهت الجلسة فأخرجونا إلى العربة ومنها إلى السجن الحربى.

كان ذلك يوم ١٠/٤/١٩٦٦. ومكثنا فى الزنزانات حستى يوم ١٧/٥/١٩٦٦، لتعاد مسرحية المحكمة. كما سبق أن ذكرت من أن تلك «المحاكمة» هى الفصل الأخير الذى يريدون عرضه أمام الشعب..

البابُ السادس

محكمة!!

فى يوم ١٧ / ٥ / ١٩٦٦ أخذونا إلى المحكمة، وأدخلونا القفص . هيئة المحكمة يتقدمها الفريق الدجوى متفخ الأوداج، وجلس أعضاء النيابة فى مكان عن يمينه . تلى منصة النيابة منضدة عليها عدد من الصحفيين، كانوا قد حضروا قبل هيئة المحكمة، وأخذوا يصوروننا . وكان معهم صحفى يدعى عبدالعظيم؛ طالما جاء ليلتقط بعض الصور لنشاط المركز العام للسيدات المسلمات فقلت له : يا عبدالعظيم احتفظ بهذه الصور لعلنا نحتاجها يوماً ما، ولعله أن يكون قريباً . قال : حاضر . وكانت هذه شجاعة منه ولكنه ارتعش واصفر وجهه وتغير لونه وهو يجيب . وبعد دقائق لم أره فى القاعة والتفتُ إلى الصحفيين أسألهم : ماذا تفعلون؟

وابتداً الدجوى المحاكمة بأن نادى اسمى فخرجت من القفص كى أرد على أسئلته، وكانت كل الأسئلة التى وجهها لا تمت بصلة لكلامى فى التحقيق . فكنت أقول له : هذا الكلام لم أقله فى التحقيق . .

وأكتفى هنا بسؤالين أجبته عنهما :

قال لى : إن حسن الهضيبي قال : إن الأربعة آلاف جنيه التى أعطيته إياها

سرقتها من زوجك .

قلت : الأربعة آلاف جنيه اشتراكات وتبرعات من الإخوان المسلمين ؛
لحساب أسر المسجونين لإطعامهم وكسوتهم وتعليمهم . آلاف الأسر التي شردها
جمال عبدالناصر بعد محاكمات ١٩٥٤ وهو ما قلته فى التحقيق .

فارتبك وارتعد وكأن عقرباً لدغه وسأل : عندما كسرت رجلك كنت خائفة
على هذا المبلغ فلماذا؟! ولما جاءك عبدالفتاح إسماعيل فى المستشفى أرسلته
ليأخذ المبلغ من الخزانة فى منزلك ويسلمه للهضيبى فلماذا؟

قلت : لأنها أموال الدعوة الإسلامية ، حق المسجونين المجاهدين الذين
شردتهم أسرهم وهى فى خزانتي ولو مُت سيأخذها الورثة وهى ليست ملكى ،
لكنها ملك الدعوة .

قال : هى ملك التنظيم حتى تشتروا بها سلاحاً . والهضيبى قال إنه لا يعرف
مصدر هذه الأموال ، إلا أنك أخذتها من زوجك .

وتدخلت النيابة وقال : سيد قطب يقول إنه قال لحميدة : بأن الضربة تكون
شاملة وعلى أوسع مدى .

أجبت : هذا لم يحدث .

قال وكيل النيابة : وهل يكذب سيد قطب؟

قلت : حاشا الله أن يكذب .

فانفتح وكيل النيابة كالمجرور القدر ، وأخذتنى الدهشة فلم أكن أتوقع أن
أسمع هذه الألفاظ القذرة من النيابة فى قاعة المحكمة . أهكذا استطاع الطاغوت
أن يقضى على الكرامة والأخلاق فى مصر؟!!

انتهى الدجوى من سؤالى ومناقشتى فعدت إلى القفص ، وخرجت حميدة لتجيب على أسئلته . ولما فرغت من الأجوبة وعادت إلى القفص . ابتدأت مرافعة النيابة ولست أدري إذا كان يجوز أن أسميها مرافعة . فقد هبطت فيها النيابة إلى درك أسفل من انحطاط اللفظ وقبحه ، وشنيع ما نطقت به من عبارات القذف فى الأعراض والسباب للأبرياء . وكانت ظلمة تخيم على وجه المتكلم باسم النيابة وتمتد لتطمس المحكمة كلها . .

وضاق صدرى بالباطل المجسم فى النيابة والمحكمة ، فرفعت يدى أطلب الكلمة . فظن الدجوى المدعى أنه قاض ، أنى سأعذر خوفا من باطلهم وتهديدهم وما طلبته النيابة من إعدامى لأن الأشغال الشاقة المؤبدة لا تكفى جريمتى . . ونظر الدجوى نحوى والجهل يغطى وجهه وقال : تكلمى .

وقفت وقلت :

«بسم الله الرحمن الرحيم . . نحن أمناء أمة وورثة كتاب وحماة شريعة ، ولنا فى رسول الله أسوة حسنة . وإننا لثابتون على الطريق حتى نرفع راية لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وحتى تلتزم بها الأمة . وحسبنا الله ونعم الوكيل فيما افترى الظالمون . وأشارت إلى النيابة والمحكمة معاً وأنا أردد : حسبنا الله ونعم الوكيل فى هذا الباطل والبهتان والإثم المبين» .

وأخذت الدجوى نوبة هستيرية فصار يصرخ : «اسكتى اسكتى هى بتقول إيه؟ يعنى إيه (أسوة) . إيه معناها الكلمة دى؟! ويكرر هذا . . وهنا ضجت القاعة بالضحك على ذلك الذى حكموا عليه أن يكون قاضياً وهو لا يفهم معنى كلمة «أسوة» وهكذا كان عبد الناصر يتقى رجاله!! وهل يكون أعوانه الخاسرون إلا خاسرين؟! جلست وأنا أقول : ما الجهل إلا مفسدة ولكل سوء مجلبة . ليشهد التاريخ على من يحاكموننا ويحكموننا . .

وانتهت الجلسة وعدنا إلى السجن وعاد كل منا إلى زنزانته بعد أن حاسبوني على ما قلت فى المحكمة ..

أجهل من الجاهلية..

واعتقدت أنه بمحاكمتى انتهت المتاعب بالنسبة لى ، ولكنى فوجئت بأنهم يستدعوننى للتحقيق مرة أخرى فى المكاتب ، ويسألوننى عن أشخاص ، فإذا أجبت بأتى لا أعرفهم بدأوا معى التعذيب من جديد والوقوف ووجهى للحائط . وهكذا استمر التعذيب رغم انتهاء المحاكمة ، فهل وقع هذا من محاكم التفتيش أو أى محاكم أخرى فى التاريخ؟ هل وقع فى بداية الدعوة وفى ظلام جاهلية قريش؟

اللهم لا!! والتاريخ يشهد .

النطق بالأحكام

جاء اليوم الموعد للنطق بالأحكام ، أخرجونا أنا وحميدة فى عربة خلف عربة الرجال ومعنا الحرس ، وذهبنا لنستمع إلى الأحكام .

أجلسونا فى حجرة وانتظرنا إلى أن انتهى الحكم على الرجال فأدخلونا القاعة وكان أحد الضباط يجلس فيها ، نادى اسمى ثم قال :

زينب الغزالى الجبلى أشغال شاقة مؤبدة ٢٥ عامًا مع مصادرة المضبوطات .

قلت : الله أكبر والله الحمد ، فى سبيل الله وفى سبيل دعوة الحق ، دعوة الإسلام ، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[آل عمران : ١٣٩] .

ثم نادى حميدة قطب وقال: عشر سنوات أشغال شاقة، فضممتها إلى صدرى وأنا أردد: الله أكبر والله الحمد، فى سبيل دولة القرآن، الحاكمة بالقرآن والسنة إن شاء الله.

وصرنا نردد هذا حتى وصلنا إلى حوش المحكمة، فوجدنا الإخوان فى العربات، وكنا قلقين نريد أن نطمئن على أحكامهم، فلما رأونا صاحوا سائلين: إيه يا أخت زينب؟!

قلت: ٢٥ سنة أشغال شاقة مؤبدة فى سبيل دولة الإسلام الحاكمة بالقرآن والسنة إن شاء الله.

عادوا يسألون: والأخت حميدة؟ قلت: عشر سنوات أشغال فى سبيل الله ودعوة الإسلام.

وسألتهم عن أحكام الأخ سيد قطب والأخ عبد الفتاح إسماعيل ويوسف هواش وبقية الإخوة.

فقالوا: شهداء فى سبيل الله! ففهمت أنه إعدام وقلت: اللهم تقبل فى سبيل دولة الإسلام الحاكمة بالقرآن والسنة إن شاء الله.

وجاء صفوت الروبى ومعه عساكر من السجن الحربى وعساكر من البوليس فأخذونى وحميدة بالقوة إلى عربة صغيرة وجاء الصحفيون ليصورونا، وهجمت على آلة تصوير أحدهم أريد تكسيرها... صائحة فيهم: يا مصفقون لكل ظالم، يا أكلى السحت على موائد الطواغيت، ماذا تفعلون؟

وعدنا إلى السجن وجرت المحاسبة على ما صدر.

ومنذ هذا التاريخ بعد صدور الأحكام جمعونا أنا وحميدة قطب فى زنزانة واحدة.

لحظات فى رضوان الله

وبعد الحكم بخمسة أيام طرق باب الزنزانة وفتح ودخل علينا الأخ سيد قطب ومعه الضابط أركان حرب السجن - ويدعى إبراهيم - وصفوت الروبى .
وانصرف الضابط وبقى صفوت والأخ سيد قطب .

قلت : مرحبا يا أخ سيد، هذه مفاجأة سارة وغالية علينا جدا، إنها لحظات من رضوان الله أن تجلس إلينا .

وجلس يتحدث إلينا عن الآجال ومواعيدها وأنها بيد الله ولا أحد يتحكم فيها إلا الله ، وأمرنا بالرضا والتسليم ، وكان الحديث عن الرضاء بقضاء الله ، وأسر إلى حميدة ببعض كلمات ، كما أسر إلى ببعض كلمات أيضا .

وهنا غضب صفوت وزمجر وأنهى المقابلة .

وهكذا الطغاة لا يستطيعون ممارسة الخير فى أى لحظة من حياتهم . ونظر إلينا الإمام الشهيد وقال : ما علينا . . فلنوطن أنفسنا على الصبر . . وسلم علينا وانصرف . .

المساومة الأخيرة قبل الإعدام

طلب الطغاة حميدة ليلة تنفيذ الحكم بالإعدام . وسأتركها تقص علينا ما جرى . قالت :

استدعانى حمزة البسيونى إلى مكتبه ، وأرانى حكم الإعدام ، والتصديق عليه . ثم قال لى : إن الحكومة مستعدة أن تخفف هذا الحكم إذا كان شقيقى يجيبهم إلى ما يطلبون ، ثم أردف قائلا :

إن شقيقك خسارة لمصر كلها وليس لك وحدك، إننى غير متصور أن نفقد هذا الشخص بعد ساعات، إننا نريد أن ننقذه من الإعدام بأى شكل وبأى وسيلة. إن بضع كلمات يقولها ستخلصه من حكم الإعدام. ولا أحد يستطيع أن يؤثر عليه إلا أنت، أنت وحدك مكلفة بأن تقولى له هذا. أنا مكلف بأن أبلغه هذا ولكن لا أحد أفضل منك فى تبليغه هذا الأمر. بضع كلمات يقولها وينتهى كل شىء!

نريد أن يقول: إن هذه الحركات كانت على صلة بجهة ما، وبعد ذلك تنتهى القضية بالنسبة لك، أما هو فسيفرج عنه بعفو صحى.

قلت له: ولكنك تعلم - كما يعلم عبد الناصر - أن هذه الحركة ليست على صلة بأى جهة من الجهات.

قال حمزة البسيونى: أنا عارف وكلنا عارفون أنكم الجهة الوحيدة فى مصر التى تعمل من أجل العقيدة، نحن عارفون أنكم أحسن ناس فى البلد، ولكننا نريد أن نخلص سيد قطب من الإعدام.

قلت له: إذا كان سيادتك عاوز تبليغه هذا فلا مانع!

فنظر إلى صفوت وقال: خذها يا صفوت إلى أخيها.

وذهبت إلى شقيقى وسلمت عليه وبلغته ما يريدون منه، فنظر إلى ليرى أثر ذلك على وجهى، وكأنه يقول: أأنت التى تطلبين أم هم؟ واستطعت أن أفهمه بالإشارة أنهم هم الذين يقولون ذلك.

وهنا نظر إلى وقال:

«والله لو كان هذا الكلام صحيحاً لقلته ولما استطاعت قوة على وجه

الأرض أن تمنعني من قوله . ولكنه لم يحدث وأنا لا أقول كذباً أبداً» .

سأل صفوت: يعنى ده رأيك؟

أجاب بقوله: نعم .

فتركنا صفوت وقال: على العموم تقدروا تقعدوا مع بعض شويه . .

وانصرف وأفهمت أخى الحكاية من أولها، وقلت له: إن حمزة استدعانى وأرانى تنفيذ حكم الإعدام . وطلب منى أن أطلب منك هذا الطلب .

سأل: وأنت ترضين ذلك؟ قلت: لا . قال: إنهم لا يستطيعون ضرراً ولا نفعاً . إن الأعمار بيد الله، وهم لا يستطيعون التحكم فى حياتى ولا يستطيعون إطالة الأعمار ولا تقصيرها، كل ذلك بيد الله . والله من ورائهم محيط .

ونفذ الطاغوت أحكامه

وبعد أيام سمعنا عن تنفيذ الأحكام بالإعدام فى الإمام الشهيد سيد قطب والشهيد عبد الفتاح إسماعيل، والشهيد محمد هوش .

ووقع علينا إعدام سيد قطب وأخويه موقع الصاعقة، فالكل كريم عزيز مجاهد، وشقيقة سيد تقيم معى فى الزنزانة، كيف أواسيها؟ كيف أخفف عنها؟ ما الذى أستطيع أن أفعله؟ بل كيف أخفف عن نفسى؟ وبماذا أواسى نفسى فى هذا المصاب؟ إن الحادث جلل، والمصاب فادح، فإعدام سيد قطب وأخويه فى الله والجهاد ليس بالأمر الهين! . .

سيد قطب مفسر القرآن، الداعية الإسلامى، الحكيم فى فهمه وبيانه وصفاء منهجه، وقوة حجته، المتمسك بدينه، الواثق بنصر الله!

أليس هو صاحب التفسير العظيم «فى ظلال القرآن» الذى فتح باباً جديداً للتفكير فى كتاب الله والوقوف عند أحكامه، وبين كيف يكون الالتزام؟!!

سيد قطب الذى وضع فى مقدمة سورة الأنعام: أين الطريق؟

سيد قطب.. صاحب: هذا الدين، والعدالة الاجتماعية، والمستقبل لهذا الدين، والتصوير الفنى فى القرآن، ومشاهد القيامة، وما يربو على العشرين كتاباً فى كل معرفة من علوم القرآن!

إن الكلمات لاتسعف فى المواصلة فى مثل هذا الحادث.

اقرأوا «المعالم» لتعرفوا لماذا حكم عليه بالإعدام!

إن البعث الإسلامى فى القوتين العظيمين هو ما يركز عليه الشهيد سيد قطب. ومعنى ذلك أن تنتهى دولة القوتين العظيمين وأن تحكم الشريعة العالم، لا تلك الهمجية الجاهلية.

نعم. إن بعث الإسلام معناه إنهاء قوة الأمريكان والروس وأن تقوم القوة الشرعية صاحبة الحق الشرعى فى حكم هذا العالم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وستقوم بإذن الله ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

الأيام الأخيرة بعد الأحكام فى السجن الحربى

يوم تنفيذ الأحكام رأيت سيد قطب فى سنة خفيفة بعد صلاة الفجر. فقال لى: اعلمى أنى لم أكن معهم، أنا كنت فى المدينة مع حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام، وتنبهت فحكيت لحميدة.

وفى صبيحة اليوم الثانى لتنفيذ أحكام الإعدام، أخذتنى سنة من النوم كذلك بعد صلاة الفجر، وأنا أتلو أذكار ختم الصلاة، فسمعت صوتاً يقول لى: سيد فى الفردوس الأعلى ورفقته فى عليين.

تنبّهت وحكيت حميدة فانهمرت دموعها وقالت: أنا على ثقة من فضل الله علينا وبأنه إن شاء الله فى الفردوس الأعلى. قلت لها: وهذه الرؤى تثبت من الله سبحانه وتعالى ومواساة.

نعم ونفذ أمر الله وعشنا فى شدة قلّ أن يحتملها بشر، وظننا أننا سنعيش فى صمت نضمد الجراح لا تلاحقنا فيه قسوة الاستجابات والتحقيقات. فقد انتهت المعركة الفاجرة بعد الأحكام وتنفيذها.

ولكن كيف!! فما زال الفجار يطلبوننى للمكاتب وأترك حميدة نهياً للألم والقلق والانتظار الخائف القلق حتى أعود إليها فتسألنى، فأحكى لها أن الطغاة قبضوا على مسلمين جدد وأنهم يسألوننى عن أسماء لا أعرفها، ويريدون أن يلفقوا لى قضية أخرى فحكم المؤبد لا يكفيهم.

نعم عشنا بعد الأحكام وتنفيذها فى السجن الحربى مهددين، لم ترتفع عن حياتنا ظلال التهديد والتعذيب. لكننا وجدنا فى القرآن خير سكن فعشنا معه وصدق الله ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وطلبنا أن يصرحوا لنا بقراءة الجرائد، ووعد حمزة بإحضارها لنا على حساب أماناتنا فى السجن، وجاءتنا الجرائد فخففت من قسوة الانقطاع ووصلتنا بأخبار الأحياء خارج الأسوار!.

عشنا فى السجن الحربى نلوك شدة قسوة الأيام وتهديدات المكاتب، فلم تنقطع المؤامرات على حكم عبد الناصر، وكلما وجدوا مشتركاً فى مؤامرة

عسكرية سألوا زينب الغزالي هل تعرفه، وتكررت صور الإرهاب والتهديد، فلم تكن تمر أيام إلا ومؤامرة عسكرية جديدة، والويل لزينب الغزالي إذا كان بالمؤامرة مدنى!! .

(.. ومات زوجى)

عقب رجوعى من سماع الأحكام طلبت من حمزة البسيونى أن يرسل لزوجى لأننى أريد مقابله، ولما لم يحضر كررت طلبى، فطلبونى فى المكتب وسألونى عن سبب إلحاحى فقلت: لقد حكم على بالسجن ٢٥ سنة وأنا أريد أن أبلغه أننى أعفيه من التمسك برباط الزوجية ليكون حراً بعد ذلك فى تصرفه.

أجاب حمزة فى غلظة: سيعملها جمال عبد الناصر، ما أعدمكىشى. لكن حاي موتك بالتدريج!...

قلت: الله الفعال، وعبد الناصر وأنتم والدنيا كلها مجتمعة لا تستطيع أن تسقط ورقة من شجرة إلا بإذن الله.

قال: نحن سنأتى لك قريباً بورقة الطلاق.

خرجت وأنا أقول: أنتم وحوش.

وعدت إلى الزنزانة، ومرت أيام قاسية، وفى يوم كنت أصلى الفجر وأتلو القرآن فأخذتنى سنة من النوم، فرأيت فيما يرى النائم صورة زوجى فى صفحة الوفيات وأنا أقرأ نعيه، انتبهت وأنا أردد: اللهم لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه! .

ووجدت حميدة تردد نفس الدعاء، دهشت لكنى كتمت عنها ما رأيت، وتكررت الرؤيا.

ووصلتنا الجرائد صباح يوم جمعة فأخذت أتصفحها، وإذا بى أجد نعى زوجى. قلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، إنا لله وإنا إليه راجعون. فى الجنة إن شاء الله يا حاج محمد!.

توفى زوجى... ولقى ربه، يحمل بين يديه سجلاً حافلاً بفجور الطغاة، يعرضه عليه سبحانه، الحى القيوم، الديان، مالك السموات والأرض.

لقد حملة الطغاة، وهو على فراش المرض، مصاباً بالذبحة الصدرية، إلى السجن، وقد ساوموه على حريته نظير أن يدلى بأقوال معينة ضدى... أنا زوجته!! فلما رفض نقلوه إلى سجن انفرادى، فيا للعار!! لقد أثر أن يُلقى سالم محمد سالم فوق أسفلة الزنزانة، وأن يظل كذلك حتى تهددت حياته بالخطر، وطلب طبيب السجن الحربى «دكتور ماجد» ضرورة الإفراج عنه لخطورة الحالة.

وقد شاء الله له أن يفرج عنه، وأن يعيش، حتى يسمع الأحكام التى تصم العهد بالوحشية والظلم والبربرية... فعاوده المرض ولقى ربه، يشكو إليه فى أعلى سماواته ظلم الطغاة وفجورهم على أرضه.

ومرت أيام وجاءت الأسرة لزيارتى، ومنها علمت أن جمال عبد الناصر وجنده خيروا الرجل الطيب الإنسان الفاضل زوجى المرحوم الحاج محمد سالم سالم بين أمرين لا ثالث لهما: إما أن يطلق زينب الغزالى الجبيلى أو أن ينقل إلى السجن الحربى، وطلب منهم مهلة أسبوعين يفكر. فأصروا على الاختيار فوراً، وكان معهم المدعو أبو الوفا دنقل يهدد الحاج محمد بتنفيذ أمر عبد

الناصر، بل إن الفجور بلغ برجال المباحث أنهم أحضروا المأذون معهم ليجرى الطلاق.

وقع زوجي على ما كتبوا له وهو يقول: اللهم اشهد أنني لم أطلق زوجتي زينب الغزالي الجبيلي.

كما قال لهم: أنا سأموت، اتركوني أموت بكرامتي، أنا سأموت وهي على عصمتي، حصل ذلك وزوجي مريض، أصيب بعد سماع الأحكام بشلل نصفي، وكان من قبل مصاباً بذبحه نتيجة استيلاء عبد الناصر على شركاته وأمواله وأرضه وبيته. فحسبنا الله ونعم الوكيل.

ولم يطل به الأمر، فقد توفي رحمه الله بعد توقيعه على الطلاق. وسمعت الأسرة وقالت شقيقتي: إنها لما سمعت بما حدث غضبت ورفعت صورة للحاج كانت في حجرة الصالون.

وغضبت منها وطلبت أن تعاد الصورة. فزوجي كان أخى في الله قبل أن يكون زوجي، وبيتى سيبقى بيته مادمت على قيد الحياة. لقد جمعت بيننا العقيدة قبل أن يجمع الزواج، والزواج عرض من أعراض الحياة، ولكن الأخوة في الله باقية خالدة لاتزول ولا تقاس بها الدنيا وما فيها، وعرفت أيضاً من الأسرة أنها قد حضرت منذ اللحظة الأولى للوفاة واشتركت في تشييع الجنازة والعزاء، وقامت بما عليها من واجب وأحسست بشيء من الراحة لذلك.

وحين خلوت إلى نفسي تذكرت رؤيا من الله على بها إذ رأيت حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام، وأرخت لها بين سطور المصحف الذي كنت أقرأ فيه، وعدت إلى التاريخ فوجدته مطابقاً لتاريخ حادث الطلاق.

نعم رأيت حضرة النبي عليه الصلاة والسلام يمشى بملابس بيضاء وخلفه مباشرة حسن الهضبي بملابس بيضاء وعلى رأسه طاقية. وأنا أقف ومعى السيدة عائشة ومعها عدد من النساء، وقع فى نفسى أنهن وصيفاتها، وكانت السيدة توصينى بكلمات، فلما أصبح الرسول عليه السلام فى محاذاتنا نادى عائشة، وقال لها: صبراً يا عائشة، صبراً يا عائشة، صبراً يا عائشة، وكانت حقاً عائشة رضى الله عنها تشد يدى كل مرة وتوصينى بالصبر!

قمت من نرمى وحكىة الرؤيا لحميدة، وأخذت أسأل الله أن يرزقنى الرضا والاحتمال، وتيقنت أن اختباراً جديداً فى طريقه إلىّ، فأخذت أضرع إلى الله أن يمنحنى عونهُ وصبرهُ وثباتاً منه سبحانه وتعالى، إنه مجيب الدعوات.

وانضم إلينا جيران جدد

وفى ليلة من لىالى الشتاء الباردة سمعنا ضجة وجلبة فى الزنزانة المقابلة. وفُتحت زنزانتنا ودخل صلاح التمرجى وطلب منا دواء ضد القىء كان قد أدخله لنا فى الصباح، وأعطيناه الدواء.

وعلمنا منه فى اليوم التالى أن المسجون فى الزنزانة المقابلة رئيس وزراء اليمن ومعه عشرون آخرون من رجال الحكم هناك، وأن الشيخ الإيراني فى الزنزانة المجاورة، لم ندهش لذلك، فليس ثمة شىء يدهش، وكما يقال من يعيش رجلاً يرى عجبا!!

هل حرر عبد الناصر اليمن بما فعل كما قالت أبواق دعايته؟

هل سمعتم أن إنجلترا عندما استعمرت مصر، أخذت عشرات من رجالها إلى سجون لندن؟ هل حملت بوارج بونابرت إلى سجون باريس رجال مصر بعد حملتها عليها؟

يجب أن يحاكم عبد الناصر

هل لى أن أتساءل لمَ لمَ يحاكم عبد الناصر على ما ارتكب من جرائم لتستطيع مصر أن تواجه التاريخ وتقف ورأسها مرفوع؟ .

إن الأمر لجد خطير إن لم تبرأ مصر من جرائم وقعت فى عهد عبد الناصر. وإلى أن يأتى ذلك اليوم فستظل مصر كلها مسئولة عن جرائمه؛ اللهم إلا الجماعة الإسلامية- جماعة الإخوان المسلمين - التى برئت إلى الله ورفعت صوتها عالياً باستنكار جرائمه، لقد خدعها فى أيام الحركة الأولى فأيدته، ولما علمت من هو، ولمن عمالته قررت فى عزيمة الإيمان أن تقاومه، وكانت معركة الشرف بين الحق والباطل سنة ١٩٥٤، ثم معركة المجد سنة ١٩٦٥، نعم كانت معركة ٦٥ معركة مجد وشرف، لبعث الإسلام شامخاً قوياً، بعد أن خُيِّل للطاغوت أن دعوة الإخوان أصبحت تاريخاً يروى وعملاً سُدلت عليه الأستار، وقصصاً تلوّكها الألسنة وبعض رجال خلف قضبان السجون.

كانت معركة ١٩٦٥ وثبة الأشبال ونهضة الشباب من الجيل الذى ولد فى أيام انقلاب عبد الناصر وصَبَّ به كل ما يملك من سموم إعلامه وصناع حكمه. نعم ذلك الجيل الذى استوعبناه وبنينا به بعثتنا للدعوة ونظمنا به صفوفنا من جديد، فجن جنون عبد الناصر؛ فقد سلبته امرأة ورجل جيله كما كان يصيح فيمن حوله، كانت المرأة أنا وكان الرجل عبد الفتاح عبده إسماعيل.

نعم أخذنا من جيله ذلك الفخار من شبابنا فبنينا للإسلام، وكانت معركة دفعنا فيها أغلى رجال الدعوة: سيد قطب الإمام الفقيه، وعبد الفتاح إسماعيل رجل فى أمة وأمة فى رجل، ومحمد هواش ذلك العملاق فى الدعوة وفقهها.

وانتهت أيام السجن الحربى ، والإخوان المسلمون كالطود الشامخ شرفاً ورجولة ومجداً. أما عبد الناصر فسجل خزيه يوم حملتنا عرباته وعساكره فى الخامس من يونيه من السجون الحربية إلى السجون المدنية لتفصح المجال لمن امتلأت بهم السجون من طغمته، يستر بهم عاره ويخفى بهم عمالته، ليستطيع أن يكمل المشوار إلى حيث يتم تنفيذ خطة الأسياد.

نعم جاء الخامس من يونيو بخزيه وعاره اللذين سيكبلان فرعون القرن العشرين ذلك «الذى طغى فى البلاد. فأكثر فيها الفساد» سيكلله بخزيه وعاره يوم يبعث للحساب.

الباب السابع

الانتقال إلى سجن القناطر

٥ يونيو

قبل هذا اليوم لن ينسأه أحد. فى يومى ٣، ٤ يونيو تكرر فتح الزنزانة علينا بغير سبب وبدون مناسبة. وليوجه إلينا سؤال إن كنا نريد شيئاً. ثم تدور أحاديث موجهة عن الحرب والحديث عن عظمة المنادى بتحرير فلسطين والعرب!!

وكنا نظل فى صمتنا وسكوتنا. . وذات مرة كان المتحدث هو الطبيب. فتساءلت: هل سنحرر فلسطين؟! فاحمر وجهه غضباً لغير الله وسأل: يعنى إيه؟ قلت: ما دامت الصهيونية العالمية توجه أساليب الحكم للقوتين العظميين فلن يكون على الحاكمين بأمر هاتين القوتين إلا التنفيذ. . ولن تحرر فلسطين إلا بالإسلام، يوم يحكم بالإسلام ستحرر فلسطين! .

وجاء صباح الخامس من يونيو ولم تفتح الزنزانات. . وفجأة فتح باب الزنزانة مارد أسود من العساكر وصاح: لقد انتصر عبد الناصر يا ولاد الـ. .

وخرج كما دخل ليأتى غيره بعد مهلة يشتمنا وينقل إلينا أخبار الانتصار وإسقاط الطائرات بأعدادها، ويخرج ليدخل ثالث بعد فترة فيروى أخبار الزعيم

الهمام وانتصاراته . . . ورابع . . . وخامس . . . ونحن فى صمت لا نجيب .

ومع أذان العصر فتحت الزنزانه ودخل صفوت الروبى فى وحشية وأخذ يضربنى بحذاء غليظ فقد كان بملابس الميدان، كان يأخذنى بيديه ويرمىنى إلى الحائط ثم ينزل بحذائه الغليظ على جسدى ركلا وهو يقول : احنا انتصرنا يا بنت ال . . . ووقفت حميدة وهى تقول : ليه . . .؟! والمجرم لا يكف عن ضربى حتى الإغماء فتركنى وأخذ يأمر العساكر المصاحبين له برمى حاجياتنا خارج الزنزانه، ثم عاد إلى ضربى . بعد ذلك أخرجنا من الزنزانه وساقنا وهو يكيل لى السباب قائلاً : انتصرنا . انتصرنا غصب عنك وموتك حل دلوقت (كان ذلك عصر ٥ يونيو سنة ١٩٦٧) وأصعدونى وحميدة عربة جيش مصفحة مملوءة بالحرس من ضباط وعسكر . وخرجت السيارة من السجن الحربى، وكان أركان حرب السجن بجانب سائق السيارة، وصرت فى غير وعى ومن غير تفكير من قسوة الضرب أردد : حسبنا الله ونعم الوكيل، كنت أرددها بصوت مرتفع جداً . وأحسست أن السماء والأرض وكل الكون ينطق معى ويشكو إلى الله . وكنت كلما نبهتنى حميدة لأصمت أخذتنى غيبوبة وصرت أردد : حسبنا الله ونعم الوكيل . وكنت أحس وأسمع الكون ينطق بها معى . .

كنت على يقين من أننى مسوقة إلى الإعدام كما ذكر صفوت وهو يضربنى فى الزنزانه، فانصرفت الى الله بكل مشاعرى وأنا أتلو ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة ١١١]، وقولة تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء : ٣٤]

وأتمثل قول القائل :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً
على أى جنب كان فى الله مصرعى
وقول القائل :

أقول لها وقد طارت شعاعاً
من الأبطال ويحك لن تراعى
فإنك إن طلبت بقاء يوم
على الأجل الذى لك لم تطاعى
فصبراً فى مجال الموت صبراً
فما نيل الخلود بمستطاع

وفجأة وقفت العربة وأخذت حميدة تهزنى وفتحت عيني ، فإذا نحن أمام
سجن القناطر للنساء .

ليلة عذاب نفسى

وابتلعتنا بوابة السجن وأدخلنا حجرة المأمور . وفُتشت حقائبنا تفتيشاً
دقيقاً . كان الوقت ليلاً . وأخذتنا امرأة يقال لها (باش سجانة) تدعى عنايات إلى
حجرة بجوار حجرة المأمور ، وهناك فتشونا مرة أخرى وألبسونا ملابس السجن
وأدخلنا حجرة ليس لها باب غير أعمدة حديدية متفرقة ، بها سرير من طابقين :
الطابق الأول تالف ، والثانى عليه وسادة مهلهلة . وكانت الحجرة مظلة على
صالة بها ثلاثة عنابر فيها نساء ، علمت بعد ذلك أن أحكاماً قد صدرت عليهن
بسبب السرقة وتجارة المخدرات والسلوك المنحرف . . والقتل . . وكان النوم

يداعب جفوننا وما يكاد يلامسها حتى يفارقها . . الليل ضارب أطنابه . .
والظلام يكسو المكان بوحشته ، والنفوس أشربت الرذيلة ، والعنابر أغلقت بما
فيها من سوء ، فظهر الانحطاط الخلقى وظهرت المستنقعات الآسنة بالردائل ،
فهوت البشرية الى أبعاد سحيقة انحدرت بالإنسان عن آدميته . وهكذا مر الليل
بساعاته الطويلة ونحن نرى ونسمع ما يؤذى النفوس ويجرح المشاعر .

وقضينا تلك الساعات الطويلة فى ذكر الله تعالى نذكره ونسبحه ونتلو آياته
﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] .

وما كاد يبزغ ويشرق النهار بضوئه حتى سرت طمأنينة إلى نفوسنا ،
وتضرعنا إلى ربنا سبحانه سائلين متوسلين أن يجعل لنا فرجاً ومخرجاً .

ولن أنسى هذه الليلة فقد كانت ليلة شديدة وقاسية وإن لم يكن بها سياط .
وظلت ابنتى حميدة تبكى حتى أغمى عليها وكنت أحاول التخفيف عنها .
وأقول لها إننا حملة أمانة ، ورواد رسالة ، فلا بد من الصبر والتحمل . . تحمل
مشاق الطريق والصبر على ما نرى وما يجرى علينا ، وأجرنا على الله . .

إن كل ما أصابنا فى السجن الحربى من إهانة للنفس ، وضرب بالسياط
وتمزيق الأبدان ، وتنكيل وبطش بل وقتل وتجويع وعطش و . . إن كل ذلك لا
يساوى ما رأينا وسمعنا فى هذه الليلة التى عشناها وأماننا ذلك القطيع الضال
من عالم البشر التائه فى سراديب الجاهلية . ذلك القطيع من عالم المرأة المسكينة
التي يقال لها إنها تحررت ، فصارت عبداً للشهوات والأهواء وأصبحت الجريمة
حرفتها فأغرقتها ، فنسيت إنسانيتها وطهرها وعفافها ومكارمها فغدت حيوانا لا
يعرف معنى للحياة إلا لشهوة الفم والفرج !! كبهيمة عمياء قاد زمامها ..
أغمى على عوج الطريق ، فضلت وأصبح هواها يقودها الى مهاوى الرذيلة

وساعدها فى ذلك المفسدون فى الأرض أهل الباطل والإلحاد . وقوى الشر والإجرام . . وفى هذا الجو المشحون بالأهواء والمفاسد والظلم والظلمات ، انطلق نداء الفجر ، فبدد بإشراقه الصباح تلك الغيوم السوداء فتوجهنا إلى الرحمن الرحيم فصلينا ودعونا راجين فرجه ورضوانه . . !

وجاء وقت فتح العنابر بعد ساعات وطلبت من السجناء مقابلة المأمور وعادت بعد ساعة تدعونا إلى مكتب المأمور . .

صراع من نوع جديد

دخلت أنا وحميدة على المأمور فقال لنا : الكانتين ممنوع والزيارة ممنوعة ، وليس لكم أى حق من حقوق المساجين . أنتما (تكدير) حى تؤمر بأوامر أخرى . فاهمين !

قلت له : إننا لم نطلب مقابلتك لهذا الأمر ولكن جئنا لنسألك . . فقال مقاطعاً : أنتم طلبتم مقابلتى ؟ قلت : نعم ، إننا نطلب تغيير الزنزانة . وأضافت حميدة : حجرة لها باب لا قفص حيوانات .

قال : إيه الكلام ده؟ حنرجعكم إلى السجن الحربى تانى وتشوفوا اللى شفتوه؟! قلت : نحن لا نستطيع البقاء فى هذا المكان الذى لا يليق بالحيوان . قال المأمور : أنا مأمور وده سجن . وأنتم مسجونون . ومافيش غير كده . ثم وقف وصاح اتفضلوا اخرجوا! قلت : سنظل فى فناء السجن ولن نعود إلى هذه الحجرة أبداً . . وليكن ما يكون . . قال : السجن سجن وإذا ماكنتوش حتنفذوا الأمر سنطلق عليكم الرصاص فوراً . قلت : القتل أهون من هذا العيش والآجال بيد الله سبحانه ، وقتلكم لنا شهادة . فأخرجنا من مكتبه وتركنا فى حوش السجن .

وبعد فترة نادى المأمور الباش سجانة قائلاً لها : وديهم يا سعاد على الملاحظة . وقالت سعاد : ألف مبروك حتقعدوا فى الملاحظة .

وصعدنا درجات لسلم الملاحظة ، ودخلنا إلى عنبر واسع به عشرون سريراً للسجينات ، وبعد ساعة جاءت السجانة المختصة بالملاحظة وقالت تعالوا ، الإيراد جه ، ولم نفهم مقصدها ، غير أنها أخذتنا وأوقفتنا فى صف من النساء يسمى الإيراد . والإيراد هو قطع من البشر الحائر فى مجتمع ضاعت فيه القيم والمعانى فهوى إلى الرذيلة ، إلى هوة سحيقة ، فجىء به إلى السجون . .

وسمعت السجانة تقف على باب حجرة وتصيح : إلإيراد النهارده خمسة وأربعين ، خمسة وعشرين تسول ، خمستاشر دعارة ، وثلاثة سرقة و اثنين سياسيين . . تعنى بالسياسيين أنا وحميدة .

خرجنا من ذلك الطابور ، وأخذت حميدة معى فقالت السجانة رايعين فين؟! انتظروا لما ييجى دوركم .

قلت لها : سنقف وحدنا ، ولسنا من هذا الإيراد . قالت : بتقولى إيه يا ادلعدى؟ قلت : سنقف وحدنا . قالت : معلهش ، ودول مش خلق الله زيكم؟!!

لم أجبها ولزمت الصمت ، أخذت السجانة فى إدخال البشرية الضالة إلى حجرة ثم جاءت إلينا تقول : الست الدكتوراة أمرت أن تجلسوا حتى تنتهى وتدخلوا إليها . ولما فرغت الطيبة استدعتنا ودخلنا فسألتنا عن الاسم والسن وما نشكو منه ، ثم أخذونا الى حجرة وأغلقوا علينا بابها . ولم يمض وقت طويل حتى ارتفع الصراخ وعلا البكاء وساد الجميع حزن ووجوم وتحسنا الخبر ، ماذا حدث؟! قالوا : النكسة !!

وحدثتني نفسى حديثاً طويلاً : وأى نكسة تلك يا ترى ؟! آه من لك أيها الشعب المسكين ! ما أكثر نكساتك ! لقد تعددت فما أعظمها ! وما أعمقها وما أقساها ! لقد أصابت شعبنا نكسات ونكسات : نكسة فى الخلق . نكسة فى الرجال . نكسة فى . . ، وأخيراً نكسة ٥ يونيو!!!

وكانت طامة كبرى ، جعلت عبدة القرده والخنازير وأذلاء الأرض المغضوب عليهم من السماء إخوة الشياطين ، جعلتهم النكسة يستعمرون أرضاً عربية ويحكمون أهلها ويذيقونهم من العذاب أصنافاً ، ومن ألوان البطش والتنكيل ما تمتلئ به نفس يهودية حقيرة ذليلة . .

واستطرد حديث نفسى : ما هذا الذى نعيشه ونحياه؟! الإسلام - القوة والعزة والكرامة - يقتل ، ويقتل أبناؤه ولا يسمح لهم بالحياة ولا حتى أن يتسموا نسيمها أو ينبتوا ولو رويداً رويداً . قتلوا الاسلام وأصحابه فقتلوا الرجال والعزة والمنعة . هؤلاء الرجال . حقاً هم الذين بفضل الله تعالى يقهرون الباطل وأهله ، مهما تعددت أنواعه وتغيرت أشكاله واختلفت صورته وأسماءه . بهم تعلقوا الأرض العزة والكرامة ، وتغدو البشرية لربها خاضعة عابدة تنسم عبير الطاعة وتسلم البشرية لربها راضية ، تسلك طريق العبودية ذللاً ، وتستجيب لنداء الحق مهما كانت تكاليفه ومهما كانت تضحياته . أسمع من حولي يتهامسون ، لا تتهامسوا ولا تتناجوا وكونوا صرحاء أقوياء .

إن النكسة بما كسبت أيديكم ، واتخذتم كتاب الله تعالى وراءكم ظهوراً . والله لو نصرنا الله لنصرنا . . لو نصرناه بإسلام وجوهنا وقلوبنا إليه ، لو نصرناه باتباع شرعه القويم ونهجه المستقيم ، لو نصرناه بالمسارعة الى محابه ومراضيه واجتناب نواهيه . لو نصرناه . . والله لو نصرناه لنصرنا : لنصرنا برضوانه علينا . لنصرنا بالتمكين فى الأرض والخلافة عنه سبحانه . لنصرنا على قوى

الأرض الباطلة الحائدة عن طريقه المستقيم، فبكتاب الله وسنة رسوله ﷺ تنصرون وتمكنون فى الأرض، وتسعدون فى الدارين دنيا وآخرة. ففى طاعة الله العزة والسعادة والنصر والغلبة والتمكين وجنات النعيم فى الفردوس الأعلى عند رب العالمين ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

ومن قول سيدنا عمر: «... وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله . ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عدونا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة...». وبيعدكم عن الكتاب والسنة: تهزمون وتشقون، وتزلون وتكون النكسة. بل ونكسات. ففى معصية الله الذل والبؤس والهوان والضعف والجحيم والعذاب المقيم. ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٧].

وتجول نفسى فى معانٍ كثيرة، ويساعدها على ذلك الواقع المر والحاضر الأليم، يساعدها على استرسالها ويحز ذلك فى نفسى إشفاقاً ولوعة، وحزناً وأسى.

وتستيقظ نفسى من حديثها على نداء ابنتى حميدة، فأجد نفسى أجلس بجوارها فى حجرة مغلقة علينا، ويصل إلى سمعى ذلك الصياح والبكاء على حامى الإسلام! عشنا فى هذه الحجرة مغلقة بابها إلا لماماً، لا ندرى شيئاً مما حولنا. وفى ذات يوم استطعنا أن نحصل على حين غفلة من الحارسة على علبة سجائر، فكانت هذه العلبة مفتاحاً سحرياً لقلب السجانة الغليظة القلب.

وبها فتح لنا باب الزنزانة مدة أطول فتمكنا أن نتبين ما يدور حولنا . . كان بجوار حجرتنا حجرة تسكنها امرأة مع طفلها الذى لا يعلم له أبا، وأمامنا امرأة أخرى تقضى أيامها الأخيرة فى مرض السل نتيجة سلوكها المشين، وبجوار هذه الحجرة عنبر فسيح يحوى ألواناً من الأمراض المزمنة المعدية، وفى نهاية المبنى من ناحية تقع دورة مياه صرح لنا بالذهاب إليها مخالطين لهذه البشرية المريضة بمرض الجاهلية والأمراض البدنية المعدية. وفى الناحية الأخرى من المبنى توجد بعض النساء اللائى لم نعرف جنسيتهن فى حجرات نظيفة مفروشة مزينة وتوجد فى هذه الناحية أيضا دورة مياه صحية. علمنا ذلك كله لأن كل من هنا يسمون ذلك الجانب «الهيلتون».

كان الجوع قد أخذ منا مأخذاً شديداً حين أهدتنا إحدى المسجونات قليلاً من الطعام، كان لإهدائه أثر جميل جداً فى قلوبنا. فقد أحسنا بأن الغابة على وحشيتها وحيوانيتها لم تخل من إنسانية. طلبنا من السجانة السماح لنا بالذهاب الى دورة المياه الثانية لنظافتها وخلوها من الألفاظ الجارحة والعبارات النابية، فقالت السجانة : دورة المياه الثانية خاصة بالست الدكتوراة واليهود . . فسألته متعجبة مستفسرة تقولين : يهود؟

قالت : نعم ستات يهود. مدام مرسيل، مدام لوسى، وهم كثير . . قاعدين ومتمترهين، لا أحد يقول لهم كلمة ولا يؤخر لهم طلباً. زى البيت وأحسن شوية، كلهم جاينين فى تجسس. ثم قالت : كلموا الست الدكتوراة يمكن يسمحوا لكم بالذهاب إليها.

وبعد أخذ ورد فى هذا الأمر بيننا وبين المأمور انتهى برفض طلبنا متعللاً بأن ذلك خاص باليهود! . .

رأينا من ألد الأعداء .. إنسانية!

أسلمنا أمرنا لله تعالى وانشغلنا به سبحانه وبتلاوة آياته الكريمة . وبينما أعيش مع ابنتي حميدة تلك اللحظات الربانية دخلت سيدة طويلة القامة شقراء ، وألقت علينا التحية فرددنا التحية ، ثم قالت حضرتك زينب الغزالي قلت : نعم ، قالت : أنا مرسيل مسجونة سياسية وطبعاً - بيننا وبينكم خلاف فى العقيدة ، فأنا يهودية وأنتم مسلمون ، ولكن النفس لا تخلو من إنسانية ، خاصة وقت الشدائد والمحن - فلا مانع أن تكون بيننا وبينكم معاملة طيبة فى السجن . أما خارجه فبيننا الحرب والقتال أو الخلاف فى الأهداف ، أما الآن فنحن جميعاً فى شدة وقسوة . ولقد جئت إليكم فى غفلة من المسؤولين لأعرض عليكم تعاونى لخدمة بعضنا لبعض . فشكرناها على ذلك ثم قالت : نحن لدينا إمكانيات للأكل وإن كانت قليلة فسنتقسمها معكم وسأتحرى أن لا يكون فى الأكل ما هو محرم عندكم ، ونحن اليهود لا نأكل لحم الخنزير مثلكم . ومرت أيام كانت مرسيل اليهودية تحضر لنا بعضاً من المأكولات . وكان أهم من ذلك كله أن هذه اليهودية دبرت لنا أمر استعمال دورة المياه الخاصة بهم

أحست ابنتي حميدة الحرج من تلك الأمور فقلت : إن الله سبحانه وتعالى يسوق الخير لعباده على يد من يشاء ، والله تعالى لا يعنت عباده ولا يديم عليهم العسر ، وليس لنا حيلة إلا أن نتعايش مع الإنسانية أينما وجدت ما دام ذلك فى دائرة الإسلام .

ورأينا فى تلك الغابة الموحشة والصحراء الجرداء القاحلة إنسانية متمثلة فى طيبة مسيحية تقدم لنا عونها بين الفينة والفينة ، فعجبنا لهذا الطابع الإنسانى

النادر وجوده فى مثل هذه الظروف . . .

وقدمت لنا أيضا مسجونة لم تخل من قلب رقيق كيف نعيش ونتعامل فى هذا المكان مع تلك الإنسانية المهذرة . كل شىء يشتري بالمال ، فتح باب الزنزانة لمدى أطول بالمال . . وكذلك نسمة الهواء ولقمة العيش وما يستر الجسد . . . كل شىء هنا فاغر فاه ليلتلع ، الكل هنا سواء فى ذلك . . المسجونات والسجانات . وذلك يتطلب من الإنسان المال والجهد . فهل كان ذلك أمراً ميسوراً ! .

الموت .. والطغاة

قد ينسى الطواغيت المستبدون أو يتناسون أنهم لابد سيشرّبون من الكأس : كأس المنية . كأس الرجوع إلى الله تعالى ، يتناسون ذلك فيتجبرون ويظفون ويبطشون ويعذبون ، والزمن عجلته تسير بمشيئة الواحد القهار ، ويتعاقب الليل والنهار ، وتولد أجيال وتنقضى أعمار ، وتبلى أجساد وتُزَع أرواح انتزاعاً فلا يستطيع ردها .

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينْدٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

[الواقعة : ٨٣ - ٨٧] .

وفى وسط حياتنا المزدحمة بما نرى ونشاهد من صور تعكس حقيقة البشرية من حولنا ، وانحدارها وهبوطها الى أعماق سحيقة من الرذيلة والانحطاط ، تناقل الناس فى سجن القناطر نبأ موت عبد الناصر وهم حزاني يكون . والله يعلم أننا ما كنا يوماً شامتين فى موت أحد . . فهذه آجال وأعمار مقدرة

بمقدار، فلا يعدو إنسان أجله ولا يستبقى من عمره شيئاً. ولكن الموت نذير البشرية وناقوس فنائها: أن أفيقوا من سباتكم ودعوا طغيانكم وجبروتكم، فذلك لا يغنى شيئاً، ستتركون قوتكم وبطشكم، ومالككم وسلطانكم، وجندكم وحزبكم والأهل والأولاد، ستتركون كل ذلك وراءكم ظهرياً وتحشرون إلى الله تعالى حفاة عراة كما ولدتكم أمهاتكم!

﴿.. وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣، ٩٤].

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لِّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا ففِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٌ﴾ [هود: ١٠١ - ١٠٨].

فموت إنسان وذهابه إلى ربه تعالى لا يشغل بال المخلصين الداعين إلى ربهم سبحانه فالموت حق فلا ينشغلون به. وكل ما يشغلهم العيش في طاعة

الله تعالى وكنف رضوانه، وبذل الجهد من النفس والنفيس فى سبيل رفع راية التوحيد. وعندما يأتى الأجل لهم أو لغيرهم ينتقلون إلى دار الحساب حيث الثواب والعقاب.

ومعركة الإسلام ليست معركة فرد أو أفراد، ولكنها معركة الحق مع الباطل معركة الإيمان مع الكفر، ومعركة العبودية لله تعالى ضد قوى الشرك والإلحاد والوثنية.

يموت من يموت ويقتل من يقتل. ولكن قتلى المؤمنين فى رحاب الجنة، فى الفردوس الأعلى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فى جنات ونهر، شهداء أحياء!

﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿[الزخرف: ٦٨ - ٧٣].

وأما قتلى وموتى الكفر والباطل والإلحاد ففى سقر وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر، تشوى الوجوه والأبدان، كلما نضجت جلودهم بدلهم ربهم جلودا غيرها ليدوقوا العذاب، لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل، أحاط بهم سرادقها، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بشس الشراب. ليس لهم طعام إلا من ضريع، لا يسمن ولا يغنى من جوع.

﴿لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ

نَعْمَرُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٦﴾

[فاطر: ٣٦، ٣٧].

وتسير الأيام سيرها كما شاء الله وقدر، وتنتهى آجال وأعمار ولا يستطيع إنسان رد المشيئة الربانية.

ويتناقل الناس نبأ موت عبدالناصر والبكاء والعيويل والصراخ والنحيب يملأ الدنيا، وأحاديث الرثاء ليل ونهار لا تنقطع، لا يمل قائلها من بكاء أو تملق أو رياء. ووصل إلى سمعى كلمات شيخ ينعى الفقيد حامى حمى الإسلام..!

ولقد أقسم هذا الشيخ نفسه فى بيتى قبل ذلك بسنين إن من يسمى عبد الناصر حامى حمى الإسلام هو كافر، قد خلع ربقة الإسلام من عنقه، خسر الدنيا والآخرة.

وفى وسط هذه الظروف التى شحناها بالحزن والأسى على الفقيد العظيم، استقبلنا نبأ انتقاله إلى الواحد القهار كما يستقبله من كان فى قلبه ذرة من إيمان، وغداً سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.

تناقل الناس هنا فى سجن القناطر أننا لم نبك ولم نصرخ ولم نحزن ولم نتألم على بطل الأبطال! وحرك ذلك فى نفوس الأذئاب الشائثة قلوبهم المريضة ونفوسهم التى تعهدت ألا تكون إلا فى خدمة سادتها ومطامعها وهواها، وتحركت لتصب جام غضبها علينا : كيف لا نحزن على .. عبد الناصر!

وتحرك الغشاء

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]

تحرك الأتباع من رجال النفاق والرياء والزلفى، وبذلوا المشقة والجهد. جهد

العبيد لإرضاء سادتهم ولو فى تافه الأمر، فقاسينا من غلظ المعاملة وسوء الأخلاق ما جاد به الأذنان. وفى صبيحة يوم عقب موت عبد الناصر فتح علينا باب الزنزانة وإذا بسجانة تمسك بعصا غليظة وتهجم بسرعة وكادت تحطم رأسى لولا أن الله سلم ونجانا من كيد المجرمين، وعجزت إدارة السجن عن مجازاتها أو حتى لومها أو شئ من هذا القبيل، وتركت شأنها تجرى هنا وهناك وكأنها لم تصنع شيئاً!

وفى أثناء زيارة أهلى لى أخبرتهم بحادث الاعتداء هذا، فبدلوا جهدهم بالاتصال بالمسؤولين صغيرهم وكبيرهم وإرسال برقيات إليهم، فتحركت النيابة وأخذت تحقق مع السجانة على أنها هى المدبر الوحيد وأنها مصابة بمرض نفسى!

طلبت لذلك عدم إكمال التحقيق وأبلغت النيابة أن المدبر والمخطط لذلك ليست هى السجانة ولكنها قوى الإلحاد و الباطل ومعتنقو البطش والإجرام، فلا معنى لمعاقبة من لا يملك من أمر نفسه شيئاً، ويتحرك بأمر مسئول كأداة لتنفيذ ما يدبر فى الخفاء لإرهاب أصحاب الدعوات واستئصالهم، ولكن الله غالب على أمره، وهذا نوع جديد من التعذيب المعنوى لم يخطر بالبال، ابتكره تحت ظروف غير متوقعة ، قوم أضلهم الله فما لهم من هاد.

ابتلاء جديد

كان يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٧١ يوماً مشهوداً ، إذ حمل صباحه إلينا اختباراً جديداً حين جاءت سجانة مهرولة تدعونى بسرعة لمقابلة المأمور فى مكتبه.

شدتنا المفاجأة وجعلتنا نذهب بفكرنا فى الأمر . . ماذا يكون وماذا يدبر الطواغيت والظلمة؟! أهناك بلاغ كيدى بأننا ننشر الإسلام فى هذا المكان، أم هناك خبر عن الأهل والديار، أم هناك مخالفة ولا ندرى بها أم . . .؟! عشرات من علامات الاستفهام؟؟ لم يخطر ببالنا ما تأتى به الأقدار، فذهبت إلى مكتب المأمور فوجدت أمراً بالإفراج عنى وحدى. وكان شيئاً مذهلاً فأنا صاحبة الحكم المؤبد بالأشغال الشاقة أخرج لتبقى ابنتى وحيدة فى هذا المستنقع الأسن، تقاسى ما تقاسى، فانزعج قلبى من أعماقه وسيطر على نفسى حزن عميق وحيرة بالغة وبدون شعور صرخت قائلة : لا . . لا . لن يكون هذا أبدا . . لن أخرج وأترك ابنتى، إنكم أصحاب فتنة وتخطيط مظلم! . . وثارت ثورتى وشعرت بتعب وإجهاد واضطراب فى النفس والمشاعر.

وبعد دقائق قليلة وجدت ابنتى حميدة أمامى فى حجرة المأمور. استدعاها لتهدئتى ولتخفف عنى ما أنا فيه، كانت محنة هائلة قاسية كيف ذلك؟ كيف أخرج وأترك ابنتى وحدها ووجهها المطمئن المشرق لا يفارق قلبى وصوتها بكلماتها الندية يهز أوتار نفسى؟! كيف أتركها وحدها فى هذا المكان المظلم الموحش، تواجه بمفردها قسوة المعاملة . . ومشاعرى فى نفسى وفؤادها تصرخ بشدة: كلا . . كلا لن أتركها. ويطول فى قلبى الصراع ويمتد وهى تدعونى: يا أماء يا أماء هذا فضل الله ورحمة منه والأمر كله لله والله لا ينسى عباده.

وطال الموقف وامتد المشهد فقال المأمور لابنتى حميدة: اتفضللى سلمى عليها وارجعى إلى الزنزانة. وفى لحظات مضت كالبرق، فريدة فى نوعها، وحيدة فى مشاعرها. تعانقنا والدمع يخط مجراه على الوجوه والقلب ينبض بسرعة والنفس يتردد، وكأنه يسابق الزمن وفى وسط لحظات خالدة من المشاعر وخلجات النفوس . وجدت نفسى وحيدة فى حجرة المأمور الذى أتم إجراءات

الخروج وانفطرت نفسى وتمزق قلبى والدمع ينهمر، وأنا أخطو الخطوة الأولى إلى بيتى .

مساومة أخيرة

اخترقت العربى الطريق إلى بيتى، ولكن غيرت طريقها فجأة، ووجدت نفسى أمام مبنى المباحث العامة. ودخلت حجرة أغلقوا على بابها من الساعة الثانية عشرة ظهراً إلى التاسعة مساءً حتى أخذونى إلى مكتب به ضابطان، أخذا يسألان أسئلة تدور حول الإسلام وهل أنت ستقومين بزيارة الإخوان بعد ذلك؟!

كنت مشغولة بابنتى حميدة فقلت لهما: ليس من العدل أن أخرج - وأنا المحكوم عليها بالمؤبد - وتبقى ابنتى وحيدة. إنكم تريدون فتنة ولكن الله لن يحقق لكم ما تدبرون. قال: اهدئى يا حاجة. قلت: إنكم تكيدون كيداً والله من ورائكم محيط، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. قال: يا حاجة دى أوامر من فوق لا نقدر على أن نخرج حد وليس لنا كلام.

ثم أخذونى إلى مكتب أحمد رشدى الذى كان يستخدم سياطه ونفسه المريضة ليكيد رجالاً ربط الله على قلوبهم برباط الإيمان ولكن هيهات.. هيهات.

ولما دخلت عنده طلب منى الجلوس على مقعد أمامه وقدم لى التهنئة بالخروج. ثم دار بينى وبينه حديث كان عبارة عن جملة أوامر وجهها لى كان ملخصها أن لا أمارس النشاط الإسلامى، وأن لا أتزاور بينى وبين إخوانى ومعارفى فى الله، ولا تعاون بيننا ولا توااد، وأن أتردد على مكتبه بين الحين والحين.

فقلت له لما فرغ من حديثه : الكلام الذى وجهته إلى أرفضه جملة وتفصيلاً ، بل أرفض قرار الأمر بالخروج وبلغ المسئولين بذلك وأطلب عودتى فوراً إلى سجن القناطر .

أنهى أحمد رشدى الحديث ، وابتسم قائلاً : «على أى حال فيه كثير من الإخوان تفاهموا معى على ذلك» فقاطعتة قائلة : والله لا أعلم عن الإخوان إلا خيراً وأما ما تقوله أنت بالنسبة لبعض الإخوان فلا أستطيع أن أبدى رأياً . . لا أصدق صدوره منهم . إن الإخوان المسلمين ورثة حق يعملون له ليل نهار حتى يأتى الله بنصره أو يهلكوا دونه .

ودق جرس التليفون وأجاب أحمد رشدى قائلاً : دعه يكلمنى . ثم قال : أهلاً وسهلاً يا أستاذ عبد المنعم اتفضل . نحن محتاجون إليك . . ووضع سماعة التليفون ثم قال لى أحمد رشدى : الأستاذ عبد المنعم الغزالى جأى هنا . وبعد قليل حضر شقيقى عبد المنعم وسلم علىّ وهو يبكى . قال له أحمد رشدى : أنا أريد أن تحكم بينى وبين الحاجة لأننا مختلفان . فأجاب شقيقى : الحاجة أكبر منى وأنا شقيقها الأصغر ، وليس من عادتى أن أناقشها فى شىء . أضف إلى ذلك - لو سمحت لى - أنها تمتاز بقوة منطقها وصحة حجتها فقال أحمد رشدى : طيب يا حاجة مبروك بس ملكيش دعوة بعمل تنظيمات مسلحة للإخوان . قلت : التنظيمات السرية أنتم الذين تلفقون قصصها وتخرجون تمثيلياتها . إن قيام الدولة الإسلامية واجب على المسلمين وعدتهم فى ذلك الدعوة إلى الله تعالى كما دعا رسوله ﷺ وصحبه الكرام . وهذه رسالة كل مسلم سواء كان من الإخوان أو غيرهم .

ثم انصرفت مع شقيقى إلى بيتى وكان ذلك فى الساعة الثالثة صباحاً فى اليوم العاشر من أغسطس سنة ١٩٧١ .

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
إهداء	٣
مقدمة	٥
الباب الأول:	٩
عبد الناصر يكرهنى شخصياً - أنا والاتحاد الاشتراكى - لا . . . للطاغية - ماذا نفعل بعد ذلك؟ المساومة ثم المخادعة - خفافيش الليل - كلهم أحمد راسخ.	
الباب الثانى:	٢٧
وكانت بيعة - وسقط القناع - صرخات تنادى للواجب - على الطريق مع عبد الفتاح إسماعيل - الإذن بالعمل - وقفة مع زوجى - الاتصال بالشهيد سيد قطب.	
الباب الثالث:	٤٧
المؤامرة - وجاء دورى - الطريق إلى الحجرة ٢٤ - فى الحجرة ٢٤ - الزنزانه رقم ٣ - الرؤيا - ولكن الله ألف بينهم - عودة إلى دوامة التعذيب والمساومة - مندوب رئيس الجمهورية - وجوه غالية تدخل زنزانتي - وفاة رفعة مصطفى النحاس - الطعام عبادة - وجاء ليل . . ليل	

المساومة والعذاب - وجاء دور حمزة فى ليل المساومة -
عودة إلى الزنزانه - وهبط ليل آخر - استراحة قصيرة -
وما أقسى الليل - الفتنة فى حقيبه ملابس . . وخطاب من
عبد الناصر .

الباب الرابع: ١٠١

مع شمس بدران زنزانه الماء والجريمة!! - إلى زنزانه الماء
مرة أخرى - صرعت الوحش فى زنزانتى - من الفئران
إلى الماء وبالعكس - من الماء إلى وكيل النيابة - السوط
مع الرغيف - إلى المستشفى - مع شمس - مشهد تمثيلى
بالإكراه - الحجرة ٣٢ - شموخ الإيمان وذلة الباطل -
عبد الناصر أمر بإعدامى - فى مكتب الباشا - الوهم
الكبير - إصرار شمس بدران على وهمه - تسلط الأتزام
وتحكم الهوى - عذاب . . وفى المستشفى!!

الباب الخامس: ١٦٥

وسمع فرعون - أصل المؤامرة نكتة - محمد قطب -
النيابة - الجولة الثانية مع النيابة - عودة إلى المكاتب - (١)
- التعذيب - (٢ - المال) - علبة اللحم المفروم -
التجويع حتى فى المستشفى - وتاب الوحش - وقرب
موعد المحاكمة - بشرى - اليوم الموعد (القضية الأولى
من سبع قضايا قدمت للمحاكمة).

الباب السادس: ٢٠٧

محكمة - أجهل من الجاهلية - النطق بالأحكام - لحظات
فى رضوان الله - المساومة الأخيرة قبل الإعدام - ونفذ
الطاغوت أحكامه - الأيام الأخيرة بعد الأحكام فى السجن
الحربى - ومات زوجى - وانضم إلينا جيران جدد - يجب
أن يحاكم عبد الناصر .

الباب السابع: ٢٢٣

الانتقال إلى سجن القناصر ٥ يونيه - ليلة عذاب نفسى
- صراع من نوع جديد - رأينا من ألد الأعداء . . إنسانية
- الموت . . والطفأة - وتحرك الغشاء - ابتلاء جديد -
مساومة أخيرة .

رقم الإيداع ٩٩ / ٩٢٥٣
الترقيم الدولي I.S.B.N.
977 - 265 - 255- 2

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية
العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣
مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأتلمى ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣

